الدكتور
عبد المنعم الهاشمي

تاريخ الخلفاء

تاريخ الخلفاء

الدكتور
جواد جعفر الخليلي

تاريخ الخلفاء

(٣)

الارشاد للطباعة والنشر
بيروت - لندن

الطبعة الثانية

١٤٢٤ هـ ـ ٢٠٠٤ م

مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

نبذة عن المؤلف رحمه الله

هو: الدكتور جواد جعفر الخليلي حفيد آية الله الحاج ميرزا حسين الخليلي أحد مراجع العصر ﷺ.

ولادته: ولد في النجف الأشرف ٢٤/١٩٢٤.

أسرته: أسرة عريقة في النجف الأشرف مشهورة بالفقه والاصول والطب ولها آثار باقية منها مدرسة الخليلي العلمية في النجف الأشرف.

نشأته: نشأ في مدينة النجف الأشرف ـ العراق.

دراسته: دراسة علمية وأدبيّة في الطب والحقوق وعلم النّفس.

مسكنه وأقامته: في السابق كان في العراق ثم انتقل إلى إيران واقام بها سنين عديدة ومنها هاجر إلى كندا مع أهله وأولاده.

أعماله الإدارية: في الشئون الطبيّة، والقانون إثني عشر سنة قضاها في مناصب طبية. وثلاثة وعشرون سنة في منصب القضاء في طهران وبعدها مارس

هوايته: الشعر والمطالعة، والكتابة. له ديوان شعر في مجلدين باللغة العربية، وله دائرة معارف الام والطفل (في التربية والطب خمسة أجزاء).

كتب: في علم النفس والتنويم المغناطيسي وتحضير الأرواح وله: الحكومة العالمية المثلى في ٣ أجزاء طبعت في بيروت وله: موسوعة المحاكمات في عشرة أجزاء. جزآن في حياة رسول الله ﷺ وجزآن في حياة الامام أمير المؤمنين علي وصدر الجزء الأول منه قبل أعوام نشرته مكتبة چهل ستون في طهران. والجزء الخامس والسادس والسابع عن أبي بكر وعمر وعثمان والجزء الثامن من الموسوعة يحتوي على ذكر الناكثين، والمارقين، والقاسطين والجزء التاسع والعاشر من الموسوعة حوار فيما طرأ بسبب ما تقدم ونتج في الوضع الإسلامي من العلل والأسباب ومحاكمة المسبّبين، وأنقسام الأمة الإسلامية وتدهورها.

أولاده: الدكتور باسم طبيب وجرّاح، الدكتور عاصم استاذ جامعة في الهندسة الكهربائية، سالم، مهندس في الهندسة المعمارية، حسين مهندس كمپيوتر، علي طبيب، حسن، بكالوريوس في الادارة، والحسابات وله ثلاث بنات حاملات شهادات عالية ومتزوجات.

زوجته: علوية هاشمية حسينيّة من خيرة السلالات ولها اليد الطولى في تربية أولادها وبناتها.

وفاته ومدفنه

انتقل الفقيد الراحل إلى جوار ربّه في مدينة (أُوتاوا) ـ بكندا وذلك في يوم الخميس ١٧ محرم الحرام عام ١٤١٩ هـ ـ الموافق ١٤/٥/١٩٩٨ م ونقل جثمانه إلى مدينة مونتريال ودفن فيها تغمده الله برحمته الواسعة وحشره مع النبي ﷺ.

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

يمتاز عثمان عن الخليفتين اللذين سبقاه ، أبي بكر وعمر ، أنّه من آل عبد مناف ومن بني عبد شمس ومن اولئك الخصوم الألداء لنبي هاشم .

ولقد كان من الصحابة الذين عادتهم قريش لقبولهم الدعوة الاسلامية وانحيازهم للدين المحمدي ، حتىٰ كان من المهاجرين الأولين إلى الحبشة ثم المدينة .

وتقرّب إلى رسول الله بتزويجه لابنتيه الواحدة بعد الأخرىٰ ، ولكن كانت له خيبة أمل عظيمة إذ لم يعقب منهما أي عقب .

وزادت في نفسه خيبة الأمل هذه كلما تقدّم علي في مجالات عديدة في السابقة وفي العلم ، وفي تضحياته في حروبه وتفوّقه علىٰ الأقران وقتاله واستبساله واخص ضرباته القاصمة علىٰ بني أمية ونزول الآيات القرآنية فيه ووصايا رسول الله ﷺ فيه وبالتالي زواج علي من ابنة رسول الله الحبيبة الطاهرة التي صرّح أنها بضعة منه ، من أحبها أحبه الله ورسوله ومن بغضها وآذاها بغضه ولعنه الله ورسوله .

وبعد أن ذهبت آمال أقرب الصحابة هباء لخطبتها من قبل أبي بكر وعمر واعظم من ذلك انجابها الحسنين الطاهرين سيدي شباب أهل الجنة وبعد أن صرّح

أنّ عترته إنما هم من نسل فاطمة . وبعد موت ابنتي عثمان ـ زوجتي رسول اللّٰه ـ وعدم وجود عقب منهما وتزوّجه أصبح بعيداً كسائر الصحابة .

وزاد هذا البعد بعد الفتح حينما دخل أعظم المنافقين الكفرة من بني أمية قهراً في الاسلام والتفوا حول أقرب الناس إليهم دماً ونسباً من جهة وهو عثمان ، وأقربهم طبعاً وغاية مثل أبي بكر وعمر ، ومن هؤلاء الذين كانوا يحقدون على علي وبني هاشم حسداً ، ويتربصون بهم الدوائر ، وهم يحبّون الملك أكثر مما يحبون الدين والنبوة .

وفي رؤوس هؤلاء الطلقاء المنافقين الذين ظلوا يخفون الكفر ويظهرون الاسلام أبو سفيان وبنيه والحكم وابن العاص وباقي بني أمية .

وزاد تكتلهم بعد السقيفة حول عثمان وأبي بكر وعمر ودخل عثمان في مقدمة هذه الزمرة رافعين علم الولاء لأبي بكر وعمر وأبي عبيدة الجراح خصوم بني هاشم وخصوم شيعتهم وهم جميعاً لم يقربهم إلى بعضهم سوى حب الدنيا واطماعها وصدق فيهم قول سيد شباب أهل الجنة الحسين بن علي حينما قال : «الدين لعق على ألسنتهم يدورونه أينما درّت معائشهم» .

فأصبح عثمان المقرّب الأمين وكاتب سر أبي بكر والتفت حوله عشيرته وأبناء عمومته وإذا بأبي سفيان وابنائه هم المقربون وإذا بابنائه سعيد ومعاوية قوّاد الجيوش ، وإذا بابنه سعيد والي أبي بكر في الشام وبعده والي عمر ، وما أن مات هذا أخلفه معاوية والتف حوله بنو أمية ، هذا يمدهم بالمال ، وعثمان يشد أمرهم في المدينة وأبو سفيان يتذبذب بين هذا وذلك وهو يصرح كلما حانت الفرصة أنه لا جنة ولا نار وإنما هو الملك .

وقد أصبح عثمان بعد أبي بكر وبعد كتابة العهد لعمر يوم أُغمي على أبي بكر أخلص الناس لعمر ومقر سره ، وموضع عفوه ، وأقرب أعوانه بعد أن اثبت عملياً وهو أمين سر الحزب المناوئ لبني هاشم أنه قطب من أقطاب الحزب المؤيد

لعمر بكتابة العهد له قبل أن يدلي بذلك أبو بكر صراحة وأي ثقة أعظم من هذه التي قدمها عثمان لعمر ، ومنذ ذلك اليوم زادت بينهما أواصر المحبة والثقة وزاد ذلك الشعور المتقابل من الحسد والحقد المولود للبيت النبوي بين عائشة وحزبها ضد علي وفاطمة وذويهم ، مما قرّب بين عثمان وبينهم نساءً ورجالاً والتف بنو أمية حول أبي بكر وعمر وعثمان مؤيدين اياهم حتىٰ بلغ الأمر أن عمر يشاطر جميع عماله أموالهم سوىٰ معاوية وان شاطره فهي مشاطرة صورية .

ويقول عمر في معاوية أنه كسرىٰ العرب وماذا يعني بكلمته هذه إلّا لما وجد فيه من حب السلطة والبذخ والتظاهر بمظهر الملك وقد عرف آل أمية كيف يبدون ولاءهم لعمر ويخدمون أفكاره في الداخل ويدركون أسراره بواسطة عثمان . وفي الخارج بسبب معاوية وذويه حتىٰ إذا طعن الخليفة الثاني بيد أبي لؤلؤة كما مر في كتاب عمر الجلد الرابع من الموسوعة وإذا بعمر الذي لم يكمل مشروعاته ونواياه يكشّر في هذه الآونة الضيقة عن أنيابه ويشكّل الشورىٰ علىٰ تلك الشاكلة التي لا تجد فيها سوىٰ ضربته القاصمة النهائية علىٰ آل الرسول ﷺ باعطاء الأمر إلى اضدادهم وأشدهم حباً للدنيا وبعداً عن الدين ، ولو استطاع لأعطاها إلى معاوية ، ولكنه قدمها لعثمان وهو يعرف حبه لبني أمية وانصياعه لكبيرهم وصغيرهم وعطفه علىٰ نسائهم ورجالهم . وإذا بأم حبيبة من النساء المقربة المطاعة وبنو أمية بيدهم الأمر والنهي كما سيأتي ذكره .

ولقد هيأها عمر لبني أمية وأخص منهم معاوية بعد أن حذر علياً مغبة المخالفة في الشورىٰ وبعد أن ربط عثمان بعبدالرحمن بن عوف وسعد بن أبي وقاص صهره وصهر صهره وقال كلمتين أثبت بها ملك بني أمية :

أولها : لا تختلفوا فإن معاوية وعمرو بن العاص لكم بالمرصاد .

والثانية : قوله : إذا تساوت الآراء في الشورىٰ فمن معه عبدالرحمن هو الفائز ، ومن خالف فاضربوا عنقه .

هذه كلمة الدكتاتور المسجّى على فراش الموت ، وقد صرح بضعف عثمان وتعلقه ببني أمية وأنهم سيتخذون عباد الله خولاً ودينه دغلاً وأمواله دولاً .

وتنبأ بمخالفات عثمان وقتله لعدم رضا المسلمين عنه وصرّح كناية بخلافة معاوية حينما هدد أعضاء الشورى كما مرّ ، وسيجد القارئ الكريم أن هناك فتنة كبرى أقامت المسلمين وأقعدتهم وخلقت المفاسد والمذاهب والفرق ومزقت دين الاسلام شر ممزق وأبعدت الصالحين وقربت الطالحين وزورت الأحاديث وغيرت وبدلت ما شاءت وفتت في جسم هذا الدين بابعاد أهله .

وسنجد كيف أنّ عثمان ترك الكتابة والسنّة ونصائح الصحابة وإرشادات ذوي الرأي ، واتخذ من أوباش بني أمية وطرداء رسول اللهﷺ وملاعين آل الحكم وأبناء الطلقاء سلماً لتثبيت الملك له ولذويه ، دون دين رادع ، ورأي مانع ، ومنطق سليم ، ووجدان مؤنب مليم ، ومستشار حكيم ، فغير وبدل وظلم وانكل وثاب وعاد ونكث واشتد وعبث حتى نال من دنياه ما نال وللآخرة أشد وأنكى .

وبذلك خلقت الفتن بين المسلمين وزادت الاحن في الصالحين وانتجت بذور النفاق أكلها ونتائج الشقاق سبلها وتشتت الاسلام بعد القوة والنصرة وتبدد بعد العزة والقدرة . وإذا به مذاهب متطاحنة وأقوام متباينة ، فعلام يقع الوزر والخسران؟ ومن هو المسؤول يوم الحشر والميزان ؟ وسيعلم الذين ظلموا حق محمد وآله وأوقعوا المسلمين في مصيرهم هذا عامدين مصرين أي منقلب ينقليون .

وقد قيل أن الكلام صفة المتكلم والعمل صفة العامل وقد أصبحت نتائج أعمالهم حتى اليوم دليلاً قاطعاً على ما معهم من صفة وما أوقعوا فيه المسلمين من الاحن والرزايا وحرموهم من وصايا ونوايا نبيهم وتركوا كتاب الله وسنن نبيهم ووصاياه ظهرياً ، وأولياء الله من عترة رسوله وصحابته الأوفياء سحرياً وعباد الله خولاً وأمواله دولاً ودينه دغلاً .

عثمان : الخليفة الثالث

ويكنىٰ بأبي عبدالله وأبو عمرو عثمان بن عفان بن أبي العاص بن أمية ، وأمه اروىٰ بنت كريز بن ربيعة بن عبد شمس ، وهو من السابقين إلى الاسلام ، وقد تزوج بعد اسلامه من رقية بنت رسول الله ﷺ وهاجر الهجرتين إلى الحبشة وبعد عودته لمكة هاجر إلى المدينة وتخلّف عن بدر في تمريض زوجته ، ولما توفيت تزوج أختها أم كلثوم ، وتوفيت أيضاً في حياة رسول الله ﷺ دون أن تعقب كأختها .

وهو كاتب عهد أبي بكر لعمر قبل وفاته يوم أُغمي علىٰ أبي بكر قبل كتابة العهد وذكر المعهود إليه فأضافه هو من نفسه عمر حتىٰ إذا فاق أبو بكر من اغمائه أيد ما كتبه عثمان .

وهو أحد الستة من أصحاب الشورىٰ الذين عينهم عمر بعد أن طعنه أبو لؤلؤة ورشحه عبدالله بن عوف للخلافة ، وندم علىٰ ذلك وأوصمه عثمان بالنفاق واعتزله عبد الرحمن لأنه لم يوف بالعهد من اتباع حدود الله وسنّة نبيه وسيرة الشيخين .

وقد بويع بالخلافة يوم السبت غرّة محرم سنة (٢٤) ، وقتل في المدينة يوم الجمعة لثمان أو ثمانية عشر أو سبعة عشر من ذي الحجة ، وقيل لليلتين بقيتا منه سنة (٣٥) عن عمر اختلفوا فيه من ٨٢ إلى ٩٢ ودفن في حش كوكب قرب البقيع .

وقد ثبت عندنا في المناظرة التي كتبها ابن عبد ربه في العقد الفريد التي قامت بين المأمون والأربعين عالماً عن اسحاق بن ابراهيم بن اسماعيل بن حماد بن زيد.

إن علياً أفضل من أبي بكر وعمر وعثمان فرادا ومجتمعين ولو انضمّ إليهم العشرة المبشّرة وغيرهم في جميع الأعمال الدالة علىٰ الفضل من السبق في الاسلام بقوله تعالىٰ: ﴿السابقون السابقون﴾ وقوله تعالىٰ: ﴿ولا يستوي القاعدون﴾.

وفي البر والاحسان بقوله تعالىٰ في سورة هل أتىٰ: ﴿ويطعمون الطعام علىٰ حبه مسكيناً﴾ وحب الله ورسوله لعلي في حديث الطير ويوم خيبر. أو للتضحية المتناهية يوم نام علىٰ فراش رسول اللهﷺ وقوله تعالىٰ فيه: ﴿ومن الناس من يشري نفسه﴾ وآية الابلاغ وآية الكمال يوم غدير خم ونصب علي علماً، وقول رسول الله فيه حديث المنزلة: «أنت مني بمنزلة هارون ... الخ» ونص الولاية في قوله تعالىٰ: ﴿إنما وليكم الله﴾ وغيرها من الآيات البالغة ثلاثمئة في علي أثبتت فضل علي علىٰ غيره بعد رسول اللهﷺ.

ولم يبلغ عثمان درجة أبي بكر ولا عمر فيها جميعاً فكان عثمان رغم كل ذلك أقلهم جميعاً.

ولم يعرف عثمان إلّا دون أبي بكر في سبقته. ولم يعرف بتضحيته شيئاً يذكر في الحروب والغزوات سوىٰ هجرته للحبشة والمدينة. ولم يذكر عن ايمانه شيئاً يجعله حتىٰ في مصاف أوسط الصحابة في عهد رسول اللهﷺ.

وسنرىٰ إيمانه من أعماله وسيرته في زمن خلافته، وفيها نعرف مدىٰ علمه ودرجة اجتهاده، وسلوكه الاجتماعي، وكيف كان يعامل الصحابة معاملة خارجة من المنطق السليم وبعيدة عن الدليل والبرهان.

ولا نرىٰ في عهد رسول اللهﷺ له تضحية تذكر أو كرامة أو فضيلة يمتاز بها حتىٰ لدرجة تبلغه لمتوسط كرامة الصحابة العاديين.

عثمان يخالف النص في صلاة القصر

روىٰ الطبري عن الواقدي عن عمر بن صالح بن نافع عن صالح مولىٰ التوامة عن ابن عباس قال: «أول ما تكلم الناس في عثمان ظاهراً أنه صلى بالناس بمنىٰ في ولايته ركعتين طبق الآية القرآنية وعمل رسول الله والشيخين بها وعمله نفسه لستة سنوات والآية هي: ﴿وإذا ضربتم في الأرض فليس عليكم جناح أن تقصروا في الصلاة إن خفتم أن يفتنكم الذين كفروا﴾.

بيد ان عثمان أتمها بعد السنة السادسة في خلافته فعابوا ذلك عليه صحابة الرسول ﷺ وتكلم في ذلك من يريد أن يكثر عليه حتىٰ جاءه علي فيمن جاءه، فقال: والله ما حدث أمر ولا قدم عهد ولقد عهدت نبيك يصلي ركعتين، ثم أبو بكر، ثم عمر، وأنت صدراً في ولايتك، فما أدري ما رجعك إليه؟ قال: رأي رأيته».

كما أخرج مسلم في صحيحه في كتاب صلاة المسافرين وقصرها ج ١ ص ٢٥٨ «عن يعلىٰ بن أمية، قال: قلت لعمر: ما لنا نقصر وقد أمنّا؟ فقال: عجبت مما عجبت فيه فسألت رسول الله ﷺ عنه، فأجاب ﷺ: صدقة تصدّق الله بها عليكم فاقبلوا صدقته».

وفي صحيح مسلم أيضاً عن ابن عمر، قال: اني صحبت رسول الله ﷺ في السفر فلم يزد علىٰ الركعتين حتىٰ قبضه الله تعالىٰ. وصحبت أبا بكر فلم يزد علىٰ ركعتين حتىٰ قبضه الله تعالىٰ. وصحبت عمر فلم يزد علىٰ ركعتين حتىٰ قبضه الله تعالىٰ. ثم صحبت عثمان فلم يزد علىٰ ركعتين، وقد قال الله تعالىٰ: ﴿لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة﴾.

وعن ابن عباس في صحيح البخاري في باب ما جاء في التقصير من أبواب التقصير ج ١ ص ١٣١ قال: قام النبي ﷺ في مكة تسعة عشر يقصر. (وإنما قصّر النبي ١٩ يوماً لعدم نية الاقامة).

وكانت هذه أول ما سببت الطعن في عثمان وعدّوها مهمة ، ومن حوادث سنة ٢٩ للهجرة أخرجه ابن الأثير في الكامل ج ٣ ص ٤٩ ، والطبري ج ٣ ص ٣٢٢ ، ومسند أحمد ج ٤ ص ٩٤ بالاسناد إلى عباد بن عبدالله بن الزبير عن أبيه عباد عن معاوية . مالك في الموطأ ج ١ ص ٢٨٢ ، والنسائي في سننه ج ٣ ص ١٢٠ ، عن أنس بن مالك ، وأحمد بن حنبل في مسنده ج ١ ص ٣٧٨ و ص ١٤٥ . والشيخان عن عبد الرحمن بن يزيد . وأخرجه أبو داود ج ١ ص ٣٠٨ . والآثار للقاضي أبي يوسف ص ٣٠ . والأم للشافعي ج ١ ص ١٥٩ و ج ٧ ص ١٧٥ . وأخرجه البيهقي في سننه الكبرىٰ ج ٣ ص ١٤٤ . وابن عساكر في كنز العمال ج ٤ ص ٢٣٩ وابن حزم في المحلىٰ ج ٤ ص ٢٧٠ . ومسند أحمد أيضاً ج ٢ ص ٤٤ وسنن البيهقي أيضاً ج ٣ ص ١٥٣ وفي لفظ الترمذي في صحيحه ج ١ ص ٧١ . وكنز العمال ج ٤ ص ٢٤٠ . وأخرجه الطبري في تاريخه وابن حجر في فتح الباري ج ٢ ص ٤٥٧ وغيرهم .

رد اللائحة : عثمان يتم لأنه تزوج

قال جماعة دفاعاً عن عثمان الخليفة الثالث : إنما صلّىٰ لأنه تزوّج في ذلك المكان ، وأنه له مال بها ، وله فيها أهل . منهم أبي القيم .

رد الرد

لقد رد ذلك ابن حجر في فتح الباري ج ٢ ص ٤٥٦ عما أخرجه أحمد البيهقي : وقد كان عثمان محرماً ولا يجوز للمحرم أن يخطب أو ينكح ، وهذا ما روي عن عثمان نفسه عن رسول الله ﷺ وأخرجه مالك في الموطأ ج ١ ص ٣٢١ وفي ص ٢٥٤ ، والام للشافعي ج ٥ ص ١٦٠ وأحمد في المسند ج ١ ص ٥٧ و ٦٤ و ٦٥ و ٧٣ وصحيح مسلم ج ١ ص ٩٣٥ ، وسنن الدارمي ج ٢ ص ٣٨ ، وسنن أبي داود ج ١ ص ٢٩٠ ، وسنن ابن ماجة ج ١ ص ٦٠٦ ، وسنن النسائي ج ٥

ص ١٩٢ ، وسنن البيهقي ج ٥ ص ٦٥ ، ٦٦ .

وابن حزم في المحلى ج ٧ ص ١٩٧ حيث يقول : لا يجوز نكاح المحرم ، ان نكح نزع منه امرأته .

والقصر نص ثابت كما مر ، وسنّة باقية لم ينقضها نص ولا سنّة . وان ما نسب لعثمان كان يمكن نسبته لرسول الله ﷺ ولأبي بكر وعمر ، وهكذا كان عليه جميع الصحابة من مهاجرين وانصار .

وقد اعترف عثمان نفسه بقوله : رأي ارتأيته . ولم يأت بعذر آخر .

ومع ذلك فقد كان عثمان يتم في غير مكة في منىً وعرفات أيضاً .

وإذا صح أنه نوىٰ الاقامة وأتم الصلاة ، فهل كان يشمل ذلك غيره ؟ وهلا كان عليه أن يطلب من الحجاج الآخرين القصر ، وان لا يتركها بدعة رغم نهي الصحابة له ؟ أم جاز له وهو الخليفة أن يتلاعب بالنصوص والسنّة اجتهاداً منه ، ورأياً يرتأيه ؟ وإذاً فما قيمة النصوص والسنّة بعدها ؟ وهلا كان عليه الاّ ان يفعل كما فعل النبي ﷺ وأبو بكر وعمر حين قالوا لأهل مكة : أتموا صلاتكم فانا قوم سفر . راجع سنن البيهقي ج ٣ ص ١٢٦ و ١٥٧ والمحلىٰ لابن حزم ج ٥ ص ١٨ ، وموطأ مالك ج ١ ص ١٢٦ .

عثمان لم يكن صاحب سنّة

وروىٰ الخطيب عن معاذ بن معاذ : قلت لعمر بن عبيد : كيف حديث الحسن أن عثمان ورَّث امرأة عبد الرحمن بعد انقضاء العدة ، فقال : ان عثمان لم يكن صاحب سنّة .

وقال الجاحظ في كتاب العثمانية حول الشورىٰ التي ألّفها عمر ، وفيها المتناقضات ، فهو الذي قال : إن رسول الله مات وهو راضٍ عن هذه الستة علي وعثمان وطلحة والزبير وسعد وعبد الرحمن بن عوف .

ثم بدأ قوله في كل واحد منهم يصفه ، فقال في طلحة (وهو له مبغض منذ أن

أشار علىٰ ابن عمه أبي بكر أن يعرض عن عمر في عهده له حيث قال : ماذا تقول إذا سألك الله كيف خلّفت علىٰ أمة محمد هذا الفظ الغليظ) متوجهاً إليه : أقول أم أسكت ؟ فأجابه طلحة : قل فإنك لا تقول من الخير شيئاً ، قال : أما اني اعرفك منذ اصيبت اصبعك يوم أُحد وأليا بالذي حدث لك ولقد مات رسول اللهﷺ ساخطاً عليك للكلمة التي قلتها يوم انزلت آية الحجاب . قال الجاحظ : الكلمة المذكورة : ان طلحة لما نزلت آية الحجاب ، قال بمحضر ممن نقل عنه إلى رسول اللّه : ما الذي يغنيه حجابهن اليوم وسيموت غداً فتنكحهن .

وقال الجاحظ أيضاً : لو قال لعمر قائل : أنت قلت انّ رسول الله مات وهو راضٍ عن الستة فكيف يقول الآن لطلحة انه مات ساخطاً عليك الكلمة التي قلتها لكان قد رماه بمشاقصة . ولكن من الذي يجسر علىٰ عمر أن يقول له ما دون هذا ، فكيف هذا ؟

وتعال معي لنرىٰ أن عمر كيف كان معتقداً ان الخلافة ستكون لعثمان حتماً وان الشورىٰ إنما هي مكيدة . بل أن عمر كان قبل هذا دبر الأمر ، ونقل الملك لبني أمية حينما هدد أصحاب الشورىٰ بمعاوية . وهو الذي قال في عثمان ، وعثمان يقلده قريش ، هذا الأمر فيحمل بني أمية وبني أبي معيط علىٰ رقاب الناس ويؤثرهم بالفيء فيسيّر إليه عصابة من ذؤبان العرب فيذبحونه علىٰ فراشه ذبحاً .

فعمر إذن يعرف عثمان حق المعرفة ، وأنه ليس صاحب دين ولا يقيم حدود الله ورسوله ، وانه يسلّط الطلقاء من بني أمية وفسّاقها علىٰ رقاب الناس وأموالهم.

فكيف أوكله في الشورىٰ مع عدم صلاحيته ، وقد قطع أن الأمر ينتقل إليه إذ أكّد قوله السابق بقوله الأخير :

«كأني بك قد قلدتك قريش هذا الأمر لحبها إياك . ثم اعطف . والله لئن فعلوا

لتفعلن ولئن فعلت ليفعلن ، ثم أخذ بناصية عثمان وقال : فإذا كان ذلك فاذكر قوله فانه كائن» .

وهذا يدل عن فراسة عمر بل تدبيره المحكم وعلمه بمزايا وصفات هذه الأُسرة من آل أمية وأخص منها عثمان ومعاوية . يعرف ضعف عثمان في دينه ورأيه وتغلّب بني أمية عليهٰ ، ويعرف معاوية وأنه يدبر الملك له كما أقرّه وقال فيه انه كسريٰ العرب وهكذا كان .

وان عمر ان كان رجل دين وهو الذي تفرّس في عثمان ، وتفرّس في علي وقال فيه :

«للّٰه أنت لولا دعابة فيك ، أما واللّٰه لئن وليتهم لتحملنهم علىٰ الحق الواضح والمحجة البيضاء» .

وأنت يا عمر ذممت علياً بقولك «لولا دعابة فيك» وهل كان يجب علىٰ المؤمن أن يكون فظاً غليظاً مثلك ، أم يكون هشّاً بشّاً رؤوفاً بالمؤمنين كما كان رسول اللّٰه. فانت لقد أكبرته وأعطيته كل صفات الكمال فما بالك نقلتها لعثمان وآل امية متعمداً ، وانت تعرف انهم يتخذون عباد اللّٰه خولاً ؟

عثمان يترك سنّة التكبير في الركوع والسجود

أول من ترك التكبير عثمان حين كبر . أخرجه الزرقاوي في شرح الموطأ ج ٢ ص ١٤٥ وعن مسند أحمد ج ٤ ص ٤٢٨ و ٤٢٩ و ٤٣٢ و ٤٤٠ و ٤٤٤ ، وأضاف الزرقاوي : أن معاوية ترك التكبير بترك عثمان .

عثمان يرجم امرأة ولدت لستة أشهر

عن بعجة بن عبداللّٰه الجهني قال : أن رجلاً منّا تزوج امرأة من جهينة فولدت بعد تمام ستة أشهر ، فعرض الزوج ذلك لعثمان فأمر بها فرجمت فنهاه علىٰ ذلك

مستدلاً بالآيتين : الاولىٰ : ﴿وحمله وفصاله ثلاثون شهراً﴾ الآية (١٥) من سورة الأحقاف . والثانية : ﴿والوالدات يرضعن أولادهن حولين كاملين﴾ . فكانت الرضاعة أربعة وعشرون شهراً ، والحمل ستة أشهر ، فأجاب عثمان انه لم يفطن لهذا وأمر بكف الرجم عنها ، بيد أنه وجدها قد رجمت ، وثبتت براءتها ، وكبر الولد وشابه أباه ، فاعترف به الأب . وقال عبدالله : رأيت الرجل يتساقط عضواً عضواً علىٰ فراشه .

أخرج ذلك الحفاظ ، منهم مالك والسيوطي والعيني وابن أبي هاشم وابن المنذر والبيهقي وابن كثير وأبو عمر وابن الدينع .

فما قول القارئ الكريم بذلك الظلم لامرأة في حالة الولادة ترجم بعد تهمتها بالفاحشة ، ويهتك ناموسها وهي مؤمنة ، لمجرد جهل الخليفة بالنصوص الصريحة والأحكام ، وأي جهل مطبق هذا لخليفة المسلمين بكتاب الله وسنّة رسوله !؟ وقضايا واخطاء تكررت من قبل في عهد الخليفة الثاني وما هو اسناده بالرجم وأية شهادة ودلائل علىٰ الزنا أإتبع بذلك كتاب الله أو سنّة نبيه ؟ أو سابقة الخليفتين ؟ أم اجماع الصحابة ؟ أم القياس ؟ أم الاجتهاد إذ لم تكن واحده مما مرّ.

تعطيل عثمان الحد في القصاص

أخرج البيهقي في السنن الكبرىٰ ج ٨ ص ٦١ مسنداً لعبيدالله بن عمير ، انه لما طعن عمر بن الخطاب بيد أبي لؤلؤة وثب عبيد الله بن عمر علىٰ الهرمزان فقتله ، فقيل لعمر انّ عبيد الله بن عمر قتل الهرمزان . قال : ولم قتله ؟ قال : انه قتل أبي . قيل : وكيف ذلك ؟ قال : رأيته قبل ذلك مستخلياً بأبي لؤلؤة وهو أمره بقتل أبي . وقال عمر : ما أدري ما هذا انظروا إذا أنا مت فاسألوا عبيد الله البينة علىٰ الهرمزان ، هو قتلني ؟ فان أقام البينة فدمه بدمي ، وإن لم يقم البينة فاقيدوا عبيد الله بالهرمزان . فلما ولي عثمان قيل له : ألا تمضي وصية عمر في عبيد الله بن

عمر . قال : ومن ولي الهرمزان ؟ قالوا : أنت يا أميرالمؤمنين . فقال : قد عفوت عن عبيد اللّٰه بن عمر .

وعن اليعقوبي في تاريخه ج ٢ ص ١٤١ انّ الناس اكثروا اللغط في دم الهرمزان وامساك عثمان عن عبيد اللّٰه بن عمر ، فصعد عثمان المنبر فخطب الناس ثم قال : ألا اني ولي دم الهرمزان وقد وهبته للّٰه ولعمر وتركته لدم عمر . فقام المقداد بن عمرو فقال : ان الهرمزان مولىٰ للّٰه ولرسوله وليس لك أن تهب ما كان للّٰه ولرسوله . قال : فننظر وتنظرون ، ثم أخرج عثمان عبيد اللّٰه بن عمر من المدينة إلى الكوفة وأنزله داراً فنسب الموضع إليه «كويفة ابن عمر» .

وفي طبقات ابن سعد ج ٥ ص ٨ ـ ١٠ طبع ليدن ، يذكر قتل عبيد اللّٰه بن عمر الهرمزان وابنة أبي لؤلؤة وهي مسلمة وأراد أن لا يترك سبياً في المدينة إلّا قتله وأقسم علىٰ ذلك فزجروه واشتدوا عليه كما عرض يقتل بعض المهاجرين فأخذوا سيفه وحبسوه ، بعد أن تخاصم مع سعد وغيره ، وكل ذلك قبل موت عمر وخلال أيام الشورىٰ وعظم علىٰ المسلمين فعله .

وعن أبي وجزة عن أبيه قال : رأيت عبيد اللّٰه آنذاك وهو يناجي عثمان ، وعثمان يقول له : قاتلك اللّٰه قتلت رجلاً يصلي وصبية صغيرة وآخر في ذمة رسول اللّٰه ، ما في الحق تركك ، قال : فعجبت لعثمان حين ولي كيف تركه .

وكان رأي علي والصحابة قتله بمن قتل .

وأخرج ذلك الطبري في تاريخه ج ٥ ص ٤١ وذكر عثمان ثم عفوه عنه فهجا زياد بن لبيد البياض ، وهو من الأنصار عبيد اللّٰه بن عمر بذلك فنهاه عثمان عن ذلك فأجاب عثمان شعراً فنهاه عثمان ، فقال في عثمان شعراً يلومه . ذكر ذلك ابن الأثير في الكامل ج ٢ ص ٣١ .

وعمل عثمان ذلك كان خلاف نص القرآن الصريح والسنّة ومخالفة أعاظم

الصحابة وفي مقدمتهم الامام علي وهو الذي قال فيه رسول اللّهﷺ : **«أقضاكم علي»** . و **«علي مع الحق والحق مع علي»** . **«أنا مدينة العلم وعلي بابها»** .

وقد مرت أسناد ذلك في الكتاب الأول والثاني .

وما طرق ذلك سماع أمير المؤمنين علياً في حكم عثمان في عبيد اللّه الذي قتل ثلاثة مسلمين أبرياء حتى قال : **«سبحان اللّه لقد بدأها عثمان . أيعفو عن حق امرئ ليس بواليه ! تاللّه ان هذا لهو العجب»**، أخرجه عوانة في كتاب الشورىٰ والجوهري في كتاب زيادات السقيفة عن الشعبي .

مخالفته للنص في الجنابة

أخرج البخاري في ج ١ ص ١٠٩ في صحيحه : سُئل عثمان بن عفان عن الرجل يجامع فلا ينزل . فقال : ليس عليه غسل . ثم قال : سمعته من رسول اللّه . ونسب القول أيضاً مؤيداً بالامام علي بن أبي طالب وطلحة بن عبيد اللّه والزبير ابن العوام وأبي بن كعب .

واختصر مسلم في صحيحه ج ١ ص ١٤٢ ان زيد بن خالد الجهني أخبر عطاء ابن يسار أنه سأل عثمان بن عفان : أرأيت إذا جامع الرجل امرأته ولم يُمْنِ ؟ قال عثمان : يتوضأ كما يتوضأ للصلاة ويغسل ذكره . قال عثمان : سمعته من رسول اللّه .

وقد مر ذكر ذلك في كتاب عمر الذي وقع في نفس المأزق وسأل عائشة فقالت: بوجوب الغسل باعتباره جنابة . وما نسب للامام علي علىٰ اسناد رأي عثمان فمكذوب عليه ، وقد مرت دلائل ذلك في كتاب عمر الذي وقع بنفس المأزق . وقد كان الامام علي رد عمر عن رأيه ذلك .

والحقيقة ان ذلك يقوم علىٰ نص الآية (٤٣) من سورة النساء : **﴿لا تقربوا الصلاة وأنتم سكارىٰ حتىٰ تعلموا ماتقولون ولاجنباً إلّا عابري سبيل حتى تغتسلوا﴾**.

وقد أيد الشافعي في كتاب الأم ج ١ ص ٣١ فأوجب اللّٰه عزوجل الغسل من الجنابة فكان معروفاً في لسان العرب ان الجنابة الجماع ، وان لم يكن مع الجماع ماء دافق ، كذلك هذا في حد الزنا وايجاب المهر وغيره .

وفي هامش كتاب الأم ج ١ ص ٣٤ فكان الذي يعرفه من خوطب بالجنابة من العرب انها الجماع دون الانزال .

وفي تفسير القرطبي ج ٥ ص ٢٠٤ الجنابة : مخالطة الرجل المرأة .

وفي لفظ عن ابي هريرة : إذا التقىٰ الختان بالختان وجب الغسل ، أنزل أم لم ينزل . وله ألفاظ أخرىٰ تعود لنفس المعنىٰ .

وأخرج أحمد : إذا جلس بين شعبها الأربع ثم جهد فقد وجب الغسل .

راجع صحيح البخاري ج ١ ص ١٠٨ ، وصحيح مسلم ج ١ ص ١٤٢ ، وسنن الدارمي ج ١ ص ١٩٤، وسنن البيهقي ، ومسند أحمد ج ٢ ص ٢٣٤ و ٣٤٧، والمحلىٰ لابن حزم ، والاعتبار له أيضاً ص ٣٠ ، وغيرها .

وعن ابن موسىٰ : يوجب الغسل إذا مس الختان الختان .

وأسند ذلك لأم المؤمنين عائشة . أخرجه مسلم في صحيحه ج ١ ص ١٤٣ وأحمد في مسنده ج ٦ ص ١١٦ .

كما جاء في موطأ مالك ج ١ ص ٥١ ، وكتاب الأم للشافعي ج ١ ص ٣٢ و ٣٣ ، وسنن البيهقي ، والمحلىٰ ، ومصابيح البغوي ، وسنن النسائي ، وأيضاً عن أم كلثوم عن عائشة . جاء في صحيح مسلم أعلاه والبيهقي أعلاه .

وعن عمر وعائشة وابن عمر ، أخرجه الترمذي ج ١ ص ١٦١ .

ونفس المعنىٰ أخرجه ابن ماجة في سننه ج ١ ص ٢١١ ، ومسند أحمد ج ٦ ص ٤٧ و ١١٢ و ١٦١ .

وهناك مصادر كثيرة أخرىٰ من مصادر شتىٰ تؤيد ذلك .

يأخذ الزكاة على الخيل خلاف السنّة

وكان عثمان فرض الزكاة على الخيل . أخرج ذلك البلاذري في الأنساب ج ٥ ص ٢٦ ، وهذا استوجب انكار الصحابة منه ، كما أنكروا عليه فيما مضى ، إذ أن الثابت أن رسول اللهﷺ وضع الزكاة عن الخيل وعن الرقيق .

فقد جاء في لفظ البخاري : ليس على المسلم في فرسه وغلامه صدقة .

وفي لفظ ابن ماجة : قد تجوزت لكم عن صدقة الخيل والرقيق .

وفي لفظ مسلم : ليس على المسلم في عبده ولا في فرسه صدقة .

وله أيضاً : ليس على المرء المسلم في فرسه ومملوكه صدقة .

وفي لفظ أبي داود : ليس في الخيل والرقيق زكاة سوى زكاة الفطر في الرقيق .

وفي لفظ الترمذي : ليس على المسلم في فرسه ولا في عبده صدقة .

وفي لفظ النسائي كلفظ مسلم ، وللنسائي ألفاظ أخرى بنفس المعنى .

ولأحمد إمام الحنابلة ، وابن ماجة ، والبيهقي ، ومسند عبد الله بن وهب . ومثله ابن أبي شيبة نفس المعنى .

وهناك ما هو أوسع وذلك منع الزكاة عن الجبهة (الخيل) ، والكسعة (البغال والحمير) ، والنخة (المربيات في البيوت) .

أخرجه الطبراني في الكبير ، والبيهقي في السنن ج ٤ ص ١١٨ . كذلك راجع صحيح البخاري ج ٣ ص ٣٠ ـ ٣١ ، وصحيح مسلم ج ١ ص ٣٦١ ، وصحيح الترمذي ج ١ ص ٨٠ ، وسنن أبي داود ج ١ ص ٢٥٣ ، وسنن ابن ماجة ج ١ ص ٥٥٥ و ٥٥٦ ، وسنن النسائي ج ٥ ص ٣٥ ـ ٣٧ ، وسنن البيهقي ج ٤ ص ١١٧ ، ومسند أحمد ج ١ ص ٦٢ و ١٢١ و ١٣٢ و ١٤٥ ـ ١٤٨ و ج ٢ ص ٢٤٣ و ٧٩ و ٤٠٧ و ٤٣٢ ، وكتاب الأم للشافعي ج ٢ ص ٢٢ ، وموطأ مالك ج ١ ص ٢٠٦ ، وأحكام القرآن للجصاص ج ٣ ص ١٨٩ ، وعمدة القارئ للعيني ج ٤ ص ٣٨٣ .

والمحلّىٰ لابن حزم ج ٥ ص ٢٢٩.

وقد أجمعت المذاهب والجمهور علىٰ أن لا زكاة علىٰ الخيل، سوىٰ الحنفية فرضوا الزكاة علىٰ الاناث أو الاناث والذكور السائمة غير المعلوفة وقد خالف أبو حنيفة في ذلك أبو يوسف ومحمد بأنه لا زكاة علىٰ الخيل مطلقاً. لأن قول أبي حنيفة لم يقم علىٰ دليل.

راجع بذلك أحكام القرآن للجصاص ج ٣ ص ١٨٨، والبدائع لملك العلماء ج ٢ ص ٢٤، والعمدة للعيني في ج ٤ ص ٣٨٣.

عثمان يغيّر سنّة الخطبة

كانت الخطبة في عهد رسول الله ﷺ وعهد أبي بكر وعمر تخطب بعد الصلاة فبدّلها عثمان وقدمها علىٰ الصلاة وتبعه علىٰ ذلك معاوية وعماله ومروان وبقية خلفاء الأمويين.

راجع بذلك فتح الباري لابن حجر ج ٢ ص ٣٦١، والشوكاني في نيل الأوطار ج ٣ ص ٣٦٢، والسيوطي في الأوائل، وتاريخ الخلفاء، والسكتواري في محاضرة الأول ص ١٤٥.

وقد ثبت أن رسول الله ﷺ وأبو بكر وعمر كانوا يقدمون الصلاة علىٰ الخطبة، وكانت تلك سنّة نبوية تفسح المجال للمصلين ان من صلىٰ إذا شاء يبقىٰ ليسمع الخطبة أو يتركها ذاهباً لقضاء حاجاته.

راجع بذلك صحيح البخاري ج ٢ ص ١١١، وصحيح مسلم ج ١ ص ٣٢٥، وموطأ مالك ج ١ ص ١٤٦، ومسند أحمد ج ٢ ص ٣٨، وكتاب الأم للشافعي ج ١ ص ٣٠٨، وسنن ابن ماجة ج ١ ص ٣٨٦ ـ ٣٨٧، وسنن البيهقي ج ٢ ص ٢٩٦ ـ ٢٩٨، وسنن الترمذي ج ١ ص ٧٠، وسنن النسائي ج ٣ ص ١٨٣ ـ ١٨٦، والمحلىٰ لابن حزم ج ٥ ص ٨٥، وسنن ابن ماجة ج ١ ص ٣٨٩، وأيضاً سنن أبي داود ج ١ ص ١٨٠، وسنن النسائي ج ٣ ص ١٨٥، وسنن البيهقي ج ٣ ص ٣٠١، والمحلىٰ ج ٥ ص ٨٦.

بنو أمية تقدم الخطبة على الصلاة

مخالفة عثمان لسنّة الخطبة وتقدّمها على الصلاة أصبحت عاملاً سياسياً ، قال ملك العلماء في بدايع الصنايع ج ١ ص ٢٧٦ : انما أحدث بنوا أمية الخطبة قبل الصلاة لأنهم كانوا يتكلمون في خطبتهم بما لا يحل ، وكان الناس لا يجلسون بعد الصلاة لسماعها ، فاحدثوها قبل الصلاة ليسمعها الناس .

وبمثل هذا قال السرخسي في المبسوط ج ٢ ص ٣٧.

وفي شرح ابن ماجة ج ١ ص ٣٨٦ قال السندي : سبب ذلك أن بني أمية كانوا يسبون في الخطبة من لا يحل سبّه ، فتفرق الناس عند الخطبة إذا كانت متأخرة لئلا يسمعوا ذلك ، فقدم الخطبة ليسمعها .

وأخرج مثل ذلك ابن حزم في المحلّى ج ٥ ص ٨٦، وهذا أوضح . وصرّح بأن الناس كانوا إذا صلوا تركوهم ولم يشهدوا الخطبة ، وذلك لأنهم كانوا يلعنون علي ابن أبي طالب عليه السلام ، فكان المسلمون يفرون ، وحق لهم ، فكيف وليس الجلوس واجباً .

هكذا سارت حيث بدأها أبو بكر باغتصاب منصب الخلافة في السقيفة باسم اجماع الأمة ، وقرّب إليه من يعينه عليها ، وأبعد أهلها .

وممن قرب أعداء الاسلام بني أمية ، وممن بعد نخبة الاسلام وأوتاده بني هاشم خيرة الصحابة .

وقدمها لقمة سائغة إلى عمر دون أي مشورة ، وهذا أوطد حكم بني أمية بمعاوية وابن العاص والمغيرة بن شعبة . وإذا به يقيم مجلساً للشورى ، ويا ليته قدمها مثل صاحبه لعثمان ! لا بل خلق فيها منافسين لعلي فوضعه الخمسة الباقية في الميزان معه ، وهو يعلم إنها تؤول لعثمان وبعدها لمعاوية (كسرى العرب) على حد قول عمر ، والذي هدد به أعضاء الشورى . وقد برهن بنو أمية بسبّهم على

المنابر لخليفة ووصي وابن عم رسول اللهﷺ والذي قال فيه: «من سبّ علياً فقد سبّني ومن سبّني فقد سبّ الله». هؤلاء بنو أمية أعداء الله ورسولهﷺ والطالحون بعضهم أولياء بعض يأمرون بالمنكر وينهون عن المعروف.

مخالفته السنّة في القصاص

إنّ السنّة الثابتة عن رسول اللهﷺ أنّه لا يقتل مؤمن بكافر، وهذا ثابت عند جميع المذاهب، سوىٰ أبي حنيفة، بزعمه أنه يطبق الآية ٤٥ من سورة المائدة قوله تعالىٰ: ﴿وكتبنا عليهم فيها ان النفس بالنفس والعين بالعين والأنف بالأنف والأذن بالأذن والسن بالسن والجروح قصاص﴾.

وبينما هو يطبق الآية في ظاهرها يناقضها في قتل الحر بالعبد، والرجل بالمرأة، يخالف الآية فيما هو أقرب إلى اتباعه.

فأبو حنيفة بينما يقول بقتل المؤمن بالكافر، يقول: إن الرجل إذا قتل عبده فلا تقتله، ويقتل ابنه فلا تقتله، ويقتل المستأمن فلا تقتله به. وكل هذه إذا أراد أن يطبق الآية هي نفوس محرمة.

وهذا ما ناقش به الامام الشافعي جماعة من أصحاب أبي حنيفة، تجده في كتاب الأم ج ٧ص ٢٩٥.

وقد ثبت عن عثمان كما أخرجه البيهقي في السنن الكبرىٰ ج ٨ ص ٣٣، من طريق الزهري أن ابن شاس الخدامي قتل رجلاً من أنباط الشام، وعندما رفع إلى عثمان أمر بقتله، فنهاه جماعة من الصحابة فأبدلها بدية ألف دينار. أخرجه الشافعي في كتاب الأم ج ٧ ص ٢٩٣.

وقد ثبت عن رسول اللهﷺ وعن علي بن أبي طالبعليه السلام عن قيس بن عباد، وعن أم المؤمنين عائشة، وعن معقل بن يسار، وابن عباس، أنه لا يقتل مؤمن

بكافر، ولا ذو عهد في عهده، وعن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده وعن عمران ابن الحصين مرفوعاً، وعن عبدالله بن عمر مرفوعاً.

أخرجه البخاري في صحيحه ج ١٠ ص ٧٨. والدارمي ج ٢ ص ١٩. وابن ماجة في سننه ج ٢ ص ١٤٥ و ١٥٥. كما جاء في سنن النسائي ج ٨ ص ٢٣. وفي سنن البيهقي ج ٨ ص ٢٨ والسنن الكبرىٰ ج ٨ ص ٢٩ و ٣٠ و ١٩٤. والترمذي ج ١ ص ١٦٩. وأحمد في مسنده ج ١ ص ٧٩ و ١١٩ و ١٢٢ و ج ٢ ص ٢١١. والشافعي في كتاب الأم ج ٦ ص ٣٣، ٩٢. والجصاص في أحكام القرآن ج ١ ص ٦٥ و ١٦٥ و ١٦٩. وابن حازم في الاعتبار ص ١٨٩ و ١٩٠. وابن كثير في تفسيره ج ١ ص ٢١٠. وأبو عاصم في الديات ص ٢٧ و ٥١. وأبو داود في سننه ج ٢ ص ٢٤٩ و ٢٥١ و ٢٥٧ (دية المعاهد نصف دية الحر). والنسائي في سننه ج ٨ ص ٢٤ و ٤٥ (عقل الكافر نصف عقل المؤمن). والشوكاني في نيل الأوطار ج ٧ ص ١٥٠ و ١٥١ و ١٥٢ و ١٥٣.

عثمان يخالف سنّة القراءة

أخرج ملك العلماء في بدائع الصنائع ج ١ ص ١١١: «إن عمر ترك القراءة في المغرب في احدىٰ الأوليتين فقضاها في الركعة الأخيرة وجهر. وعثمان ترك القراءة في الأوليتين من صلاة العشاء وقضاها في الأخيرتين وجهر».

وكررها في ص ١٧٢ بنفس المعنىٰ بلفظ آخر.

وعمل كلاهما مخالف للسنّة، وهي بنظر المذاهب وجميع الكتاب باطلة يجب اعادتها.

فبنظر الامام الشافعي في كتاب الأم ج ١ ص ٩٣: إن قراءة القارئ في الصلاة

بأم القرآن فرض ، أكان منفرداً أو اماماً ، وحتىٰ لو ترك حرفاً من أم القرآن فيعتبر أنه لم يقرأ أم القرآن .

وقال في ص ٨٩ فيمن لا يحسن القراءة : ان يقرأ سبع آيات أو ثمان .

وقال مالك في المدونة الكبرىٰ ج ١ ص ٦٨ : أن من لم يقرأ في احدىٰ الركعتين الأولىٰ والثانية فعليه أن يعيد . وان قرأ في بعضها وترك البعض أعاد أيضاً. وإذا قرأ في ركعتين وترك القراءة في ركعتين فانه يعيد الصلاة في أي الصلوات كانت ، وليس العمل علىٰ قول عمر حين ترك القراءة ورضى بحسن الركوع والسجود ، ويرىٰ انه كان فرض علىٰ عمر اعادة الصلاة .

ويرىٰ أنه يقرأ أم القرآن وسورة بعدها ، وأنه لا يقضي قراءة نسيها من ركعة في ركعة أخرىٰ وليس فيمن ترك أم القرآن في الركعتين وقد قرأ بغير أم القرآن يعيد صلاته .

واما الامام أحمد فقد أخرج ابن حزم في المحلىٰ ج ٣ ص ٢٣٦ بأن قراءة أم الكتاب فرض في كل ركعة من كل صلاة اماماً كان أو مأموماً أو منفرداً والفرض والتطوع سواء ، والرجال والنساء سواء .

أما أبو حنيفة فقال الجصاص في أحكام القرآن ج ١ ص ١٨ : قال أصحابنا الحنفية جميعاً رحمهم الله يقرأ بفاتحة الكتاب وسورة في كل ركعة من الأوليتين فان ترك فاتحة الكتاب وقرأ غيرها فقد أساء وتجز به صلاته .

وأول ابن حجر ذلك في فتح الباري : ان الحنفية يعتبرون فاتحة الكتاب فرض في السنّة حسب الآية : ﴿فاقرأوا ما تيسر منه﴾ ، فان الفرض قراءة ما تيسر . وتعيين الفاتحة إنما يثبت بالحديث فيكون واجباً يؤثم تاركه .

ورغم فساد هذا الرأي بنظر الغير فإن وجوب القراءة عندهم شرط لصحة الصلاة .

وكيفما كان فإن قراءة أم الكتاب واجبة على الامام والمأموم ، كما جاء في صحيح الترمذي ج ١ ص ٤٢ بما أقرّه مالك وابن المبارك والشافعي وأحمد واسحاق .

والقراءة بأم الكتاب فرض وها اني اذكر ما ورد عن بعض الصحابة مرفوعاً بأنه لا صلاة لمن لم يقرأ بأم القرآن ، أو لمن لم يقرأ بفاتحة الكتاب ، بالفاظ مختلفة ونفس المعنىٰ .

وممن روى عبادة بن الصمت ، وأبو هريرة ، وأم المؤمنين عائشة قولها مرفوعاً عنه ﷺ : **من صلىٰ صلاة لم يقرأ فيها بأم القرآن فهي خداج .**

وأيضاً عن أبي سعيد ، وأبي قتادة ، وسمرة بن جندب ، ورفاعة بن رافع ، ووائل بن حجر ، وعبدالله بن البزي ، وعبدالرحمن بن عثم ، والامام علي بن أبي طالب ﷺ ، وأم المؤمنين عائشة وعمرو بن شعيب ، عن أبيه عن جده عبدالله بن عمرو بن العاص ، وأبو حميد الساعدي ، وجابر بن عبدالله الأنصاري ، وعبدالله ابن عمر ، وأبي الدرداء ، وحسين بن عرفطة .

وعن ابن عباس «قوله لا تصلين حتىٰ تقرأ بفاتحة الكتاب وسورة ولا تدع أن تقرأ بفاتحة الكتاب في كل ركعة كما في الكنز ج ٤ ص ٢٠٨» .

وابن مسعود وزيد بن ثابت .

أخرج ذلك : البخاري في صحيحه ج ١ ص ٣٠٢ و ج ٢ ص ٥٥ . مسلم في صحيحه ج ١ ص ١٥٥ و ١٥٦ و ١٧٧ و ١١٧ و ١٤٢ و ١١٦ . أبو داود في صحيحه ج ١ ص ١٣١ ، وفي سننه ج ١ ص ١٣٠ و ١٢٨ و ١٢٤ و ١٣٧ و ١٢٥ و ١٢٧ و ١١٩ و ١١٦ . الترمذي في سننه ج ١ ص ٣٤ و ٤١ و ٤٢ ، وفي صحيحه ج ١ ص ٣٢ و ٣٤ و ٤٢ . النسائي في سننه ج ٢ ص ١٣٥ و ١٣٧ و ١٣٨ و ١٦٥ و ١٦٦ و ١٦٣ و ١٣٣ . والدارمي في سننه ج ١ ص ٢٨٣ و ٢٩٦ و ٨٣ و ٣١٣ .

ابن ماجة في سننه ج ١ ص ٢٧٦ و ٢٧٧ و ٢٧٥ و ٢٧٨ و ٢٧١ و ٢٨٣. البيهقي في سننه ج ٢ ص ٣٨ و ٦١ و ١٦٤ و ٣٩ و ٤٠ و ١١٣ و ١٥٩ و ١٦٧ و ٣٧ و ٥٩ و ٦٠ و ٦٣ و ٦٦ و ١٩٣ و ١٩٦ و ٣٤٥. الامام أحمد في مسنده ج ٥ ص ٣١٤ و ٣٢١ و ج ٢ ص ٢٤١ و ٢٨٥ و ٤٢٨ و ٣٤٣ و ٣٤٨ و ٢٠٤ و ٢١٥ و ج ٦ ص ١٤٢ و ٢٧٥ و ج ٣ ص ٤٠٧. الامام الشافعي في كتاب الأم ج ١ ص ٩٣. ابن حزم في المحلىٰ ج ٣ ص ٢٣٦ و ٢٥٦. البغوي في المصابيح ج ١ ص ٥٧. موطأ مالك ج ١ ص ٨١ و ٨٠. ومالك في المدونة الكبرىٰ ج ١ ص ٧٠ ومصابيح السنّة ج ١ ص ٥٧ و ٥٦. والحاكم في المستدرك ج ١ ص ٢٣٩ و ٢١٥. وكنز العمال ج ٤ ص ٩٥ و ٩٦ و ج ٥ ص ٩٥ و ج ٤ ص ٢٥١ و ٢٠٧ و ٢٠٨. وتيسير الوصول ج ٢ ص ٢٢٣ و ٢٢٩. ومجمع الزوائد للهيثمي ج ٢ ص ١٣٠ و ١١٧ و ١١٥. الجصاص في أحكام القرآن ج ١ ص ٢٣.

اجتهاده في مورد النص

قال الله عزوجل في محكم كتابه العزيز (سورة النساء، الآية : ١٠١) : ﴿وإذا ضربتم في الأرض فليس عليكم جناح أن تقصروا من الصلاة﴾ .

راجع في ذلك التفاسير، ومنها تفسير ابن جرير ج ٥ ص ١٥٥، ومقدمات المدونة الكبرىٰ لابن رشد ج ١ ص ١٣٦، وتفسير ابن عطية، وتفسير القرطبي ج ٥ ص ٣١٢، والدر المنثور ج ٢ ص ٢٠٩ و ٢١٠، وتفسير الشوكاني ج ١ ص ٤٧١، وتفسير الآلوسي ج ٥ ص ١٣٤، وتفسير ابن كثير ج ١ ص ٥٤٤.

فالآية مطلقة لكل مسافر دون تخصيص، فهي نص من الله لا يجوز قيدها أو تخصيصها إلّا بنص.

وهذا ما يراه جميع المفسرون وأئمة المذاهب وأتباعهم ، راجع بذلك أيضاً ابن حزم في المحلىٰ ج ٤ ص ٢٦٤ ، وأحكام القرآن للجصاص ج ٢ ص ٣١٢ ، وبداية المجتهد لابن رشد ج ١ ص ١٦٣ ، والبدائع لملك العلماء ج ١ ص ٩٣ ، وتفسير الخازن ج ١ ص ٤١٣ .

بعد هذا نرىٰ عثمان يجتهد في مورد النص ويقيّد الآية ويخصصها .

راجع بذلك القريب لابي عبيد الله ، كما أخرج ذلك عبد الرزاق والطحاوي ، وابن حزم ، عن أبي المهلّب قال : كتب عثمان : انه بلغني أن قوماً يخرجون اما لتجارة ، أو جباية ، أو لحشريّة ، يقصرون الصلاة ، وإنما يقصر الصلاة من كان شاخصاً أو بحضرة عدوه .

وفي لفظ ابن حزم : ان عثمان كتب إلى عماله : لا يصلي الركعتين جاب ولا تاجر ولا ثان ، انما يصلي الركعتين ... الخ .

وفي لسان العرب ، في حديث عثمان انه قال : لا يغرنكم جشركم في صلاتكم، فانما يقصر الصلاة من كان شاخصاً أو يحضره عدو(١) .

راجع تاج العروس ج ٣ ص ١٠٠ و ج ٤ ص ٤٠١ ، وكنز العمال ج ٤ ص ٢٣٩ ، ولسان العرب ج ٥ ص ٢٠٧ ، ونهاية ابن الأثير ج ٢ ص ٣٢٥ ، ومحلىٰ ابن حزم ج ٥ ص ١ ، وسنن البيهقي ج ٣ ص ١٢٦ و ج ٣ ص ١٣٧ .

وفيها عن طريق قتادة ، عن عياش المخزومي ، كتب عثمان إلى بعض عماله : انه لا يصلي الركعتين المقيم ولا البادي ولا التاجر ، إنما يصلى الركعتين من معه الزاد والمزاد .

---

(١) قال أبو عبيد : الجشر القوم يخرجون بدوابهم إلى المرعىٰ، ويبيتون مكانهم، ولا يأوون إلى البيوت .

عثمان يخالف النص

قال تعالىٰ في سورة المائدة الآية (٩٦) : ﴿وحرّم عليكم صيد البر مادمتم حُرُماً﴾ .

ولكن عثمان قدم له صيد وهو حرم في إحدىٰ حجاته فأكل منه .

جاء في لفظ لابن جرير : حج عثمان بن عفان فحج علي معه ، فأتىٰ عثمان بلحم صيد صاده حلال ، فأكل منه ، ولم يأكله علي ، فقال عثمان : واللّٰه ما صدنا ولا أمرنا ولا أشرنا ، فقال علي : ﴿وحرّم عليكم صيد البر مادمتم حُرُماً﴾ .

وورد نفس المعنىٰ بألفاظ متعددة عن الامام أحمد بن حنبل ، عن عدة طرق باسناد صحيحة ، عن عبداللّٰه بن الحارث بن نوفل ، وعبداللّٰه بن الحرث .

وفي لفظ الامام الشافعي ، وفي لفظ البيهقي ،كما أخرج ذلك الطبري من طريق صبيح بن عبداللّٰه العبسي ، ويظهر من عثمان انه رغم منع أجلّ الصحابة له من أكل الصيد وهو حرم فانه كرر أكله .

فقد أخرج سعيد بن منصور كما ذكره ابن حزم من طريق بسر بن سعيد قال : إن عثمان بن عفان كان يصاد له الوحش علىٰ الجنادل ثم يذبح فيأكله وهو محرم سنتين من خلافته ، ثم أن الزبير كلمه فقال : ما أدري ما هذا يصاد لنا ومن أجلنا ، لو تركناه ، فتركه .

واني أترك للقارئ الكريم أن يوجه عمل الخليفة هذا أمام النص ، فاما أن يكون جاهلاً به وعلىٰ الخليفة أن يكون أفقه الأمة ، ولكنه رغم اعتراض أجلّ الصحابة مثل الامام علي وردعه فانه كان يكرر ذلك . وانه كان يقابل الامام بكلمات قاسية ، كقوله له : انك كثير الخلاف علينا .

فكيف نفسر له فعله واصراره واعراضه أمام النص ، وأمام أعلم الأمة ووصي رسول اللّٰه ﷺ وباب مدينة علمه ؟ .

وإذا ما راجعت تفسير القرطبي ج ٦ ص ٣٢١ و ٣٢٢ لوجدت حرمة الصيد بكل وجوهه ، من صيد وامتلاك وأكل و... الخ .

ونؤيد ذلك بما ورد في الصحاح والتفاسير والمسانيد ومنها : عن أجل وأشهر الصحابة مثل ابن عباس والصعب بن جنامة ، وعن سعيد بن جبير ، وعبدالله بن الحرث ، وعن هشام بن عروة عن أبيه ، وعن عائشة أم المؤمنين ، وعن نافع ، بألفاظ ومصادر متعددة . أخرجها مسلم في صحيحه ج ١ ص ٤٤٩ . والامام أحمد في مسنده ج ٤ ص ٣٧ و ج ١ ص ٢٩٠ و ٣٣٨ و ٣٤١ و ١٠٥ . والدارمي في سننه ج ٢ ص ٣٩ . وابن ماجة في سننه ج ٢ ص ٢٦٢ و ٢٦٣ . والنسائي في سننه ج ٥ ص ١٨٤ و ١٨٥ . والبيهقي في سننه ج ٥ ص ١٩٢ من عدة طرق و ١٩٣ و ١٩٤ . وأحكام القرآن للجصاص ج ٢ ص ٥٨٦ . والطبري في تفسيره ج ٧ ص ٤٨ . وتيسير الوصول ج ١ ص ٢٧٢ و ٢٧٣ . ومسند الطيالسي ص ١٧١ . وابن حزم في المحلىٰ ج ٧ ص ٢٤٩ و ٢٥٠ . والقرطبي في تفسيره ج ٦ ص ٣٢٢. ومالك في الموطأ ج ١ ص ٢٥٧ .

وقد ذكر في مكان آخر عن رسول الله ﷺ انه أجاز أكله ، فهو بين أمرين ، اما ان كان قبل نزول آية التحريم ، واما إن كان لأُناس غير محرمين ، كما جاء في صحيح مسلم ج ١ ص ٤٥٠ ، والبخاري في صحيحه ج ٣ ص ١٦٣ ، والنسائي في سننه ج ٥ ص ١٨٥ ، وابن ماجة في سننه ص ٣٦٣ ، والبيهقي في سننه ج ٥ ص ١٨٨ ، حيث كانت في عام الحديبية السادس من الهجرة في صريح لفظه .

مع العلم ان كثير من أحكام الحج إنما شرعت في السنة العاشرة في حجة الوداع .

وهذا ما أيده ابن حجر في فتح الباري ج ٤ ص ١٩ ، وسنن النسائي ج ٥ ص ١٨٥ .

راجع مستدرك الحاكم ج ٢ ص ٣١١ ، وتفسير القرطبي ج ٦ ص ٣١ ، وتفسير الزمخشري ج ١ ص ٤٠٣ ، وتفسير ابن كثير ج ٢ ص ٢ ، وتفسير الخازن ج ٢ ص ٤٤٨ ، وتفسير الشوكاني ج ٢ ص ١ .

وكلما ورد خلاف ذلك فهو مردود وموضوع لكذب راويه وضعفه ، أو غرض يريد فيه الدس والتحريف والتدليس ويخالف صريح الآية .

جهله للنص والسنّة

أخرج أحمد في مسنده ج ١ ص ١٠٤ ، وابن كثير في تفسيره ج ١ ص ٤٧٨ ، وجاء في كنز العمال ج ٣ ص ٢٢٧ ، عن أحمد والدورقي من طريق الحسن بن سعد عن أبيه ، أن يحيىٰ وصفية وهما من بني الحمس ... فولد لصفية حين زنت برجل من الحمس غلام فرفعت دعوىٰ في يحيىٰ والرجل الزاني إلى عثمان بالولد ، فرفعها عثمان للامام علي فقضىٰ بها بقول رسول الله ﷺ : **«الولد للفراش وللعاهر الحجر»** وجلدهما خمسين خمسين باعتبار الآية الشريفة وقوله تعالىٰ : **﴿ومن لم يستطع منكم طولاً أن ينكحَ المحصناتِ المؤمناتِ فمن ما ملكت أيمانكم من فتياتكم المؤمنات والله أعلم بإيمانكم بعضكم من بعض فانكحوهنّ بإذن أهلهنّ وآتوهنّ أجورهنّ بالمعروفِ محصناتٍ غير مسافحاتٍ ولا متخذاتِ أخدان فإذا أحصن فان أتين بفاحشة فعليهنّ نصف ما على المحصناتِ من العذاب﴾** سورة النساء الآية (٢٥) .

ولما كانا مملوكين ، والأصل في الآية الشريفة **﴿الزانية والزاني فاجلدوا كلَّ واحدٍ منهما مئة جَلدةٍ﴾** سورة النور الآية (٢) ، فعلىٰ المملوك والمملوكة النصف ، وعلىٰ هذا الأساس جلدا خمسين خمسين .

وهنا صعب علىٰ عثمان درك الأمر لذا رفع الأمر في هذه المرة لمن

حكم بها بالعدل الالهي ويا ليته سار على هذه العدالة ولم يجلس مجلس وصي رسول اللّٰهﷺ ويغير في أعماله وفتاواه أحكام اللّٰه وسنن نبيه ، ويظلم الأمة .

عثمان يخالف النص في العدّة

فاصل الطلاق يعود للآية الكريمة : **﴿والمطلقات يتربصن بأنفسهن ثلاثة قروءٍ﴾** سورة البقرة الآية (٢٢٨) ، في هذه الآية لم يستثن أي نوع من أنواع الطلاق عن هذه القاعدة ، لأن الطلاق اما أن يكون من طرف الزوج ، فهو رجعي ، أو من قبل الزوجة وحسب ، فهو خلعي ، أو من قبل الزوجين معاً ، فهو مباراة ، والآية تشملها جميعاً بقوله تعالىٰ : **﴿والمطلقات﴾** .

ولم نجد في جميع المذاهب استثناءً ، بيد أن عثمان حكم في المختلعة أن لا تنكح حتىٰ حيضة .

راجع بذلك سنن ابن ماجة ج ١ ص ٦٣٤ ، والبيهقي ج ٧ ص ٤٥٠ ، وزاد المعاد لابن القيم ج ٢ ص ٤٠٣ ، وكنز العمال ج ٢ ص ٢٢٣ ، ونيل الأوطار ج ٧ ص ٣٥ . وتفسير ابن كثير ج ١ ص ٢٧٦ ، نقل ذلك بالفاظ مختلفة ونفس المعنىٰ .

ولم نجد اختلافاً في ذلك بين الصحابة والتابعين فمن أين جاء عثمان ما خالف به نص الآية الكريمة ؟ .

وقال الترمذي في صحيحه ج ١ ص ١٤٢ ، وتابعه عليه جميع الصحابة والكتاب ، بأن الخلع طلاق ، فعلىٰ المخلوعة العدة كسائر المطلقات .

وهناك اعتذار غير مقبول لعثمان ارادوا له مخلصاً دون دليل ولا اثبات برواية باطلة لا أثر لها في محل النص المحكم .

جهله للنصوص والسنّة

ولقد ثبت فيما مر في كتاب عمر عن جهله بالنصوص والسنّة وبعده عن الآراء الصائبة ، في حين أنه كان رغم كل ذلك أعلم من عثمان فيما يعلم ، حتىٰ قال العيني في عمدة القارئ ج ٢ ص ٧٣٣ : ان عمر كان أعلم وأفقه من عثمان ، وقد ثبت لعثمان أنه كان مثل عمر بل واشد منه تذبذباً في الاستفادة من النص والسنّة والاجتهاد ، فهو باعتباره في منصب خليفة رسول اللهﷺ يجب أن يكون أعلم الأمة في جميع ما مر من أحكام الشرع ، بينما نجده يضطر ليستمد رأيه من أقل الصحابة ، بل ويتجاوز ذلك إلى استفتاء النساء .

كما سأل أبياً عن رجل طلق زوجته ثم راجعها حينما دخلت في الحيضة الثالثة، وأخذ برأيه . راجع بذلك السنن الكبرىٰ للبيهقي ج ٧ ص ٤١٧ .

ويسأل عثمان فريعة بنت مالك بن سنان عن عدة الميت ويأخذ برأيها ، وهو أربعة أشهر وعشرة أيام .

هذا ويحيط بعثمان المهاجرون والأنصار ، وبالقرب منه وصي رسول اللهﷺ وأعلم الأمة بعد رسول الله عليﷺ . راجع بذلك موطأ مالك ج ٢ ص ٣٦ ، ورسالة الشافعي ص ١١٦ ، وكتاب الأم ج ٥ ص ٢٠٨ ، وسنن أبي داود ج ١ ص ٣٦٢ ، وسنن البيهقي ج ٧ ص ٤٣٤ ، وأحكام القرآن للجصاص ج ١ ص ٤٩٦، وزاد المعاد ج ٢ ص ٤٠٤، والاصابة ج ٤ ص ٣٨٦، ونيل الأوطار ج ٧ ص ١٠٠.

يخالف النص في الجمع بين الأختين

سورة النساء الآية (٢٣) ، قوله تعالىٰ : ﴿وأنْ تجمعوا بين الأختين﴾ وهي مطلقة لم يستثن فيها الحرة والأمة ، واتفق عليه الفقهاء ، من كافة المذاهب ، كما نجد ذلك في تفسير ابن كثير ج ١ ص ٤٧٣ ، وتفسير الشوكاني ج ١ ص ٤١١ ، ومن قبله

لا يجوز الجمع عند كافة الصحابة كما جاء في بدائع الصنائع ج ٢ ص ٢٦٤ .

أما عثمان فأحل الجمع وخالف بذلك النص أعلاه . راجع بذلك موطأ مالك ج ٢ ص ١٠ .

كما أخرج ذلك ملك العلماء في البدائع . وقد سئل أعلم الأمة عن ذلك وهو علي بن أبي طالب عليه السلام راجع الجصاص في أحكام القرآن ج ٢ ص ١٥٨ ، وأبو عمر في الاستذكار ، وابن كثير في تفسيره ج ١ ص ٤٧٢ ، والسيوطي في الدر المنثور ج ٢ ص ١٣٧ .

وقد أوعز من أراد تخليص عثمان في اباحة جواز الأختين في ملك اليمين اسناد ذلك إلى الآية الشريفة (٦) من سورة المؤمنين قوله تعالىٰ : **﴿إلاّ علىٰ أزواجهم أو ما ملكت أيمانهم فإنهم غير ملومين﴾** .

ولا ينكر أحد أن هذه الآية إنما وردت بقصد العفة وحفظ النظر إلى الزينة والفروج بصورة مطلقة .

وبالعكس آية التحريم آية خاصة أوجبت التحريم ، ولو كانت شملت الخاص لشملت غيرها أيضاً .

فلا يجوز إباحة وطئ الزوجة في حال الحيض والنفاس وايام شهر رمضان وفي الاحرام والايلاء والطهارة المعتدة من وطئ بشبهة ، وكذلك وطئ الأختين ، أو وطئ الأمة ذات الزوج (رغم كونها مملوكة) ، فهل يجوز لنا إباحة كل تلك بدلالة عمومية الآية ؟

وكذلك لو أخذنا بذلك وأجزناه باعتبار تلك الآية الدالة علىٰ العموم لوجب أن نبيح للمرأة المالكة أن تقارب من تملكه ، وأن يطأها ، وهذا ما يخالف عليه الجميع . وكما قال ابن حزم في المحلىٰ ج ٩ ص ٥٢٤ بحرمته اطلاقاً .

ومثلها في الحرمة الأم من الرضاع في ملك اليمين ، والأخت من الرضاع في

ملك اليمين ، أو الأمة التي يملكها الرجل وقد تزوجها أبوه فالكل محرم .

وقد أجمع الكل علىٰ حرمة الجمع بين الأختين مطلقاً ، ولم يفرّق بين الحرة والأمة .

وهكذا نرىٰ عثمان يشذ عن جميع الصحابة ويخالف النص بآراء تافهة ، وربما لم يستدل بها وإنما أوردها من بعده تخليصاً له من هذه الاباحة النكراء .

وربما خففوا عليه الأمر حينما نسبوا الاباحة إلى جهة أخرىٰ زوراً وافتراءً ودساً .

وترى كيف خلق أمثال هذه باب الشجار وخلق مخاصمات بين المسلمين .

اقطاعه فدكاً لمروان

هذه فدك وقد مر ذكرها وما شجر من أجلها بين أبي بكر وعمر وبين فاطمة بضعة رسول الله ﷺ .

فدك وهي صدقة رسول الله ﷺ التي منحها ابنته فاطمة ، والتي سلبها منها أبو بكر بعد أن قال لها : إني سمعت رسول الله يقول : نحن معاشر الأنبياء لا نورث .

وقد ثبت كذب ما ادعىٰ قولاً وعملاً . وهي أول ظليمة بعد غصب الخلافة .

نعم هذه فدك يقطعها الخليفة لمروان بن الحكم ظلماً وعدواناً ، وهي احدىٰ المسببات لنقمة الأمة علىٰ عثمان . راجع بذلك المعارف لابن قتيبة ص ٨٤ ، وتاريخ أبي الفداء ج ١ ص ١٦٨ .

وبقيت فدك بيد مروان حتىٰ عهد عمر بن عبدالعزيز حيث انتزعها من بني مروان وأعادها .

وهذا الخليفة الثالث يختلق كالأول حديثاً عن رسول الله ﷺ فيقول عن رسول الله ﷺ : «إذا أطعم الله نبياً طعمة فهي للذي يقوم من بعده» .

فإذا بعثمان يمتلكها ويملّكها أقرباءه.

وهكذا يتصرفون باسم الدين، ويكذبون على رسول اللهﷺ، ويتصرفون بما ليس لهم به حق.

راجع السنن الكبرىٰ للبيهقي ج ٦ ص ٦٠١. وأخرج ابن عبد ربه في العقد الفريد ج ٢ ص ٢٦١، ذلك وأضاف: وافتتح عثمان أفريقية وأخذ خمسه ووهبه لمروان. وراجع أيضاً شرح ابن أبي الحديد ج ١ ص ٦٧.

والحقيقة أن فدك كانت نحلة لفاطمة غصبت منها كما مر، فسلبها أبو بكر من بضعة رسول اللهﷺ، وأعانه علىٰ ذلك عمر، وتملكها عثمان.

وقد اثبتت الحوادث صحة قول بضعة رسول اللهﷺ فاطمة ومظلوميتها. وقد مرت حقائق تلك باسنادها في كتاب أبي بكر.

والظالمون بعضهم أولياء بعض يأمرون بالمنكر وينهون عن المعروف. **﴿اليوم تختم علىٰ أفواهم وتكلمنا أيديهم وتشهد أرجلهم بما كانوا يكسبون﴾**.

مخالفته الكتاب والسنّة في الأموال

فنحن نبدأ قبل كل شيء بذكر النصوص في الأموال، ثم السنّة، وبعدها نذكر اسرافه وصنيعه في أموال الله واجحافه المسلمين بصفته خليفة رسول اللهﷺ. وله الرأي والحكم كيفما يشاء دون أن يتقيد بنص أو سنّة أو عدالة أو وجدان، ومن أنكر عليه فكأنما أنكر علىٰ الله فيصليه ويرهقه مهما بلغ من العلم والقربىٰ والسابقة.

النصوص:

١ ـ سورة الأنفال الآية (٤١)، قال تعالىٰ: **﴿واعلموا انّما غنمتم من شيء فإنّ لله خمسه وللرسول ولذي القربىٰ واليتامىٰ والمساكين وابن السبيل﴾**.

٢ ـ سورة التوبة الآية (٦٠) ، قال تعالىٰ : ﴿**إنما الصدقات للفقراءِ والمساكين والعاملينَ عليها والمؤلفةِ قُلوبهم وفي الرقابِ والغارمينَ وفي سبيل اللّٰه وابن السبيلِ فريضةً من اللّٰهِ واللّٰه عليم حكيم**﴾ .

٣ ـ سورة الحشر الآية (٦ و ٧) ، قال تعالىٰ : ﴿**وما أفاءَ اللّٰه علىٰ رسولهِ منهم فما أوجفتم عليه من خيلٍ ولا ركابٍ ولكن اللّٰه يُسلِّطُ رُسلَه علىٰ من يشاء واللّٰه علىٰ كلّ شيء قدير * ما أفاء اللّٰهُ علىٰ رسولهِ من أهلِ القرىٰ فللّٰهِ وللرسولِ ولذي القربىٰ واليتامىٰ والمساكين وابن السبيل**﴾ .

السنة :

عن رسول اللّٰه ﷺ في الغنائم : «**للّٰه خمس وأربعة أخماس للجيش وما أحد أولىٰ من أحد ، ولا السهم تستخرجه من جنبك ، ليس أنت أحق من أخيك المسلم**» . راجع بذلك سنن البيهقي ج ٦ ص ٣٢٤ و ٣٣٦ .

وعنه ﷺ في الفيء : «**إذا جاءه فيء قسّمه من يومه فأعطىٰ ذا الأهل حظين وأعطىٰ العزب حظاً**» . راجع بذلك أيضاً سنن البيهقي ج ٦ ص ٣٤٦ ، ومسند أحمد ج ٦ ص ٢٩ ، وسنن أبي داود ج ٢ ص ٢٥ .

وفي الصدقات فالسنّة الثابتة فيها أن أهل كل بيئة أحق بصدقاتهم مادام فيهم ذو حاجة ولم يقصد من الولاية فيها الجباية ، بل هي أخذها من الأغنياء وصرفها علىٰ فقراء محالها .

قوله ﷺ لمعاذ حين أرسله إلى اليمن يدعوهم للاسلام : «**فإذا أقر ذلك بذلك فقل لهم : إن اللّٰه قد فرض عليكم صدقة أموالكم تؤخذ من أغنيائكم فترد في فقرائكم**» راجع صحيح البخاري ج ٣ ص ٢١٥ ، والأموال لأبي عبيد ص ٥٨٠ و ٥٩٥ و ٦١٢ ، والمحلىٰ لابن حزم ج ٦ ص ١٤٦ .

أما عثمان فشذّ عن النص والسنّة وحسب أن له حق التصرف المطلق في أموال

المسلمين دون النظر لذوي العسرة من أهل المحل وغيرهم. متمسكاً بكلمة حق يريد بها باطل **«الأقربون أولىٰ بالمعروف»** ولذا تراه يقدم بني الحكم وبني أمية في المناصب ويقسّم عليهم الغنائم والفيء والصدقات، وويل لمن اعترض عليه أو حاجه، ونسي الآيات القرآنية التالية من سورة المائدة (٤٤) و (٤٥) و (٤٧):

١ ـ **﴿وَمنْ لم يحكم بما أنزل اللّه فاولئك همُ الكافرون﴾**. ٢ ـ **﴿وَمنْ لم يحكم بما أنزل اللّه فاولئك همُ الظالمون﴾**. ٣ ـ **﴿وَمنْ لم يحكم بما أنزل اللّـه فـاولئك هـمُ الفاسقون﴾**.

نعم اعرض عثمان عن هذه الآيات وكأنه وهو يـجمع القـرآن لم يسـمعها أو فسرها تفسيراً ينطبق وأهدافه.

تلك كانت خلاصة وإليك الشرح:

واما عثمان فقد صدق الحديث، حديث رسول اللّه ﷺ منذ أن أتىٰ للحكم، كما صدق تنبؤات عمر المارة في الكتاب الرابع في كتاب عمر، أخص الشورىٰ، أنه وآل أمية سيتخذون عباد اللّه خولاً، وأموالهم دولاً ودينه دغلاً.

وكأنه لا نص من النصوص المارة في الكتاب ولا سنّة من السنن التي سـنّها رسول اللّه ﷺ ولا دين ولا أصول تتبع لا في الامارة ولا فـي تـوزيع الخـمس والصدقات والفيء، ولا رعاية دينية ولا أخلاقية. ولا سنّة سابقة ولا أمر بمعروف ولا نهي عن منكر، ولا قيود ورعاية حال أحد من كبار الصـحابة وصـغارهم وعالمهم وجاهلهم، وكأن ما فتح المسلمون من الشرق إلى الغرب ومن الشمال إلى الجنوب.

وليس هناك رجال من الصحابة المخلصين الغيارىٰ يطمئن لتقواهم وعـلمهم وادارتهم بنظر الخليفة سوىٰ بني أمية وآل معيط.

ويا ليت شعري كأن هذه الزمرة وهؤلاء الأفراد القلائل ما خلقوا إلّا ليستعبدوا ويتطاولوا ويستثمروا غيرهم ، كأنهم بشر خليٌ من الركون إلى الواقع والوجدان والخلق السامية ، ولا تجد بينهم إلّا فاسقاً منافقاً ، مشركاً مستهتراً ، نهماً ، طالحاً ، عدواً للّه ولرسوله .

وإني لآتيك بفرد واحد وواحد فقط منهم وهو الرجل الصالح عمر بن عبدالعزيز ، وقد انطبقت عليه الآية وحده وحده : ﴿**يخرج الطيب من الخبيث**﴾ وما عداه ارجع إلى خيرهم عثمان يقسّم البلاد الاسلامية بين أفسق عباد اللّه الملعونين الطرداء الطلقاء المستهترين شرابي الخمور وأهل الفجور من الوليد والحكم ومعاوية وسعيد وغيرهم ، الذين سنقدمهم لقرائنا الكرام ، ويقدم أموال المسلمين من الخمس والزكاة والفيء لهم ، ولهم وحدهم وهي التي يجب أن توزع في محلها .

افريقيا الواسعة وأموالها الطائلة لمروان الكافر الطريد اللعين ، ويقدم له فدكاً بعد غصبها من أهلها الشرعيين آل رسول اللّه ﷺ ويقدم له ما شاء من مختلف أموال المدينة وغيرها .

ويقدم لأبيه الحكم ما مر دون أن يخاف اللّه ورسوله واعتراضات المسلمين في ولايتهم .

وأموال المسلمين التي هي حق الجياع والفقراء والمعوزين في الشرق والغرب يقدمها لقمة سائغة لفرد واحد من المسلمين مثل مروان أو أبوه أو للوليد بن عقبة الفاجر الفاسق الزاني السكير ، ويجعله ولياً واماماً وقدوة وسيداً للمسلمين ، وفيهم من هو أشرف وأتقىٰ وأعلم وأكبر سناً وأكثر سابقة و ... الخ .

وويل لمن أراد عظته أو تذكيره أو منعه أو ردعه أو الاعتراض عليه ، نعم ويل

له مهما كان .

ولا ننسىٰ فتكه بأبي ذر الغفاري أصدق من أقلته الأرض ، الزاهد التقي البار المؤمن الفذ الصحابي العظيم ، وغيره وغيره .

ولا ننسىٰ مقابلته لسيده وامامه أعلم الأمة ووصي رسول اللّٰه ﷺ وأخوه وباب علمه ، والفاروق الأعظم والصديق ، والذي قال فيه رسول اللّٰه ﷺ : «**علي أعلمكم واقضاكم ، علي لا يحبه إلّا مؤمن ولا يكرهه إلّا منافق وكافر**» ونراه يقدم مروان عليه طريد رسول اللّٰه ولعينه ، أخبث من أقلته الغبراء .

نعم كان عثمان يعتقد أن ما يفعله مهما خالف الكتاب والسنّة والاجماع ، ومهما خالف المنطق والوجدان إنما هو حق من حقوقه المشروعة التي لا يرىٰ لأحد حق البحث فيه ، مهما بلغ من المكانة وكائناً من كان ، ومهما اجمعت عليه الأمة ، وذلك ما كان يعتقده به عمر نفسه الذي شيّد ملكه وملك بني أمية ونبّأه بما سيصيبه ، وهكذا كان .

فنرىٰ عمر يقدمها لعثمان في الشورىٰ ويحكم أمره بولاية معاوية في الشام وابن العاص في مصر كما صرّح بذلك وهدد علياً بهما ان خالف ، ومن جهة أخرىٰ فنراه ما استطاع حط من كرامة بني هاشم ولم يترك لأحدهم يداً أو امارة أو مكانة متعمداً وفعل خلاف ما قال حين قال انه يجب أن يقدم الأسبق فالأسبق ، فهي للمهاجرين قبل الأنصار ، وللبدريين ما وجدوا ، وبعدهم الاحديون ثم الأحزاب ، وهكذا وليس للطلقاء نصيب ، ولكنه عملاً قدم الطلقاء ، أبا سفيان وابنائه وعثمان وآل معيط .

أما عثمان فجعل مروان وزيره الأول ومستشاره ، ومعاوية والوليد وابن أبي السرح والحكم وسعيد ولاته وأعوانه وأخصائه ووزع بينهم أموال المسلمين وبقاع الاسلام فجعلهم القادة والولاة والسادة ولهم الأمر والنهي .

قدم ابنته لمروان واستكتبه وجعله أمينه ومستشاره ومعتمده وصاحب الحل والربط .

أية ملعبة هذه ؟ وأي دين هذا ؟ أهؤلاء خلفاء محمد ؟ من سلّطهم غير عثمان ؟ من سلّطهم غير عمر ؟ من سلّطهم غير أبي بكر ؟

لقد اثبتنا في مناظرة المأمون مع العلماء فضل علي علىٰ الجميع بعد رسول اللهﷺ ، فهو الذي نزلت فيه من الآيات المبينات ، وسبقه في الاسلام ، ووصايا رسول اللهﷺ به ، وأعماله وأقواله وشجاعته وعلمه وتقواه وبره واخلاصه للاسلام .

هذا معجزة الاسلام الذي لولاه لما قام للاسلام قائمة فمن يستطيع أن يناظره ويساويه ؟ دع عنك جميع الصحابة وما جاء به آل أمية وكالوا لأبي بكر وعمر وعثمان وبني أمية من الفضائل ورفعوهم ، وما حطوا من كرامة آل البيتﷺ رغم كل ذلك فالكل يعرفون إذا تعمقوا الحقيقة ان الرجل الأول بعد رسول الله في الاسلام إنما هو علي . وقد ضحىٰ ما ضحىٰ في زمن رسول اللهﷺ وأكبر وأعظم تضحية بعد وفاة رسول اللهﷺ إنما هو صبره وجلده وتحمله من غصب الخلافة وقبوله وصية رسول اللهﷺ وهو البطل الشجاع وذو الرأي السديد في الحروب وغيرها ؛ ومنها اليمن ، فمن فتحها وأدارها في عهد رسول اللهﷺ وعلىٰ من كان يتكئ رسول اللهﷺ في حياته .

وإذا بأبي بكر يغتصب الخلافة منه ويخالف الله ورسوله .

وإذا بعمر وهو يعترف بفضله يساويه مع أهل الشورىٰ ، ويقدم عثمان عليه ويسند ملك بني أمية .

وإذا بعثمان وما ذكرنا عنه هذا عثمان وهو يعرف فضل علي ، ويعرف انه علياً حبيب الله ورسوله ، وأن من يبغضه منافق وكافر ، ومن يحبه مؤمن . وإذا به يساويه بمروان لعين رسول الله وطريده . فيقول لعلي سيده ومولاه وأميره ان كان

مؤمناً ووليه بعد رسول الله ، نعم يقول لعلي امام مروان بن الحكم : اقد مروان من نفسك . فيقول له علي : ممّ ذا ؟ قال : من شتمه وضرب راحلته . ويقول : لم لا يشتمك ، كأنك خير منه ؟

فانظر إلى عثمان وإلى علي رغم ذلك انه علياً كان أعظم المدافعين عن عثمان . راجع الصواعق المحرقة لابن حجر ص ٢٣ . فيما أخرجه الدارقطني من طريقه عنه قال : ما كان أحداً دفع عن عثمان من علي . فقيل له (أي لمروان) : ما بالكم تسبّونه على المنابر ؟ قال : انه لا يستقيم لنا الأمر إلّا بذلك .

فكان مروان لما ولي المدينة يسبّ علياً على المنبر كل جمعة .

وكان الحسن بن علي ريحانة رسول الله ﷺ وسيد شباب أهل الجنّة المطهر من الرجس هو وأبوه وجده وأمه وأخوه في آية الطهارة ، يعلم ذلك السب فيسكت ولا يدخل المسجد إلّا عند الاقامة ، فلم يرض بذلك مروان حتى أرسل إلى الحسن في بيته بالسب البليغ له ولأبيه ، ومن ذلك قوله له : «ما وجدت مثلك إلّا مثل البغلة ليقال لها : من أبوك ؟ فتقول : أبي الفرس . فيقول الحسن للرسول : ارجع إليه فقل له : **والله لا أمحو عنك شيئاً مما قلت باني اسبّك ، ولكن موعدي وموعدك الله ، فإن كنت كاذباً فالله أشد نقمة . قد أكرم جدي أن يكون مثلي مثل البغلة ... الخ»** .

ولم يختلف من المسلمين اثنان في أن سب الامام ولعنه من الموبقات ، وإذا صح ما قاله ابن معين كما حكاه ابن حجر في تهذيب التهذيب ج ١ ص ٥٠٩ من أن كلّ من شتم عثمان أو طلحة أو أحداً من أصحاب رسول الله ﷺ دجّال لا يكتب عنه وعليه لعنة الله وملائكته والناس أجمعين .

أليس علي نفس رسول الله في آية الكساء وآية المباهلة ؟ فهل لعن اللعين سوى نفسه ، وعليه لعنة الله أبد الآبدين .

ولا زال مروان من ألد أعداء رسول الله وأهل بيته ولم يأل جهداً من ايذائهم

يداً ولساناً وقلباً .

فويل لم جرّأ هذا اللعين وآل أمية علىٰ الاسلام وعلىٰ أئمة الاسلام ، والظالمين بعضهم أولياء بعض يأمرون بالمنكر وينهون عن المعروف ، صدق اللّٰه ورسوله .

انه الوزغ ابن الوزغ واللعين ابن اللعين ومن قربه ودافع عنه واللّٰه لهم بالمرصاد.

وقد قال مولانا أميرالمؤمنين عليه السلام : **«إن مروان سيحكم وان حكمه كلعقة كلب»** ، فحكم فكان مدة حكمة تسعة أشهر ، وولي وجاء بنيه يبدأهم عبدالملك أخبث وألعن من أبيه ، وويل له ولأبيه لما قاساه المسلمون علىٰ يده ويد عماله ، كالحجاج في الكوفة ، وعملوا وظلموا وحسبوا انها ستدوم لهم ، فولوا في نقمة من اللّٰه وبلاء وبعداً للقوم الظالمين .

قال ابن الوردي وما أحسن ما قال :

ان اهنىٰ عيشة قضيتها ذهبت لذاتها والاثم حل

وقد ظل لهم الخزي والعار لهم ولشيعتهم وأتباعهم ، أمثال الحجاج ، واللّٰه لهم وهو خصيمهم وخصيم من تعمد باعطائهم القدرة والسلطة ، ومن هيّأها من البدء .

إن كان لكل فرد منهم عذراً وهم حاكمون ومحاطون ومحدقون بأعوانهم من أهل السوء والشر فمن لهم اليوم وهم أذلاء محقرون ؟ فالويل لهم وسوء المنقلب والعاقبة للمتقين .

جاء في صحيح البخاري ج ٥ ص ٢٨ ، والأموال ص ٣٣١ لأبي عبيد ، وفي سنن البيهقي ج ٦ ص ٣٤٠ ـ ٣٤٢ ، وسنن أبي داود ج ٢ ص ٣١ ، ومسند أحمد ج ٤ ص ٨١ والمحلىٰ ، عن جبير بن مطعم :

انّ رسول اللّٰه صلى الله عليه وآله لما قسم سهم ذي القربىٰ بين بني هاشم وبني المطلب قال جبير : أتيته وعثمان (أي مع عثمان) فقلت : يا رسول اللّٰه ، هؤلاء بنو هاشم لا

ينكر فضلهم لمكانك الذي وضعك اللّٰه به منهم . أرأيت بني المطلب أعطيتهم ومنعتنا ؟ وإنما نحن وهم منك بمنزلة واحدة . فقال : **انهم لم يفارقوني أو لم يفارقونا في جاهلية ولا اسلام** ، وإنما هم بنو هاشم وبنو المطلب شيء واحد . وشبك بين اصابعه . ولم يقسم لبني عبد الشمس ولا لبني نوفل من ذلك الخمس شيئاً لما قسم لبني هاشم وبني المطلب .

وهل جاز لهما أن يطلبا رسول اللّٰهﷺ المساواة في القسم وهؤلاء بني هاشم وبني عبد المطلب جميعاً يحاصرون من بني عبد الشمس في شعب أبي طالب وهؤلاء بنو عبد الشمس الكفرة الفجرة المشركين ألد خصوم رسول اللّٰه في الجاهلية والطلقاء في الاسلام ، وهم الملعونون الطرداء ، ومنهم الهمزة اللمزة ومنهم الوزغ ابن الوزغ علىٰ لسان رسول اللّٰهﷺ ، وبينهم المنافقون الذين يتربصون للوقيعة بالاسلام في العهدين ، وهل يجازى من أتى الحسنة كما جاء بالسيئة ؟ وهل يتساوىٰ الصالحون والطالحون ؟ فإذا كانت هذه نظرة عثمان وتعصّبه أمام رسول اللّٰهﷺ فما ترجو منه بعده وما ترجوه منه إذا أخذ بمقاليد الأمور ؟

هذا عثمان الذي يعرف ما نزل في علي وعترة رسول اللّٰهﷺ ، من آية المودة والذكر الحكيم وما مدح به علياً وبنيه وذريته ورفع مكانتهم . وكيف ذم هؤلاء ؟ الأرجاس ألد أعداء الاسلام ، فيأخذ فدكاً من بني فاطمة الزهراء وسيدي شباب أهل الجنّة وعلي ولي اللّٰه وأخو رسوله .

وهم الذين يقسمون فيأها علىٰ مستحقيه ، ويطعمون الطعام علىٰ حبه مسكيناً ويتيماً وأسيراً ؛ لما ورد في آية الدهر ، ويقدمها كأقل ما قدمه لمروان اللعين الطريد الوزغ ابن الوزغ علىٰ حد قول رسول اللّٰهﷺ ، ما ترجو بهذا الخليفة المنحرف عن حدود اللّٰه وسنّة رسوله ؟ يعين الظالمين ويسلب حقوق المسلمين ،

بل أقربهم للّه ورسولهﷺ ، فما جزاء من يعمل ذلك إلّا خزي في الدنيا وعذاب في الآخرة ؟

قال ابن قتيبة في معارفه ص ٨٤، كما جاء في تاريخ أبي الفداء ج ١ ص ١٦٨ : ان عثمان قطع فدك وهي صدقة رسول اللّهﷺ لمروان ، تلك التي كانت ميراثاً ونحلة لبضعته فاطمة الزهراءﷺ والتي سلبها منها أبو بكر وأتىٰ برواية وضعها عن رسول اللّه ، وحينما كشف أمره ووجد نفسه مدحوراً أمام اسناد علي وفاطمة عاد وكتب لها كتاباً برره ، فمزّق الكتاب عمر .

وعاد عمر في خلافته وأعاد فدك لبني فاطمة ، فانظر إلى هذا التلاعب والاقرار ، وكيف لا يهمهم الانكار والفعل .

فهذا يضع رواية عن رسول اللّهﷺ ثم يكذّب نفسه ، وهذا صاحبه يمزق كتاب رئيسه ثم يعود ليبطل ما فعله بالأمس .

فان كانت نحلة أو ارث فما جدى به أن يسلبها ؟ وكيف وضع حديثاً عن رسول اللّهﷺ وهو يدري أن من وضع عن رسول اللّهﷺ حديثاً وقوّل رسول اللّهﷺ بما لم يقل فليتبوأ مقعده من النار ، بل وان الحديث علىٰ بيت الرسالة وسلبهم حقهم ، اولئك الذين أوصىٰ بهم اللّه في آية المودّة وأوصىٰ بهم رسول اللّهﷺ في قوله : «**إني تارك فيكم كتاب اللّه وعترتي أهل بيتي ما إن تمسكتم بهما لن تضلوا**» .

وفحواها المعاكس : ان لم تتمسكوا بهما فانتم الطالحون .

وهم شهدوا علىٰ أنفسهم بالمخالفة عملاً .

وهذا عثمان يخالف صاحبيه أبا بكر وعمر ويسلب فدك . وليته عمل ما عمله أبو بكر ، بل قدمها لقمة سائغة إلى أرذل خلق اللّه .

فكان اعطاء فدك لمروان من العلل والموجبات التي حركت الرأي العام ضد عثمان ، فقد كانت فدك قد ثبتت لأهل البيتﷺ وان هذا غصب ظاهر وتعدي

واضح .

ومما نقم على عثمان أيضاً وكان سبب لما جرىٰ له، وهو حق ، هو اقطاع مروان خمس افريقيا بعد الفتح . وهذا الخمس ليس من حق عثمان بل هو يجب أن يقسّم طبق الآية المار ذكرها : ﴿**إنما غنمتم من شيء فإنّ لله خمسه وللرسول ولذي القربىٰ واليتامىٰ والمساكين**﴾ .

راجع بذلك العقد الفريد لابن عبد ربه ج ٢ ص ٢٦١ ، وشرح نهج البلاغة ج ١ ص ٦٧ .

قالت أم بكر بنت المسور : لما بنىٰ مروان داره بالمدينة دعا الناس إلى طعامه ، وكان المسور فيمن دعا ، فقال مروان وهو يحدثهم : والله ما انفقت في داري هذه من مال المسلمين درهماً فما فوقه . فقال المسور : لو أكلت طعامك وسكت لكان خيراً لك ، لقد غزوت معنا افريقيا وانك لأقلنا مالاً ورقيقاً وأعواناً واخفّنا ثقلاً ، فأعطاك ابن عفان خمس افريقيا وعملت علىٰ الصدقات فأخذت أموال المسلمين.

فشكاه مروان إلى عروة وقال : يغلظ لي وأنا له مكرم .

جاء ذلك في الأنساب للبلاذري ج ٥ ص ٢٨ . كما ذكر ابن أبي الحديد في شرحه ج ١ ص ٦٧ : أمر عثمان لمروان مئة ألف من بيت المال وزوجه ابنته أم أبان ، فجاء زيد بن أرقم ، صاحب بيت المال ، بالمفاتيح فوضعها بين يدي عثمان وبكىٰ . فقال عثمان : أتبكي إن وصلت رحمي ؟ قال : لا . ولكن أبكي لانّي اظنّك أخذت هذا المال عوضاً عمّا كنت انفقته في سبيل الله في حياة رسول الله ﷺ ، لو أعطيت مروان مئة درهم لكان كثيراً (فكيف واعطيته مئة ألف) فقال : الق المفاتيح ياابن الأرقم فانا سنجد غيرك . وأتاه ابو موسىٰ بأموال العراق جليلة فقسّمها كلها في بني أمية .

وجاء نفس المعنىٰ في السيرة الحلبية ج ٢ ص ٨٧.

وذكر ابن الأثير في الكامل ج ٣ ص ٣٨ وحمل خمس افريقيا إلى المدينة فاشتراه مروان بن الحكم بخمسمئة ألف دينار، فوضعها عنه عثمان، وكان هذا مما أخذ عليه، وهذا أحسن ما قيل في خمس افريقيا.

فان بعض الناس يقول: أعطىٰ عثمان خمس افريقيا عبدالله بن سعد[1].

وبعضهم يقول: أعطاه مروان بن الحكم.

وظهر بهذا أنه اعطىٰ عبدالله خمس الغزوة الأولىٰ، وأعطىٰ مروان خمس الغزوة الثانية التي افتتحت فيها جميع افريقيا، والله أعلم.

وجاء في انساب البلاذري ما يؤيد ذلك.

وتعال معي إلى معارف ابن قتيبة ص ٨٤، وأبو الفداء في تاريخه ج ١ ص ١٦٨، والبلاذري في الأنساب ج ١ ص ١٦٨، وابن عبد ربه في العقد الفريد ج ٢ ص ٢٦١، والأنساب للبلاذري ج ٥ ص ٢٧ و ٢٨، وتاريخ ابن كثير ج ٧ ص ١٥٢.

كما رواه الواقدي، والطبري عن الواقدي في تاريخه ج ٥ ص ٥٠ ذكر:

ان عثمان منح مروان خمس غنائم افريقيا، وهي خمسمئة ألف دينار، فخاطب عثمان عبد الرحمن بن حنبل الجمحي الكندي:

سأحلف بالله جهد اليمين ... ما ترك الله أمراً سدى

ولكن خلقت لنا فتنة ... لكي نُبتلىٰ لك أو تبتلىٰ

فان الأمينين قد بليا ... فناء الطريق عليه الهدىٰ

---

(١) وعبدالله بن سعد هذا ابن أبي السرح.

فــما أخــذا درهــماً غــيلة وما جعلا درهماً فـي الهـوىٰ
دعــوت اللــعين فــادنيته خلافاً لسنّة مـن قـد مـضىٰ
وأعطيت مروان خـمس العـبـ ـاد ظلماً لهم وحجبت الحمىٰ

ونسب البلاذري الأبيات إلى أسلم بن أوس بن بجرة الساعدي الخـزرجـي الذي منع أن يدفن عثمان في البقيع ، بلفظ فيه بعض التغيير ، وأضاف :

ومـــال أتـــاك بـه الأشـعري من الفــيء أنـهبته مـن تـرىٰ

وعن عبدالله بن الزبير ، قال :

اغزانا عثمان سنة ٢٧ افريقيا ، فأصاب عبدالله بن سعد بن أبي سرح غـنـائم جليلة فأعطىٰ عثمان مروان بن الحكم خمس الغنائم .

ورویٰ الواقدي وابن كثير : صالحه بطريقها علىٰ ألف ألف دينار وعشرين ألف دينار ، فاطلقها عثمان في يوم واحد لآل الحكم ، وقيل لمروان .

ورواه الطبري عن أسامة بن زيد عن ابن كعب ، قال : لما وجّه عثمان عبدالله ابن سعد بن أبي السرح إلى افريقيا كـان الذي صـالحهم عـليه بـطريق افـريقيا (جرجير) ألفي ألف دينار وخمسمئة ألف دينار وعشرون ألف دينار . فبعث ملك الروم رسولاً وأمره أن يأخذ منهم ثلاثمئة قنطار ، فما أخذ منهم عبدالله بن سعد . إلى أن قال : كان الذي صالحهم عليه عبدالله بن سعد ثلاثمئة قنطار ذهب ، فأمر بها عثمان لآل الحكم قلت : أو لمروان ؟ قال : لا أدري .

نرىٰ من مجموع ما ذكر عبث عثمان بأموال المسلمين وأنفسهم دون أن يقيم بذلك ما جاء في كتاب الله أو سنّة نبيه ﷺ أو سيرة من قـبله ، أو أي مـنطق أو وجدان، وكأنه قد سلب كل ما في قلبه من روح الدين والأمانة والتقوىٰ والبر والاحسان ، إلّا علىٰ أعداء المسلمين وخصومه من أمية وآل معيط .

مخالفته السنّة في الحمىٰ

كانت هناك عادات جاهلية كثيرة وكبيرة قضىٰ عليها الاسلام بالنص أو السنّة ، ومنها كان رؤساء القبائل وأشرافها وذوي النفوذ فيها يستغلون المراتع الثابت فيها الكلأ من مساقط المياه والأمطار مما راق لهم لرعي مواشيهم من الخيل والابل والغنم وغيرها ، فيمنعون سائر الناس من الاستفادة بها ، ولكنهم يبيحون لأنفسهم المراتع الخاصة ممن هو أضعف منهم قدرة وشأناً .

فجاء الاسلام ومما جاء فيه من الاصلاحات ورفع المظالم والحيف عن كاهل العامة أن جعل المراتع العامة ومساقط المطر والكلأ الطبيعي الثابت في المناطق العامة حقاً يرتع فيه الجميع في حقوق يتساوىٰ فيها كل الناس علىٰ حدٍ سواء ، وبذلك قضىٰ علىٰ ظلم واجحاف كان دائراً أيام الجاهلية .

فقد ورد عن رسول اللّٰه ﷺ : **«ان المسلمين شركاء في ثلاث : في الكلأ والماء والنار»** .

فلا يجوز في شرع الاسلام إقامة الحمىٰ علىٰ منابت العشب من مساقط الغيث في الأماكن العامة غير الخاصة في الفلوات والبراري والجبال ، باعتبارها مراعي عامة للجميع علىٰ حدٍ سواء .

كما قال ﷺ : **«لا يمنع الماء والكلأ والنار»** .

وقال ﷺ : **«لا تمنعوا فضل الماء لتمنعوا به فضل الكلأ»** .

وقال ﷺ : **«من منع فضل الماء ليمنع به فضل الكلأ منعه اللّٰه فضله يوم القيامة»** راجع بذلك صحيح البخاري ج ٣ ص ١١٠ ، وكتاب الأم للشافعي ج ٣ ص ٢٠٧ .

كما قال ﷺ : **«لا حمىٰ إلّا للّٰه ولرسوله»** .

وتفسير هذا انه يجوز الحمىٰ في بضع أماكن فقط لوجه اللّٰه ورسوله . كانت تحمىٰ لابل الزكاة وأنعام الصدقة ومراتع ومرابط الخيل للمسلمين المجاهدين .

وما تلك الحمىٰ إلّا لنفع العامة من المسلمين، ومقاصد عامة.

راجع فيما مر صحيح البخاري ج ٣ ص ١١٣، والأموال لأبي عبيد ص ٢٩٤، وكتاب الأم للشافعي ج ٣ ص ٢٠٧ و ٢٠٨، ومعجم البلدان ج ٣ ص ٣٤٧، ونهاية ابن الأثير ج ١ ص ٢٩٧ و ٢٩٨، ولسان العرب ج ١٨ ص ٢١٧ و ج ٨ ص ٣٦٣، وتاج العروس ج ١ ص ٩٩.

تلك كانت قبل الاسلام في الجاهلية، فهدم الاسلام تلك المساوئ وساوىٰ بين المسلمين وقضىٰ علىٰ حمىٰ الجبابرة وذوي النفوذ، وأعاد للعامة حقوقهم وانقذهم من مظالم الأقوياء وتعديات الرؤساء.

فكانت تلك احدىٰ محاسن الاسلام ونعمه، سار عليها أبو بكر وعمر، حتىٰ جاء عثمان، وإذا به كما مدّ يده الغاصبة لحقوق العامة من الصدقات والخمس والفيء، مدّ يده إلى المراتع العامة حامياً إياها لنفسه، وأخرىٰ لنفسه وبعض بني معيط، وفي ثالثة يختص بها هو وبنو أمية دون عامة المسلمين، ودون ابل الصدقة.

راجع بذلك أنساب البلاذري ج ٥ ص ٣٧، والسيرة الحلبية ج ٢ ص ٨٧، وابن أبي الحديد في شرحه ج ١ ص ٦٧، ودقائق الزمخشري ج ٢ ص ١١٧، ونهاية ابن الأثير ج ٤ ص ١٢١.

وقد جعل عمل عثمان هذا في الحمىٰ وتغيير سنّة رسول اللّهﷺ عملاً يبغضه اللّه ورسولهﷺ.

راجع بذلك بهجة النفوس للحافظ الأزدي، ابن أبي حمزة ج ٤ ص ١٩٧.

وهكذا نرىٰ الخليفة يخالف نص الكتاب وسنّة رسول اللّهﷺ في أهم مصادر أموال المسلمين ومصادر رزقهم ومعيشتهم، وإذا به لا يهمه اغتصاب حقوقهم في أي جهة كانت، واختصاصه بنفسه وذويه من أهله وعصبته من بني أمية وآل بني

معيط ، مستأثراً في ذلك دون جميع المسلمين فيما يرده من أموال الصدقات (الزكاة) والخمس والفيء وما يعود للعامة من المراتع ومساقط المطر والكلأ .

بل والعجب كل العجب انه يغتصب الحقوق التي أقرها رسول اللّهﷺ والخلفاء قبله من آل البيتﷺ ليقدمها لقمة سائغة لذويه . فقد استرجع فيء رسول اللّهﷺ ونحلته لابنته تلك التي غصبها أبو بكر ثم أعادها عمر ، وهي فدك ، ليقدمها إلى مروان طريد ولعين رسول اللّهﷺ كما مر .

هنا أحب أن تقارن في هذا لما أورده البيهقي في سننه ج ٦ ص ٣٤٨ و ٣٤٩ أنه: أتىٰ علياً أميرالمؤمنين مال من اصفهان فقسمه بسبعة أسباع ، ففضل رغيف فكسره إلى سبع فوضع علىٰ كل جزء كسره ثم أقرع بين الناس أيهم يأخذ أول .

وأتته امرأتان تسألانه ، عربية ومولاة لها ، فأمر لكل واحدة منهما بكسر من طعام وأربعين درهماً ، فأخذت المولاة الذي أعطيت وذهبت . وقالت العربية : يا أميرالمؤمنين تعطيني مثل الذي أعطيت هذه وأنا عربية وهي مولاة ؟ قال لها عليّﷺ: **إني نظرت كتاب اللّه عزوجل فلم أر فيه فضلاً لولد اسماعيل علىٰ ولد اسحاق .**

هكذا كان علي أخو رسول اللّهﷺ ووصيه وباب علمه متبعاً خطاه ، ولم ترضه سيرة غير سيرة رسول اللّهﷺ ويتساوىٰ عنده الجميع كما جاء في كتاب اللّه : ﴿**إن أكرمكم عند اللّه أتقاكم**﴾ ولا يفرق بين الناس بأسماء ما جاء اللّه بها من سلطان ، كما فعل غيره ، سيان فهم أبو بكر وعمر في تقسيمه بين النساء والرجال والعربي والأعجمي والبدري وغير البدري .

راجع بذلك الأموال لأبي عبيد ص ٢٢٤ ـ ٢٢٧ ، وفتوح البلدان للبلاذري ص ٤١٦ ـ ٤٥٣ ، وسنن البيهقي ج ٦ ص ٣٤٩ و ٣٥٠ ، وتاريخ عمر لابن الجوزي ص ٧٩ ـ ٨٣.

وكان عمر في تقسيمه هذا ناقض عمله بتقديم الأمويين علىٰ آل بيت الرسالة ،

والطلقاء على أسبق الناس في الاسلام وأتقاهم وأعدلهم وأعلمهم علي ﷺ ، حينما قدم عثمان واسنده بصهره عبد الرحمن (أي صهر عثمان) وصهر (أي صهر عبدالرحمن) صهره سعد بن أبي وقاص ، مؤيداً إياهم بولاته معاوية وغيره .

وأما عثمان فقس ولا حرج وقل ما شئت عن مخالفاته جهراً وسراً للكتاب والسنّة النبوية .

وما أشهر قصة علي وهو خليفة المسلمين مع أخيه عقيل والتي رواها الكثير ، راجع فيها أسد الغابة ج ٣ ص ٤٢٣ لابن الأثير : ان عقيل بن أبي طالب شقيق علي من أبيه وأمه لزمه دين بلغ أربعين ألف درهماً ، فقدم على عليٍّ أخيه في الكوفة فأنزله وأمر ابنه الحسن فكساه، فلما أمسىٰ دعابعشائه ، فإذا هو خبز وملح وبصل، فقال عقيل : ما هو إلّا ما أرىٰ . قال : لا . قال : فتقضي ديني ؟ قال : وكم دينك ؟ قال : أربعون ألفاً . قال : فما هي عندي ، ولكن اصبر حتىٰ يخرج عطائي فانه أربعة آلاف فادفعه إليك . فقال له عقيل : بيوت المال بيدك وأنت تسوفني بعطائك ؟ فقال : أتأمرني أن أدفع إليك أموال المسلمين وقد ائتمنوني عليها !؟

سلام الله عليك يا أبا الحسن من عادل منصف بر تقي رؤوف رحيم بعباد الله . لو انهم انصفوك لأكل الكل من فوق رؤسهم وتحت ارجلهم ، ولأدركوا الحق والرضىٰ ، ولما جاء عثمان والكفرة الفجرة الفاسقين من آل أمية وبني معيط يسلبون مال المسلمين ويدلون به لأمثال طلحة والزبير وسعد بن أبي وقاص وعبدالرحمن بن عوف ، وآل البيت وبني هاشم والصحابة المقربين في ضنك من العيش . وما إن فاه أحدهم حتىٰ انهالت عليه أشد الظلم والعسف والاهانة والابعاد.

وماذا يعمل عليّ مع هؤلاء الذين تكدست عندهم أموال المسلمين من معاوية وبني أمية وبني معيط ، وأمثال يعلى بن أمية وطلحة والزبير فيبذلوه للمكائد

واثارة الفتن وتجييش الجيوش والغدر والرشوة لشراء الخونة الفاسقين وجرهم إلى صفوفهم ، كما فعل اولئك ، أخص منهم معاوية الطليق والذي عمل ما عمل من قتل وظلم وشراء من باع دينه وآخرته لتشييد الامارات الباطلة ، والقضاء على الحق المسلوب ، وزعزعة اصول الدين واصول العدالة ، وارجاع المسلمين القهقرى إلى اقامة أسس الجاهلية والعصبية التي قضى عليها الاسلام .

يؤوي طريد النبي ﷺ ويعطيه صدقات المسلمين

كان الحكم بن أبي العاص من ألد المعاندين المبغضين لرسول الله ﷺ أمثال أبي لهب وأبي جهل وأضرابهم ، ومن الذين لا يألون جهداً في ايذاء رسول الله ﷺ رغم أنه جيرانه وممن ينتسب بنسب قريب بعد بني هاشم له ، هذا ما كان منه قبل الاسلام ، أما بعد فتح مكّة فكان في مقدمة المنافقين وممن يعيب على رسول الله ﷺ ويحط من كرامة الاسلام ونبيه ﷺ ، ويحاول بما يستطيع من تشويه محاسن الاسلام إلى مساوئ ، ولطالما يعمل ذلك بغضاً وحقداً فتنكشف لرسول الله ﷺ أقواله وأفعاله فيدعو عليه ويلعنه .

راجع بذلك ما أخرجه عنه الحفاظ كالحاكم ، والبيهقي ، والطبراني ، والبلاذري في الأنساب ج ٥ ص ٦٧ .

حتى أدى برسول الله ﷺ رغم فضائل رسول الله الجمة وسمو أخلاقه ورأفته ورحمته ، رغم كل ذلك أدى برسول الله أن يلعنه ويلعن ذريته ، ويطرده وأولاده إلى الطائف ، ولم يسمح لهم العودة إلى المدينة ، لا في زمن رسول الله ولا في زمن أبي بكر وعمر رغم تشفّع عثمان لهم .

مخالفته النص والسنّة

لا يجوز لأي كان تجاوز حدود الله في كتاب الله وحدود الرسول ﷺ في سنّة رسول الله طبق الآيات التالية :

١ ـ الآية (٧) من سورة الحشر : **﴿وما أتاكم الرسول فخذُوه وما نهاكم عنه فانتهوا﴾** .

٢ ـ والآية (٣٦) من سورة الأحزاب : **﴿وما كان لمؤمنٍ ولا مؤمنةٍ إذا قضىٰ اللّٰه ورسولهُ أمراً أن يكون لهم الخيرةُ من أمرهم ومن يعصِ اللّٰه ورسوله فقد ضلَّ ضلالاً مبيناً﴾** .

٣ ـ والآية (٤٤) من سورة المائدة : **﴿ومن لم يحكم بما أنزل اللّٰه فأُولئك هم الكافرون﴾** .

٤ ـ والآية (٤٥) من سورة المائدة : **﴿ومن لم يحكم بما أنزل اللّٰه فأُولئك هم الظالمون﴾** .

٥ ـ والآية (٤٧) من سورة المائدة : **﴿ومن لم يحكم بما أنزل اللّٰه فأُولئك هم الفاسقون﴾** .

٦ ـ والآية (١١٦) من سورة النحل : **﴿ولا تقولوا لما تصفُ ألسنتكم الكذبَ هذا حلالٌ وهذا حرامٌ لتفتروا علىٰ اللّٰهِ الكَذِبَ﴾** .

فهل يجوز بعد هذه الصراحة في كتاب اللّٰه أن يقوم أي فرد مهما كان أخص من جلس مجلس الرسول ﷺ أن يخالف حكم اللّٰه وسنّة رسوله ؟ كلاً أبداً ، وقد رأينا أبا بكر وعمر وتلاهم عثمان في التجاوز علىٰ حدود اللّٰه وسنن رسوله ﷺ .

وقد ذكر عن أبي بكر وعمر ومخالفتهما فيما مر في حدود اللّٰه وأخص منها النصوص وسنّة الرسول ﷺ وهم يعلمون أن ذلك لا يحق لهم البتة .

والناس قسمان : عالم وهم الأقلية ، وجاهل وهم الأكثرية . والعلماء قسمان : مؤمن وفاسق وكلاهما يعرفان الحقيقة .

وقد سكت المؤمنون تحت الضغط والقوة القاهرة . ومن تكلم فيهم أمثال أبو ذر وابن مسعود وغيرهما لقوا الأمرين .

وغيرهم فقد وافقوا الخلفاء علىٰ مخالفاتهم وتجاوزاتهم وطبقت مخالفاتهم وتجاوزاتهم ومر عليها الزمان وسارت عليها الأجيال في زمن بني أمية والعباسيين .

ومن كان يستطيع أن ينبس ببنت شفة ؟ حتىٰ كتّابهم ، ولا ننسىٰ النسائي كيف لقي حتفه لمحض اعتراض على بدع خلقها الأمويون يوم صعد المنبر ، وهو من أوثق كتابهم وحفاظهم ، فينكر علىٰ بعض البدع ويظهر بعض الحقائق حتىٰ إذا نزل انهالوا عليه ضرباً أدىٰ إلى موته .

كيف جاز لأبي بكر ، وهو يجهل الكتاب والسنّة أن يتقلد زمام أمور المسلمين ويقول : لئن اخذتموني بسنّة نبيكم لا أطيقها . لأمر أراد أن يقول : إني أجهلها ، بل أراد أن يقول : انها تخالف سياستي ، فهو في مقدمتها يحاسب علىٰ غصبه كرسي الخلافة التي أمر الله ورسوله في غدير خم وغيرها بولاية علي بن أبي طالب وعترة رسول الله ﷺ .

وهذا أبو بكر يقول أيضاً : إني أقول برأيي إن يك صواباً فمن الله وإن يك خطأً فمني ومن الشيطان .

فانظر إلى خليفة وامام المسلمين هكذا يعبّر عن جهله ومخالفة الله وسنّة رسوله ﷺ ، وقد حدد الله ورسوله ﷺ كل شيء وأكمل دينه يوم غدير خم ، وقال : **«اليوم اكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي»** ، وعيّن للمسلمين امامهم ومؤول القرآن ومفسره بعد رسول الله ﷺ ، ومولىٰ المسلمين بعد رسول الله ، واشهد رسول الله اللهَ علىٰ ذلك .

راجع بذلك سنن الدارمي ج ٢ ص ٣٦٥ ، وتفسير ابن جرير الطبري ج ٦ ص ٣٠، وسنن البيهقي الكبرىٰ ج ٦ ص ٢٢٣ ، وجامع السيوطي الكبير ج ٦ ص ٢٠ ، وتفسير ابن كثير ج ١ ص ٢٦٠، والخازن ج ١ ص ٣٦٧، واعلام الموقعين

ص ٢٩ لابن القيم ، وقوله : «لوددت ان هذا كفانيه غيري ، ولئن أخذتموني بسنّة نبيكم لا أطيقها ان كان لمعصوماً من الشيطان ، وإن كان لينزل عليه الوحي من السماء» .

ولهذا قالﷺ : **«إني تارك فيكم الثقلين كتاب الله وعترتي»** .

وكذلك قال في علي يوم غدير خم : **«من كنت مولاه فهذا علي مولاه»** . ولهذا قال ما قال في علم علي وقضائه وحكمته ، ولهذا نزلت آية الطهارة وآية الموالاة لعليٍّ ، وآية المباهلة وغيرها من الآيات في عليٍّ عليه السلام .

فكيف غصبت هذا المنصب وأنت تشهد بجهلك ، وأنك تعترف انك تخالف رسول اللهﷺ في سنّته ، والله في كتابه ، لأن أكثر السنّة إنما هي تابع الكتاب وتفسيره وتأويله .

راجع مسند أحمد ج ١ ص ١٤ ، والرياض النضرة ج ١ ص ١٧٧ ، وكنز العمال ج ٣ ص ١٢٦ ، وطبقات ابن سعد ج ٣ ص ١٥١ ، والامامة والسياسة ج ١ ص ١٦ ، وتاريخ الطبري ج ٣ ص ٢١٠ ، والصفوة ج ١ ص ٩٩ ، وعيون الاخبار لابن قتيبة ج ١ ص ٢٣٤ ، وتاريخ الطبري ج ٣ ص ٢٠٣ ، وسيرة ابن هشام ج ٤ ص ٣٤٠ ، وتهذيب الكامل ج ١ ص ٦ ، والعقد الفريد ج ٢ ص ١٥٨ ، واعجاز القرآن ص ١١٥ ، والسيرة الحلبية ج ٣ ص ٣٨٨ ، وتاريخ ابن كثير ج ٥ ص ٢٤٧ .

وهل يجوز لخليفة رسول اللهﷺ أن يطلب المعونة من سائر الناس مثل أبي بكر ودونه علي بن أبي طالب ، وهو يقول : **«سلوني قبل أن تفقدوني»** . والذي قال فيه رسول اللهﷺ : **«أنا مدينة العلم وعلي بابها»** .

يجتهدون في موارد النص

وهذا الخليفة الأول يفتح باب الرأي له ولخلفائه من بعده ، معرضاً عن كتاب الله وسنّة رسولهﷺ ، وقد قال رسول اللهﷺ : **«ما تركت شيئاً مما أمركم الله به إلّا

وقد أمرتكم به ، ولا تركت شيئاً مما نهاكم عنه إلّا وقد نهيتكم عنه» .

راجع كتاب العلم لأبي عمر ، وفي مختصره ص ٢٢٢ ، وراجع حول اجتهاده بالرأي كتاب العلم لأبي عمر ج ٢ ص ٥١ ، واعلام الموقعين لابن القيم ص ١٩ .

مخالفات عثمان أيضاً

أما عمر فقد أدلينا ببعض مخالفاته النصوص والسنّة واجتهاداته وآراءه .

وأما عثمان فهو لم يتحاش عمّا قام به من قبله وأضاف ، فهو يخالف سنّة رسول اللّهﷺ في صلاة القصر ويعتذر : «أنه رأي رأيته» .

وستأتي مخالفاته وأعماله ، ورغم كل ذلك نرىٰ المسلمين كأن علىٰ رؤوسهم الطير ، فمن يستطيع المخالفة ؟

وستجد ما لاقوه ممن أمر منهم بمعروف ونهىٰ عن منكر ، من أقرب الصحابة لرسول اللّهﷺ وأزكاهم . إذ لم يتحاش فيهم الاًّ ولا ذمّة .

وهذا عثمان تجد حقيقته من أعماله وأقواله وأفعاله لمن قرّب ولمن أبعد ولمن أحب ولمن أبغض ، وماهي أفعاله مع كل فريق ، وقد قال اللّه سبحانه وتعالىٰ : ﴿وان الظالمين بعضهم أولياء بعضٍ واللّه وليّ المتقين﴾ الآية (١٩) من سورة الجاثية . وقال عزوجل : ﴿ولا تركنوا إلى الذين ظلموا فتمسكم النار﴾ الآية (١١٣) من سورة هود .

وهناك ميزان أدبي هو أن الكلام صفة المتكلم والعمل صفة العامل والحكم صفة الحاكم .

وقال الشاعر : وكل قرين للمقارن يقتدي . وقال آخر : ان الطيور علىٰ أشكالها تقع .

ومنها تستطيع أن تعرف صفة كل خليفة من حسن انتخابه ، من هم ولاته ؟

وماهي أعماله ؟ وكيف سار مع الاتقياء منهم ؟ وكيف سار مع الأشقياء ؟ ولأي حدٍ اتبع حدود الله وسنن رسولهﷺ ، وهل خالفها ؟ وهل اجتهد في مورد النص ؟ وهل كان هذا الاجتهاد لجهل منه للنص والسنّة ؟ أم مع علمه خالفها ؟ فتعرف درجة علمه ودرجة تقواه ودرجة اخلاصه .

فراجع عمال أبي بكر وسيرته مع صحابة رسول اللهﷺ ولمن قرّب ؟ ولمن أخّر ؟ وماهي آراؤه وأعماله ؟ وقد ذكرنا نبذة منها .

وراجع عمال عمر وكيف سار معهم ولمن قرّب وأخلص له مثل المغيرة ، ومعاوية ، وعمرو بن العاص ، ومن قرّب من الصحابة ؟ ومن أخّر ؟ . وكيف كانت سيرته وآراؤه ؟ وقد ذكرنا نبذ منها .

وهذا الخليفة الثالث الأموي[1] الذي نصبه عمر ، وهو يعلم انه سيتخذ بني أمية أئمة وأمة محمد خولاً وكان حقاً ذلك وسترىٰ عماله ، وسترىٰ أعماله وسيرته مع أصحاب رسول اللهﷺ واهل بيتهﷺ وسلوكه الاجتماعي وسيرته .

وإليك نبذة عن عماله وكيف أرهق أمة محمدﷺ وأخيار الصحابة ، ومن أجلّهم.

الوليد بن عقبة

الوليد بن عقبة بن أبي معيط بن أبي عمرو بن أميّة أخو الخليفة من أمه ، كان أبوه عقبة من أمثال أبي جهل وأبي لهب والحكم بن أبي العاص من أشد وألد أعداء

---

(١) قال رسول اللهﷺ : «إذا بلغ بنو العاص ثلاثين رجلاً اتخذوا مال الله دولاً وعباد الله خولاً ودين الله دغلاً» .

راجع مستدرك الحاكم ج ٤ ص ٤٨٠ ، وتلخيص المستدرك للذهبي، والصحاح في ذم بني العاص.

رسول اللهﷺ في الجاهلية .

وقد اغرىٰ عقبة هذا مرة صاحبه وخليله أبي بن خلف أن يبصق في وجه رسول اللهﷺ ففعل ، فنزلت فيه الآيات (٢٧) و (٢٨) و (٢٩) من سورة الفرقان : ﴿ويوم يعضُّ الظالم علىٰ يديه يقولُ يا ليتني اتخذتُ مع الرسول سبيلا * يا ويلتي ليتني لم اتخذْ فُلاناً خليلا * لقد اضلني عن الذكر بعد إذ جاءني وكان الشيطان للانسان خذولا﴾ .

راجع بذلك طبقات ابن سعد ج ١ ص ١٨٥ و ١٨٦ طبعة مصر ، وسيرة ابن هشام ج ٢ ص ٢٥ ، و ج ١ ص ٣٨٥ .

وقيل ان عقبة حضر لرسول اللهﷺ ، وقال كلمتي الشهادتين فاغواه خليله وعاد فبصق في وجه رسول الله ، فقال لهﷺ : إن وجدتك خارجاً من جبال مكة اضرب عنقك صبراً .

وهكذا كان فقد أسّر مع اسرىٰ مشركي قريش في بدر وأمر رسول اللهﷺ علياً ليضرب عنقه .

وقيل نزلت آنذاك الآية المارة الذكر . راجع بذلك تفسير الطبري ج ١٩ ص ٦ ، والتفاسير للبيضاوي ج ٢ ص ١٦١ ، والقرطبي ج ١٣ ص ٢٥ ، والزمخشري ج ٢ ص ٣٢٦ ، وابن كثير ج ٣ ص ٣١٧ ، والنيسابوري ، هامش الطبري ج ١٩ ص ١٠ ، والرازي ج ٦ ص ٣٦٩ ، وابن جزي الكلبي ج ٣ ص ٧٧ ، وتفسير الخازن ج ٣ ص ٣٦٥ ، والشوكاني ج ٤ ص ٧٢ ، وتفسير الآلوسي ج ١٩ ص ١١ ، وامتاع المقريزي ص ٩٠ و ٩١ ، والدر المنثور للسيوطي ج ٥ ص ٦٨ ، وتفسير النسفي ، هامش الخازن ج ٣ ص ٣٦٥ .

وكان عقبة هذا وأبو لهب والحكم بن أبي العاص ممن يؤذون رسول اللهﷺ في بيته . راجع سيرة ابن هشام ج ٢ ص ٢٥ .

كما جاء في طبقات ابن سعد ج ١ ص ١٨٦ ، ط. مصر : ان رسول اللهﷺ قال : **«كنت بين شر جارين أبي لهب وعقبة بن أبي معيط ، وإذ كانا يأتيان بالروث فيطرحانه على بابي»** .

وفي سيرة ابن هشام ج ١ ص ٣٨٥، وكما جاء في تفسير الطبري ، وما أخرجه ابن مردويه وابو نعيم في الدلائل ، وباسناد ، صححه السيوطي من طريق سعيد بن جبير عن ابن عباس : ان عقبة هذا كان جاراً لرسول اللهﷺ ودعاه مرة إلى وليمة فأبى رسول الله إلّا ذلك إلّا بعد استشهاده بالشهادتين ، فشهد وأسلم . وكان له خليل هو أبي بن خلف غائباً بالشام ومذ عاد فعلم بما فعل عقبة فتركه فأتاه عقبة فقال له : صبوت ، يعني اسلامه ، ولم يرض عنه حتى عاد وارتد ، وجاء رسول اللهﷺ وبصق في وجهه . فتوعده رسول اللهﷺ ان ظفر به . وهكذا كان ان ظفر به في أسرى بدر ، حيث كانت قريش جاءت به مع من جاءت لحرب المسلمين ، واعطته ناقة حمراء خوفاً عليه مما توعده به رسول اللهﷺ فيما إذا اضطر ليهرب تكون له عوناً . ولكن شاء الله أن يؤسر ، ولم يكن ممن قبل منه الفداء ، بل سلم إلى عليّ ليضرب عنقه ، ففعل ونزلت فيه الآية الكريمة : **﴿ويوم يعضُّ الظالم على يديه يقولُ يا ليتني اتخذتُ مع الرسول سبيلا * يا ويلتي ليتني لم اتخذْ فُلاناً خليلا * لقد اضلني عن الذكر بعد إذ جاءني وكان الشيطان للانسان خذولا﴾** سورة الفرقان الآية (٢٧ ـ ٢٩) .

راجع ما مر ذكره من المراجع أعلاه .

آيات في الوليد

أما الوليد فقد كان على سر أبيه ونفس الوتيرة ، فاسقاً فاجراً سكيراً ، يشهد بذلك سلوكه وسيرته في حياته ، حتى نزلت في ذمّه الآيات ، منها الآية (١٨) من

سورة السجدة ، قوله عز من قائل : ﴿أفمن كان مؤمناً كمن كان فاسقاً لا يستوون﴾ . والآية (٦) من سورة الحجرات : ﴿إن جاءكم فاسقٌ بنبأٍ فتبيّنوا﴾ .

راجع بذلك الاستيعاب ج ٢ ص ٦٢ كما حكاها عنه ابن الأثير في أسد الغابة ج ٥ ص ٩٠.

ما أسنده عثمان له

هذا الوليد الفاسق بشهادة القرآن يوليه عثمان أهم وأدق المناصب الادارية والمالية والقضائية ، ويأتمنه علىٰ الأرواح والنفوس والأموال والأعراض كمرجع أعلىٰ للدين والقضاء والسياسة وتقسيم الصدقات وجباية الحقوق والحل والفصل سيداً وأميراً علىٰ المسلمين وخيرة الصحابة فنراه :

أولاً : يبدأ به فيستعمل علىٰ صدقات بني تغلب .

ثانياً : يؤمّره علىٰ أعظم امارة اسلامية في زمن خلافته هي الكوفة وفيها خيرة الصحابة والتابعين ، وأهم قطر اسلامي في ذلك العهد ويسلمه مقاليد الولاية والامارة هناك ، بما في ذلك من الشؤون المالية والقضائية والادارية والدينية ، واماماً يقتدي به المسلمون ، يرجعون إليه في فتاواهم ويأتمون به في صلاتهم .

ولقد نهىٰ عثمان عن ذلك خيرة الصحابة عن تولية هذا الفاجر زمام هذا الأمر الجليل ، وطريد رسول اللهﷺ ومن نص عليه ومن فسقه الكتاب الكريم ، فأبىٰ وأصر .

ويظهر أن عثمان أراد أن يصدق فيه تنبؤات الخليفة الثاني من استعمال بني معيط علىٰ رقاب الخلق لما كان يعلمه فيه من النعرة الطائفية والعصبية القبائلية التي نهىٰ عنها الاسلام ، والتي بلغت بالخليفة الثالث درجة تغلبت علىٰ العقل والارادة .

فلم يفرّق في دين اللّٰه بين المؤمن والفاسق ، والصالح والطالح ، وما يهمه بعد أن صمم أن يركز أسس الخلافة ويسندها إلى ذويه ، وهؤلاء ذويه وهؤلاء خيرتهم كمعاوية والوليد ومن سيأتي ذكرهم ألد أعداء الدين ، وخصوم الاسلام ، وبغات الانسانية الحاملين أعلام الكفر والفجور والزندقة والظلم .

وإذا قيل ان الناس علىٰ دين ملوكهم فالملوك هم قادة ومربي الشعوب ، وعلىٰ قدر أهل العزم تأتي العزائم .

وفاقد الشيء لا يعطيك ما يفقده ، فهل ترجو من الجاهل العلم ؟ والمعدم المال؟ وفاقد البصيرة الرأي والسداد والجبان الارادة والعزم ؟ وهكذا .

وهذا كلما تجده من هذه السلالة ، وهذا كلما تجده من الخلافة والخلفاء الذين ولوه الحكم . فكل قرين للمقارن يقتدى ، والطيور علىٰ أمثالها تقع .

نعم : وقد مرت السنون والأحقاب وها نحن نتصفح التأريخ ويا لشد ما نرىٰ الحوادث المؤسفة المخزية ، هذا الدين العظيم وتلك الجهود الجبارة لنبي الاسلام وما ورد في الكتاب والسنّة ووصايا رسول اللّٰه ﷺ كلها وكلها تضرب عرض الحائط صفحاً ، وإذا بعثمان وبيده زمام أمور المسلمين ويولي هذا الفاجر مركز الاسلام المهم في الكوفة الوليد بن عقبة اللعين ابن اللعين والفاسق ابن الكافر .

ويبدأوها هذا بسلب بيت مال المسلمين بما فيه من الأموال في أول مرة مئة ألف ، فيستشيط الصحابي العظيم عبداللّٰه بن مسعود القائم علىٰ بيت مال الكوفة ويستغيث ويشتكي ، ولمن المشتكىٰ ؟ ومن هو المفزع آنذاك سوىٰ الخليفة ؟ وإذا بهذا الخليفة يرىٰ بالصحابي تحدياً وتجاوزاً علىٰ شرف بيت آل معيط وآل أمية ، ويرىٰ فيه متجاوزاً حدود الأدب ، ويرىٰ فيه متجاوزاً علىٰ حقوقه ، وكأن ما خلق اللّٰه إنما هو وقف لمتعة ولهو آل أمية وآل بني معيط ، وإن المسلمين إنما هم جميعاً خول ، وكأن الدين إنما هو العوبة لاغراضهم وبلوغ أهدافهم وسلطانهم ، وكل

ناصح حسود وكل شاكي خصم لدود .

وإذا بالخليفة لمحض بلوغه امتناع الوليد من طلب ابن مسعود يخاطبه مخاطبة المهين الصعلوك المتطاول بقوله : وما أنت والمطالبة ؟ وهل أنت إلّا خازن لنا ؟ نعم خازن لهم لا لبيت مال المسلمين .

سترىٰ بعد هذي تبديد عثمان بيوت مال المسلمين علىٰ ذويه الفجرة الفاسقين والمنافقين ، الذي اظهروا الاسلام وأخفوا الشرك والزندقة ، أمثال الوليد ومروان ومعاوية وأضرابهم ، نعم هذا خطاب عثمان لابن مسعود وتهديده له بقوله : ولا تعرّض الوليد فيما أخذ من المال .

ونرىٰ الصحابي العظيم يطرح المفاتيح قائلاً : كنت أظن أني خازن للمسلمين ، وأما وأنا خازن لآل أمية وآل بني معيط فلا حاجة لي إلى ذلك . راجع العقد الفريد ج ٢ ص ٢٧٢ ، والانساب للبلاذري ج ٥ ص ٣٠ .

وإذا بالوليد السيد المطاع الذي له التصرف ببيت المال ، بعد هذا ، وإذا به في هذه المرة يتجاهر ويتجاوز حدود الدين ، بل حدود الرجل المتظاهر ، وكل مظهر محتشم ، فيشرب الخمرة بدرة يفقد بها وعيه وتلعب بلبه ، وأعجب من هذا الفاسق الفاجر يبدأوها منذ الصباح الباكر ، وقبيل صلاة الصبح ، ويأتي مسجد الكوفة اماماً للمسلمين ليصلي بهم والخمرة تعط من فيه ، وتلعب بلبه ، فيصلي بالناس أربعاً ، ويتلو عليهم في القنوت هذا البيت :

علق القلبُ الربابا بعد ما شابت وشابا

حتىٰ إذا فرغ من صلاته خاطبهم : هل أزيدكم ؟ ثم يتقيأها في المحراب . فيحمل عليه المسلمون بالحصىٰ ولا يجد ملجأً سوىٰ داره فيفر إليها .

ويقوم النذير بين المسلمين عليه وعلىٰ الخليفة الذي حملهم إياه ، بهذا الأمير الفاجر السكير المتهتك ، فتتقدم الوفود إلى المدينة شاكية تطلب اصلاح الأمور من

الخليفة ، وإذا بالخليفة يضرب الشكاة وينكب الشهود ، فتعلو عليه الصرخات من كل جانب ومكان ، من الصحابة المقربين ، وفي مقدمتهم الامام عليﷺ وطلحة والزبير وغيرهم ، ومن نساء وزوجات رسول اللّهﷺ ويبلغ به الحال أن يقبل دعواهم مرغماً ، ويثبت عمله ، ويضطر إلى عزله ، كما يظهر لاقامة الحد عليه .

ولكن الخليفة لا يزال يعطف عليه ويرىٰ فيه ما لايراه الناس ، ويريد اقامة الحد عليه صورياً وعلىٰ غير شريعة الاسلام ، فيقف له الصحابة بالمرصاد ، وكلما أرسل له أحد لحده ، وقد ألبسه عثمان جبة حبر وقاية له من ألم الضرب ، وجعل في بيت بعيد عن أعين الناس ، كل ذلك محاباة ، وكلما دخل عليه أحد لحده انبه وخوفه من غضب الخليفة فيعود .

وإذا بأبي الحسن يتقلد ويتقبل تنفيذ الحكم ويجريه عليه .

راجع بذلك الأغاني ج ٤ ص ١٧٨ لأبي الفرج عن أبي عبيد والكلبي والاصمعي ، وعن عمر بن شيبة ص ١٧٩ ، وعن طريق المدائني ص ١٨ ، عن طريق مطر الوراق ، وعن الزهري ، والعقد الفريد ج ٢ ص ٢٧٣ . وجاء في صحيح البخاري ، وفي فتح الباري لابن حجر ج ٧ ص ٤٤ ، وصحيح مسلم . وفي مسند أحمد ج ١ ص ١٤٤ ، وسنن البيهقي ج ٨ ص ٣١٨ ، وتاريخ اليعقوبي ج ٢ ص ١٤٢ ، وفي أسد الغابة لابن الأثير ج ٥ ص ٩١ ـ ٩٢ ، وتاريخ الخلفاء للسيوطي ص ١٠٤ ، والاصابة ٦٣٨ ، والسيرة الحلبية ج ٢ ص ٣١٤ .

ثالثاً : نرىٰ الخليفة بعد هذا كله يستعمله علىٰ صدقات كلب وبلقين ، فانظر إلى هذا الاصرار علىٰ السيئة من الخليفة .

وكأن الاسلام خلىٰ بما فيه من خيرة الصحابة والمؤمنين ممن يستعمله غير هذا اللعين الفاجر .

وإليك ما أخرجه أبو عمر في الاستيعاب ، وأبو الفرج في أغانيه ج ٤ ص ١٧٨ :

أبياتاً لحطيئة جرول بن اوس بن مالك العبسي :

تكلم في الصلاة وزاد فيها — علانية وجاهر بالنفاق
ومج الخمر في سنن المصلّى — ونادىٰ والجميع إلى افتراق
ازيدكم علىٰ أن تحمدوني — فما لكم ومالي من خلاقي

وقيل انه كان يقول في ركوعه وسجوده : اشرب واسقني . راجع مامر من تأريخ أبي الفداء ص ١٧٦ .

وقيل انه قال : ازيدكم، بعد أن صلىٰ صلاة الصبح أربعاً ، فقال له ابن مسعود رضي الله عنه : لا زادك اللّٰه خيراً ولا من بعثك إلينا ، وأخذ فردة خفه وضرب به وجه الوليد وحصبه الناس فهرب وهو مترنح إلى القصر والحصباء تأخذه .

شهد الحطيئة يوم يلقى ربه — ان الوليد أحق بالغدر
نادىٰ وقد نفدت صلاتهم — ءأزيدكم غلاً وما يدري
ليزيدهم خيراً ولو قبلوا — منه لزادهم علىٰ عشر
فابوا ابا وهب ولو فعلوا — لقرنت بين الشفع والوتر
حبسوا عنانك ان جريت ولو — خلّوا عنانك لم تزل تجري

كلمة الحسن عليه السلام في الوليد

وجاء في شرح ابن أبي الحديد ج ٢ ص ١٠٣ ما جرىٰ بين الامام الحسن بن علي عليه السلام سيد شباب أهل الجنّة وابن بنت رسول اللّٰه صلى الله عليه وآله وبين الوليد في مجلس معاوية وقول الحسن للوليد :

وأما أنت يا وليد ، فو اللّٰه ما ألومك علىٰ بغض علي وقد جلدك ثمانين في الخمر ، وقتل أباك بين يدي رسول اللّٰه صلى الله عليه وآله صبراً ، وأنت الذي سماه اللّٰه الفاسق وسمىٰ علياً المؤمن ، حيث تفاخرتما فقلت له : اسكت يا علي فأنا أشجع منك جناناً واطول منك لساناً . فقال لك علي : اسكت يا وليد فأنا مؤمن وأنت فاسق ،

فأنزل الله تعالىٰ في موافقته قوله : ﴿افمن كان مؤمناً كمن كان فاسقاً لا يستوون﴾ ثم أنزل فيك علىٰ موافقه قوله أيضاً : ﴿إن جاءكم فاسق بنبأٍ فتبيّنوا﴾ . ويحك يا وليد مهما نسيت فلا تنسىٰ فيك وفيه قول الشاعر (حسان بن ثابت) :

أنـزل اللّـه والكـتاب عـزيز ... في عليٍّ وفي الوليد قـرآنـا
فـتبوا الوليـد ازداد فسـقاً ... وعـــليٌ صـبوءُ ايـمـاناً
ليس من كان مـؤمناً عـمرك ... الله كمن كان فاسقاً خـوانـاً
سوف يدعىٰ الوليد بعد قليل ... وعـلي إلى الحسـاب عـيانا
فـعلي يـجزىٰ بـذاك جـناناً ... ووليد يجزىٰ بـذاك هـوانـا
رب جـدٍ لعـقبة ابـن ابـان ... لابسٌ فـي بـلادنا تـبّانا

وما أنت وقريش إنما أنت علج من أهل صفورية ، واقسم بالله لأنت أكبر في الميلاد وأسنّ ممن تدعىٰ إليه .

ختاماً : مقارنة

ختاماً في الوليد تعال معي لنقارن بين ولاة عـثمان أمـثال الوليـد وأعـماله وسلوكه وورطة الناس والصحابة ونقمتهم منه وممن ولاه ، ورأي الخليفة وسلوكه وادارته السيئة في أمثال ولاته هؤلاء وجوره علىٰ الناس وتبذيره أموالهم . وبين ولاة الامام علي عليه السلام أمثال ابن حنيف ومالك الأشتر وأضرابهم ، ووصاياه بأرواح الناس وأخلاقهم ورعايتهم ومواساتهم ، ووصاياه لهم في إدارة الأمور والسلوك مع الرعية . وهذه خطبه ورسائله وعهده لمالك الأشتر ، وهؤلاء ولاته المؤدبين المؤمنين الطائعين .

ترىٰ ذلك مفصلاً في نهج البلاغة ، وشرح ابن أبي الحديد لنهج البلاغة ، وقارن بين من ولاه الله ورسوله صلى الله عليه وآله وبين من ولاه أبو بكر وعمر وعـثمان ... ورعـاية أعمالهم وسلوكهم .

عثمان مع ابن أبي السرح

عبدالله بن سعد بن أبي سرح أخو عثمان من الرضاعة ارضعتهما الأشعرية فقربته إلى عثمان . ونشأ نشأة أموية النزعة والخلق والسلوك في مفاسد أخلاقهم ونفاقهم وفسقهم وفجورهم فكأنه كان واحداً منهم قبل اسلامه في الكفر والعداء لدين الاسلام ونبيه ﷺ ، ومثلهم نفاقاً ممن يبطن الشرك ويظهر الاسلام .

وقد أسلم قبل الفتح وهاجر بيد سرعان ما ارتد وعاد لاحضان الشرك ، وعاد إلى مكة وهو أشد على الاسلام ونبي الاسلام . وافترىٰ ما شاء علىٰ رسول اللّه والمسلمين مما سبب ان رسول اللّه ﷺ لما فتح مكة هدر دمه ولو كان متعلقاً باستار الكعبة .

فحماه وأخفاه عثمان حتىٰ هدأت الثورة الأولىٰ واطمأن عثمان واستأمنه عثمان من رسول اللّه ﷺ فلم يجبه رسول اللّه طويلاً حتىٰ قال جواباً لعثمان : نعم ، حتىٰ إذا استراح عثمان ووثق عن أمنه إياه وخرج ، قال رسول اللّه ﷺ : **إنما صمت كي تكون الحجة لمن ينفذ أمري في هدر دمه قبل ائتمانه** ، فقال رجل من الأنصار : لو أومأت إليّ يا رسول اللّه ، فقال : **إن النبي لا ينبغي أن تكون له خائنة الأعين** .

راجع بذلك أسد الغابة ج ٣ ص ١٧٣ ، والاصابة ج ٢ ص ٣١٧ ، وانساب البلاذري ج ٥ ص ٤٩، ومستدرك الحاكم ج٣ ص ١٠٠، وسنن أبي داود ج ٢ ص ٢٢٠، وتفسير الشوكاني ج ٢ ص ١٣٤ ، والاستيعاب ج ١ ص ٣٨١، وتفسير القرطبي ج ٧ ص ٤٠ .

وهذا كتاب اللّه يصرّح بكفره قبيل ذلك في سورة الأنعام الآية (٩٣) قوله تعالىٰ: ﴿**ومن أظلم ممن افترىٰ علىٰ اللّه كَذِباً أو قال أُوحي إليَّ ولم يوحَ إليه شيء ومن قال سأُنزل مثل ما أنزلَ اللّه**﴾ .

وقد أجمعت التفاسير علىٰ أن الآية إنما نزلت علىٰ عبداللّه لما كانت له من

سابقة الكفر ثم اسلامه ثم ارتداده وافتراءاته علىٰ اللّٰه ورسولهﷺ .

راجع بذلك تفسير الشوكاني ج ٢ ص ١٣٣ ، وتفسير الخـازن ج ٢ ص ٣٧ ، والأنساب للـبلاذري ج ٥ ص ٤٩ ، وتـفسير القـرطبي ج ٧ ص ٤٠ ، وتـفسير البيضاوي ج ١ ص ٣٩١ ، وكشاف الزمخشري ج ١ ص ٤٦١ ، وتفسير الرازي ج ٤ ص ٩٦ ، وتفسير النسفي هامش الخازن ج ٢ ص ٣٧ .

هل انزر من مساوئ الرجل المرتد بعد اسلامه والمهدور الدم والذي استأمنه عثمان وظل ذليلاً حتىٰ إذا وافته خلافة عثمان يدنيه ويوليه ولاية مصر العظيمة ويقدم له فيما قدمه من الهدايا والمنح الكثيرة جميع ما أفاء اللّٰه عليه مـن فـتح افريقيا من مصر وطرابلس وتونس والجزائر والمغرب دون أن يشـاركه أحـد ، وهي تربو علىٰ خمسمئة ألف دينار والتي هي طبق الآية الشريفة ليس للـخلافة حق الاهداء فهي للّٰه ولرسوله ولذي القربىٰ واليتامىٰ والمساكين في آية الخمس .

راجع بذلك شرح نهج البلاغة ج ١ ص ٦٧ لابن أبي الحديد .

وقد ذكره أبو الفداء وابن الأثير في أسد الغابة ج ٣ ص ١٧٣ ، وابن كثير في تأريخه ج ٧ ص ١٥٢ .

وكان هذا دأب عثمان أن يأتي بكل من له صلة عداء بالنبي وآله أو لعينه أو طريده ومن هو بغيض الصحابة ومحل اعتراضهم .

راجع أنساب البلاذري ج ٥ ص ٢٦ .

ويقول في اعتراض من يعترض ومن كان المعترض : هذا مال اللّٰه اعطيه من شئت وامنعه عمن شئت رغم أنف من أبىٰ واعترض .

ويطبق ذلك عملاً وهو يـعلم أن ذلك مـخالف لنـص الكـتاب فـي الخـمس والصدقات والفيء وتقسيمها علىٰ مسـتحقيها دون رعـاية سـنّة رسـول اللّٰـه ، وقولهﷺ : **إنما انا قاسم وخازن واللّٰه يعطي** . وقولهﷺ : **ما أعطيكم ولا أمنعكم إنما أنا قاسم حيث أمرت** . وقولهﷺ : **واللّٰه ما اوتيكم من شيء أو امنعكموه ان أنـا إلّا**

خازن أضع حيث أمرت .

راجع بذلك صحيح البخاري ج ٥ ص ١٧ ، وسنن أبي داود ج ٢ ص ٢٥ ، وطرح التثريب ج ٧ص ١٦٠ .

كما جاء في صحيح البخاري أيضاً : ج ٥ ص ١٧ : إن رسول اللهﷺ حذّر أمته من التصرف في مال الله قوله : **إن رجالاً يتخوّضون في مال الله بغير حق فلهم النار يوم القيامة .**

والذي يقصده رسول اللهﷺ بالتخويض انهم يعملون خلاف النصوص القرآنية والسنّة النبوية .

وهنا نرجع للأموال الطائلة التي قدمها عثمان لمن مر من ولاته الطغاة المردة الفجرة ، وهي حق الأمة وحق المستضعفين الفقراء فيؤثر بها هؤلاء رغم ما يمنعه خليفة رسول اللهﷺ ووصيه وباب علمه وأعدل وأعلم وأتقىٰ الأمة الامام عليﷺ والصحابة المقربين ، وهو يشير غير مكترث رغم أنوفهم : **﴿ومن لم يحكم بما أنزل الله فأُولئك هم الكافرون﴾** وقوله : **﴿ومن لم يحكم بما أنزل الله فأُولئك هم الظالمون﴾** وقوله : **﴿ومن لم يحكم بما أنزل الله فأُولئك هم الفاسقون﴾** .

وبالتالي بلغ السيل الزبىٰ وضاقت بأهل مصر أعمال ابن سرح المخالفة للدين والوجدان والخلق السامية لبقية ولاته من آل أمية الماضين ، ولم يجد أهل مصر بداً سوىٰ الشكوىٰ ، ولمن يشكون ، ولمن يتوجهون غير مدينة رسول اللهﷺ محط آمالهم ؟ فجاءوا عثمان وشكوا ابن أبي سرح وتوسلوا إليه وبالصحابة المقربين هناك ، فأرسل له عثمان كتاباً يوبخه .

وكانت عادة عثمان أن يكتب كتبه اقناعاً للشكاة عندما يضيق بهم ذرعاً ، ثم يرسل كتاباً آخر خلاف ذلك وهو الذي أثار رعب الشكاة في المراحل الأخيرة ، واجتهدوا جميعاً بعزله أو هدر دمه إن أبىٰ .

وفي هذه المرة أخذ ابن أبي السرح الشكاة بين ضرب وتنكيل وقتل . وفي هذه المرة يتوجه عدد غفير من الشكاة إلى مصر يربو على سبعمئة شاكين منه لعثمان والصحابة ، وكثر الصخب على عثمان وكانت هذه من بوادر طلب عزله وبعدها قتله كما يأتي شرحه : ﴿وما ظلمناهم ولكن كانوا أنفسهم يظلمون﴾ .

مع عمه الحكم

الحكم بن أبي العاص ، هو عم عثمان ، وهو من ألد أعداء رسول الله ﷺ في مكة قبل الهجرة ،أمثال عقبة وأبو لهب وأبو جهل ، وممن كان يتقصد أن يؤذي النبي ويعيبه ويستهزأ منه ويغمزه حتى دعى عليه رسول الله ﷺ مرة حينما كان يغمزه ، وقال : **اللّهم اجعل به وزعاً** (والوزع الارتعاش والرعدة) فرجف مكانه وارتعش بعد أن مكث شهراً مغشياً عليه .

راجع بذلك الاصابة ج ١ ص ٣٤٥ و ٣٤٦ ، والسيرة الحلبية ج ١ ص ٣٣٧ ، والفائق للزمخشري ج ٢ ص ٣٠٥ ، وتاج العروس ج ٦ ص ٣٥ ، وسيرة ابن هشام ج ٢ ص ٢٥ ، والطبراني ، ووردت بنفس المعنى ، وبألفاظ مختلفة ، وعن محدثين شتى كما روى ذلك الحاكم والبيهقي .

وأخرج البلاذري في انسابه ج ٥ ص ٢٧ : ان الحكم كان من جيران النبي ﷺ في مكة وكان أشدهم خصومة له وأذى .

وقد قدم المدينة بعد فتح مكة بيد أنه ظلّ يغمز النبي ﷺ ويختلجه ، وكم مرة تهدده واستنكر أفعاله وسلوكه ، وبالتالي قال مرة : **من عذيري من هذا الوزعة اللعين** . ونفاه وولده جميعاً إلى الطائف .

واستشفع عثمان بعد وفاة رسول الله ﷺ أبا بكر فأبى من ارجاعه ، وبعد وفاة أبي بكر استشفع عند عمر فأبى أيضاً من ارجاعه حتى إذا انتقلت الخلافة له

أرجعهم وقال لمن لامه: ان رسول الله ﷺ أوعده بارجاعهم لولا أن المنية غلبته.

هذا ولم يهمه انكار الصحابة والمسلمين عليه من ايوائه واكرامه وهو الذي طرده رسول الله ولعنه كما سيأتي تفصيل ذلك، وكان مع ذلك محل اكرامه وتجليله، وكان قدمات في زمن خلافته، فصلى عليه وضرب على قبره فسطاطاً احتراماً وتجليلاً له، ويتفانى في تقديم العطايا له ولبنيه من بيت مال المسلمين وحقوقهم، غير مبالٍ ولا آبهٍ لمن لام أو اعترض.

وقد أخرج ابن الأثير في أسد الغابة ج ٢ ص ٣٤: ان رسول الله ﷺ لعنه وما ولد.

وقد اختلف المحدثين والرواة والحفاظ في علل طرده ونفيه مع ولده من أنه كان يتجسس ويتسمع وينافق مما يضر بالاسلام، ومما ينهاه ويأباه رسول الله ﷺ.

وكان يتظاهر بالاسلام ويبطن الكفر والفسق والنفاق، ويحاول أن يلعب دوراً مع المشركين والمنافقين للوقيعة بالاسلام. ولطالما ظهرت على محياه وأعماله المنكرات وما كان ليخفى على سيد الرسل حتى لعنه وما ولد، وطرده وهجاه عبدالرحمن بن حسان بن ثابت:

ان اللعين أبوك فارم عظامه ... ان ترم ترم مخلجاً مجنوناً
يمسي خميص البطن من عمل التقى ... ويظل من عمل الخبيث بطيناً

كما ورد في الاستيعاب ج ١ ص ١١٨ و ١١٩، وأسد الغابة ج ٢ ص ٣٤.

الحكم وولده ملعونون

من طريق عبدالله بن الزبير قال وهو على المنبر: ورب هذا البيت الحرام والبلد الحرام انّ الحكم بن العاص وولده ملعونون على لسان محمد ﷺ، كما

أخرج ذلك ابن عساكر ، وكما ورد في لفظ آخر في كنز العمال ج ٦ ص ٩٠ : قال عبدالله بن الزبير هو يطوف بالكعبة : ورب هذه البنيّة للعن رسول الله الحكم وما ولد .

وعن طريق عبدالله بن الزبير[1] أيضاً كما جاء في مستدرك الحاكم ج ٤ ص ٤٨١ ، وباسناد رجاله موثقين : ان رسول الله لعن الحكم وولده .

وعن طريق عبدالله أخرجه ابن مردويه وابن أبي حاتم والنسائي وعبد بن حميد وابن المنذر والحاكم : اني لفي المسجد حين خطب مروان فقال : ان الله تعالىٰ قد أرىٰ لأميرالمؤمنين ـ يعني معاوية ـ في يزيد رأياً حسناً أن يستخلفه ، فقد استخلف أبو بكر وعمر ، فقال عبدالرحمن بن أبي بكر : أهرقلية ؟ إن أبا بكر رضي الله تعالىٰ عنه والله ما جعلها في أحد من ولده ولا أحد من أهل بيته ولا جعلها معاوية إلّا رحمة وكرامة لولده . فقال مروان : ألست الذي قال لوالديه افٍ لكما ؟ فقال عبدالرحمن : ألست ابن اللعين الذي لعن رسول الله أباك ؟؟ فسمعت عائشة فقالت : مروان أنت القائل لعبدالرحمن كذا وكذا ، كذبت والله مافيه نزلت ، في فلان ابن فلان .

أقول : ولشد ما يثير الاعجاب ان ما فاه به عبدالله بن الزبير تجاه مروان مستدل وصحيح من لعن الحكم وبنيه بيد أليس مروان هذا الذي كان صاحبه بالأمس في مسيرة حرب الجمل ضد خليفة رسول الله ﷺ ـ تلك العصبة التي

---

(١) راجع المصادر مستدرك الحاكم ج ٤ ص ٤٨١، تفسير القرطبي ج ١٦ ص ١٩٧، شرح ابن أبي الحديد ج ٢ ص ٥٥ ، نهاية ابن الأثير ج ٣ ص ٢٣، وأسد الغابة ج ٢ ص ٣٤، وتفسير الزمخشري ج ٣ ص ٩٩، والفائق له ج ٢ ص ٣٢٥، وتفسير الرازي ج ٧ ص ٤٩١، وتفسير ابن كثير ج ٤ ص ١٥٩.

اجتمعت على الضلال لمعاوية ـ أمير المؤمنين علياً ، وبينهم طلحة والزبير وعائشة أم المؤمنين ومروان وعبدالله ومحمد بن طلحة وقلة من بني أمية ، فكيف كان ذلك وكيف اتفقوا مع هذا اللعين مروان وهم يعلمون من هو ومن أبوه من رسول الله ﷺ وهم يعلمون مكان عليٍّ من رسول الله ﷺ ، وهو وليهم وامامهم ونفس رسول الله وأبو عترته ، وانه من يبغضه منافق وكافر ، وانه خليفة رسول الله ، كما قال انه منه مقام هارون من موسىٰ .

ولكن عبدالله ومروان ومن تابعهم كلهم إنما الدين لعق على ألسنتهم يلوكونه أينما درت معائشهم .

وتعال معي إلى المصادر التي نقلت لعن الحكم وولده عن رجال صحاح عن رسول الله ﷺ عن عبدالله بن عمر عن رسول الله ﷺ قال : **ليدخلن الساعة عليكم رجل لعين** . فو الله مازلت أتشوق داخلاً وخارجاً حتىٰ دخل فلان يعني الحكم . أخرجه ابن حجر في تطهير الجنان هامش الصواعق ص ١٤٤ ، وكما رواه أحمد .

كما اسند عن عمرو بن مرّة قال : استأذن الحكم على رسول الله ﷺ فعرف صوته فقال : **آذنوا له لعنة الله وعلىٰ من يخرج من صلبه إلّا المؤمنون وقليل ما هم ، ذووا مكر وخديعة يعطون الدنيا وما لهم في الآخرة من خلاق** .

أخرجه البلاذري في الأنساب ج ٥ ص ١٥٦ ، والحاكم في المستدرك ج ٤ ص ٤٨١ ، كما صححه الواقدي في السيرة الحلبية ج ١ ص ٣٣٧ . وفي لفظ لابن حجر في تطهير الجنان هامش الصواعق ص ١٤٧ . آذنوا له فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين ، وما يخرج من صلبه يشرفون في الدنيا ويترذّلون في الآخرة ذووا مكر وخديعة إلّا الصالحين منهم وقليل ما هم .

وجاء في كنز العمال ج ٦ ص ٣٩ و ٩٠ ، كما أخرجه الطبراني وابن عساكر والدارقطني عن طريق عبدالله بن عمر حيث قال : هجرت الرواح إلى رسول

اللّهﷺ فجاء أبو الحسن فقال له رسول اللّهﷺ : ادن ، فلم يزل يدنيه حتىٰ التقم أذنيه فبينما النبيﷺ يساره إذ رفع رأسه كالفزع قال : فدع بسيفه الباب ، فقال لعليّ : **إذهب فقده كما تقاد الشاة إلى حالبها** ، فإذا عليٌ يدخل الحكم بن العاص . آخذاً باذنه ولها زنمة حتىٰ أوقفه بين يدي رسول اللّهﷺ فلعنه نبي اللّهﷺ ثلاثاً ثم قال: **احله ناحية** ، حتىٰ راح إليه قدم من المهاجرين والأنصار ، ثم دعا به فلعنه ثم قال : **ان هذا سيخالف كتاب اللّه وسنّة نبيه وسيخرج من صلبه فتن يبلغ دخانها السماء** . فقال ناس من القوم : هو أقلّ وأذلّ من أن يكون هذا منه . قال : **علي وبعضكم يومئذٍ من شيعته** .

ترىٰ عبداللّه بن عمر هذا الذي يروي هذه الروايات وباسناد صحيحه وهو يعلم حقائق عن علي وعترته واحاديث النبوة فيهم كيف قتل أخوه الهرمزان وابنته دون ذنب وجناية ؟ وكيف تأخر عن بيعة امامه علياً ؟ وكيف وافق العصبة الضالة معاوية وبني أمية ؟ وكيف بايع خف الحجاج رهبة وذلة وتحقيراً أحد عمال عبد الملك بن مروان ؟

وتعال معي لنقارن بين عبداللّه بن عمر تربية الخليفة الثاني الذي حكم ملك بني أمية وبني معيط ، وسلّطهم علىٰ رقاب المسلمين ، حتىٰ بلغ بهم الأمر لاخضاع ابنه وشيعته لدرجة الخسة والذلة التي تستباح المدينة المنورة ، وتسفك الدماء ، وتستباح الأعراض والأموال وتضرب كعبة المسلمين بأيدي عمال بني أمية والحكم ، وترىٰ عبداللّه بن عمر ابن الخليفة الثاني المتفضل بتقديم خلافة المسلمين لهم يرىٰ هو وعبدالرحمن بن أبي بكر الخليفة الأول من الذلة والعار والخزي ما يبعث الأسف والحسرة علىٰ ما فرطوا مع عترة رسول اللّهﷺ واتبعوا غير سبيل المؤمنين .

وليت الخليفة الأول أبو بكر والخليفة الثاني عمر أحياء ويروا بأم أعينهم كيف

صنع صنائعهم وعمالهم لا بمن عادوهم من آل البيت بل بأقرب وأعز الأفراد الذين كانوا في حمايتهم حتىٰ أولادهم.

نعم عبدالرحمن يهرب من مروان بن الحكم عامل معاوية كسرىٰ العرب، علىٰ حد قول عمر، والذي هدد به عمر أهل الشورىٰ، بل هدد به علياً وذويه وعبدالله ابنه يمد يده خشية ورهبة وذلة ليبايع! ومن يبايع يبايع الحجاج عامل عبد الملك ابن مروان أبي الحكم طريد رسول الله ﷺ وملعونه، فيأبىٰ هذا عليه أن يمد يده فيمد له رجله وفيه الخف آمراً إياه أن يبايع خفه، فيفعل وعندها حيث لا ينفع الندم والحسرة حيث لا تنفع الحسرة.

ونذكر يوم تخلف[1] مع المتخلفين أمثاله أن يبايع أعدل وأبر وأتقىٰ وأشجع وأعلم وأحق الأمة بالخلافة، هو الامام علي ﷺ الذي نصبه الله ورسوله خليفة بعده، وغصبوه في يوم السقيفة، وهل يكون جزاء من غدر وغصب غير هذا، وليتهم كانوا حاضرين فيعلمون من ولوا بعدهم وأية جناية جنوا أن يصبح يزيد ومروان وأولاده خلفاء يعبثون برقاب وأموال المسلمين كيفما شاءت أهواؤهم.

وتعال معي إلى العترة الطاهرة وتربية رسول الله ﷺ وعلي وفاطمة الزهراء ﷺ ذلك الحسين ﷺ الشهيد الأبي الذي خاطب اولئك الهمج الرعاع في حرب كربلاء قائلاً:

«يا شيعة آل أبي سفيان إن لم يكن لكم دين ولا تخافون المعاد فكونوا أحراراً في دنياكم». وقوله حينما طلبوا منه الاستسلام ومبايعة يزيد فأبىٰ قائلاً: **«والله لا أعطيكم بيدي اعطاء الذليل ولا أقر لكم إقرار العبيد»** وضحىٰ بذويه وصحبه وماله

---

(١) كان عبدالله بن عمر وسعد بن أبي وقاص وأسامة بن زيد وجماعة أخرىٰ تخلفوا عن مبايعة علي بعد مقتل عثمان.

ونفسه لاحياء كلمة الدين والعدل فكان نضاله وتضحيته مثلاً رائعاً للعالم كله ، وكانت النواة لزعزعة ملك آل بني أمية وضربتها الضربة القاصمة بيد بني العباس ولو بعد حين .

كتاب الله والحكم وولده

أخرج ابن مردويه عن أبي عثمان النهدي عن عائشة : لما بايع الناس يزيد قال مروان : سنّة أبي بكر وعمر ، فقالت عائشة إنها لم تنزل في عبدالرحمن ولكن نزلت في أبيك : **﴿ولا تُطِعْ كُلَّ حَلّافٍ مَهين * همازٍ مشّاءٍ بنميم﴾** الآيتين (١٠ ـ ١١) من سورة القلم .

جاء في الدر المنثور ج ٦ ص ٤١ و ٢٥١ ، وسيرة زيني دحلان على هامش الحلبية ج ١ ص ٢٤٥ ، وتفسير الآلوسي ج ٢٩ ص ٢٨ ، وتفسير الشوكاني ج ٥ ص ٢٦٣ .

وفي لفظ آخر عن ابن مردويه عن عائشة ذكره السيوطي في الدر المنثور ج ٤ ص ١٩١ ، كما جاء في السيرة الحلبية ج ١ ص ٣٣٧ ، وتفسير الشوكاني ج ٢ ص ٢٣١ ، وتفسير الآلوسي ج ١٥ ص ١٠٧ ، قالت لمروان : سمعت رسول الله يقول لأبيك وجدّك أبي العاص بن أمية : **انكم الشجرة الملعونة في القرآن** .

وفي تفسير القرطبي ج ١٠ ص ٢٨٦ ان عائشة قالت لمروان : لعن الله أباك وأنت في صلبه ، وأنت بعض من لعنه الله ، ثم اردفت قائلة : والشجرة الملعونة في القرآن .

أقول : ولا أدري ما أقول في متابعتها لمروان ويعلى بن أمية ومتابعتهم لها ، ومهما كان فالظالمين بعضهم أولياء بعض الآية (٦٠) في سورة الاسراء قوله عز من قائل : **﴿وما جعلنا الرؤيا التي أريناك إلاّ فتنةً للناس والشجرةَ الملعونة في القرآن ونخوّفهم فما يزيدهم إلاّ طغياناً كبيراً﴾** .

أخرجه ابن أبي حاتم عن يعلى بن مرة قال : قال رسول اللهﷺ : **رأيت بني أمية على منابر الأرض وسيملكونكم فتجدونهم أرباب سوء** .

واهتم رسول الله بذلك وفيه نزلت الآية المارة الذكر ، كما جاء نفس المعنى وعن مصادر وألفاظ أخرى .

كما أخرج ذلك ابن مردويه عن الحسين السبط عن جدهﷺ ، وأخرجه ابن عساكر والبيهقي وابن مردويه وابن أبي حاتم عن سعد بن مسيب عن رسول اللهﷺ .

كما أخرج ذلك الطبري والقرطبي وغيرهم عن سهل بن سعد عن رسول اللهﷺ .

كما رواه النيسابوري والقرطبي عن ابن عباس عن رسول اللهﷺ .

وأخرج ذلك ابن أبي حاتم عن ابن عمر أو عمرو .

كما أخرجه البيهقي وابن عساكر والحاكم وأبو يعلى عن أبي هريرة عن رسول اللهﷺ : إني رأيت في منامي كأن بني الحكم بن العاص ينزون على منبري كما تنزوا القردة .

أخرج ما مر أيضاً المقريزي في النزاع والتخاصم ص ٥٢ ، وابن الأثير في أسد الغابة ج ٣ ص ١٤ من طريق الترمذي .

وأخرج ما مر أيضاً الطبري في تفسيره ج ١٥ ص ٧٧ ، وتاريخه ج ١١ ص ٣٥٦ ، والخطيب في تاريخه ج ٨ ص ٢٨ وج ٩ ص ٤٤ ، وتفسير النيسابوري على هامش الطبراني ج ١٥ ص ٥٥ ، وتطهير الجنان لابن حجر هامش الصواعق ص ١٤٨ ، كما جاء في كنز العمال ج ٦ ص ٩٠ ، والدر المنثور ج ٤ ص ١٩١ ، وتفسير الخازن ج ٣ ص ١٧٧ .

وقد جاء في تفسير الكثير منهم أن الآية تدل بما أتى بنو أمية وبنو الحكم في زمن حكمهم من المظالم والمنكرات واستباحة المحرمات .

الخلفاء وبني أمية وبني معيط

سبق وان وجدنا أبو بكر وعمر وأبو عبيدة الجراح في السقيفة وجميع المواقف بعدها لم يمتازوا بأية ميزة سوىٰ انهم من المهاجرين ، ولم تكن لأنهم من تـلك الفضائل التي مرت وذكرناها باسنادها لعليﷺ ولأهل بيت الرسالة ، ولم تكن لهم أية ميزة في القرآن أو أحاديث رسول اللّٰهﷺ وأقواله وأفعاله فيهم .

بل بالعكس نجد رسول اللّٰهﷺ جرب مرة وأعطىٰ الراية في خيبر إلى أبي بكر ليحارب اليهود وعاد خائباً فاراً . وأجرىٰ نفس الأمر مع عمر وعاد فاراً . والميزة الأخرىٰ اعطاء أبي بكر سورة البراءة ليتلوها علىٰ قريش ثم استرجعها منه ليثبت للناس عدم كفاءتهم ، وليثبت لهم ذلك .

وبالتالي وفي الساعات الأخيرة نراه صلى اللّٰه عليه وآله يـحشرهم جـنوداً تحت راية اسامة بن زيد ، وهو أميرهم لحرب مؤتة ليعلم الناس بدرجة مقامهم ، ثم تجدهم يتخلفون بعذر مرض رسـول اللّٰـهﷺ ويـعود رسـول اللّٰـه ويـلعن المتخلفين، ونراهﷺ لما يجد ذلك منهم فيطلب القلم والقرطاس ليحرر لهم ما ينقذ الأمة من الضلال ، وما ينوون القيام به من الانقلاب .

ونجد عمر في هذه المرة يقف حجر عثرة أمام رسول اللّٰهﷺ عن كتابة ما أراد ، ورأينا عمر في خلافته يصرح لابن عباس إنما أراد رسول اللّٰه كتابة العهد لعـليٍّ ومنعته .

ورأينا عمر كيف يخالف نصوص القرآن ويصرح بمخالفته ذلك ؛ كما عمل ذلك في المتعتين متعة الحج ومتعة النساء ، حينما صعد المنبر وصرح : «متعتان كانتا حلالاً علىٰ عهد رسول اللّٰه وأنا محرمهما ومعاقب عليهما» .

كل ذلك دون أن يذكر عذراً لمخالفته النـصوص والسـنن وإذا راجـعنا عـمر لوجدناه غير مخالفته رسول اللّٰه في سنته فانه قد خالف نصوص القرآن في أربعين

مورداً ذكرنا أكثرها .

وأحيل القارئ الكريم لمطالعة كتاب النص والاجتهاد للعلامة السيد عبدالحسين شرف الدين .

ثم وجدنا أبو بكر وعمر منذ الساعة الأولىٰ يحاولون طمس اعلام الحجج والبراهين المخالفة لتسلمهم مقام الخلافة بالضربات القاصمة لعلي وأهل بيت الرسالة ، وابعادهم عن الحكم وأبعاد أي هاشمي .

وبالعكس تبديلهم بألد أعدائهم من خصوم الاسلام ، أمثال أبي سفيان وخالد ابن الوليد والمغيرة بن شعبة وعمرو بن العاص وأمثالهم ، وأعطائهم المناصب والمراكز المهمة ، أولئك الذين لا يهمهم الدين ورفع شوكة الاسلام ، بل العودة إلى التعصبات الجاهلية .

ومخالفة فحوىٰ النصوص في كلام اللّٰه في قوله تعالىٰ في الآية (١٣) من سورة الحجرات : ﴿إنّ أكرمكم عند اللّٰه أتقاكم﴾ .

ومخالفة خطبة رسول اللّٰهﷺ في حجة الوداع يوم قال : «**أيها الناس ليس لعربي علىٰ عجمي ولا لعجمي علىٰ عربي ولا لأبيض علىٰ أسود أو أسود علىٰ أبيض إلّا بالتقوىٰ**» .

والنصوص التي منع بها المنابزات والمشاحنات الجاهلية .

بل نرىٰ أبا بكر وعمر يضربون ضربتهم القاصمة الأخرىٰ في شوكة الاسلام بمنعهم تدوين أحاديث رسول اللّٰهﷺ وسنّته بدعوىٰ : عندنا كتاب اللّٰه ، تلك التي هي المفسرة لموجز القرآن والتي لها الصدارة بعد القرآن ، وكل قصدهم اخفاء ما أمر به رسول اللّٰهﷺ إلى الحين الذي يكون بوسعهم ادلاء وادخال وجعل ما يؤيد مقامهم ، ويبرر غصبهم .

ونحن لا يخفىٰ علينا سابقتهم وجهلهم بالدين والفقه والأصول ، فكيف

ينشرون الاسلام وهم يجهلون أصوله ، وهم لم يتبعوا أوامر اللّٰه ورسوله ، وفاقد الشيء لا يعطيه ، فكيف يستطيع أمثال أبو بكر وهو يقول: اقيلوني فلست بخيركم . وعمر الذي طالما كرر : لولا علي لهلك عمر . بل وأشد بقوله : حتىٰ النساء أفقه منك يا عمر .

وقد مرت باسنادها هؤلاء نجدهم منذ الساعة الأولىٰ يقدمون أبو سفيان ، ويقدمون بنيه في حملاتهم كما قدموا عمرو بن العاص والمغيرة ، ويعطوهم المناصب .

وإذا قلنا ان بعضهم حق له لأنه اشترك في امارة الحروب ، فما هو شأن الآخرين مثل معاوية ، ومن هو عثمان لينصب خليفة ؟ وأي ميزة له سوىٰ ادلاء عمر له نصاً عن طريق الشورىٰ .

لما وجدنا واثبتنا ذلك وكما وجدنا إنما عمر نصبه متقصداً ، كل ذلك مناوأة لعلي وآل البيت عليهم السلام وهو يشهد بمقام علي مراراً وكراراً ، حتىٰ لنجد ابنه عبداللّٰه يسأله : وأنت تشهد بمقام علي فما يمنعك أن توليه ؟ فنراه يقول كما مر : لا أريد أن اتحملها حياً وميتاً .

كلمة يدرك العقلاء فحواها ، إنما هو الاصرار علىٰ مخالفة اللّٰه ورسول اللّٰه صلى الله عليه وآله والاصرار إلى جعلها في ألد أعداء الاسلام وآل بيت الرسالة وهم بنو أمية كما وجدنا، اولئك الذين عرفوا كيف يركزون مقامهم في عهدهم بجعل الاخبار والروايات ووضعها في أبي بكر وعمر وعثمان وبني أمية ، والقضاء علىٰ فضائل محمد وآله وقتل وهتك كل من تحدثه نفسه بادلاء حقيقة عنهم .

ولا يخفىٰ علىٰ الجميع صنائعهم بالحسنين سيدي شباب أهل الجنة ، ومن قبل بابيهما ومن بعد ببنيه .

وما معاوية ويزيد ومروان وعبد الملك وأبنائهم وأحفادهم تلك الشجرة

الملعونة في القرآن إلّا أياديهم ، والظالمين بعضهم أولياء بعض ، لذا فاني أقدم لك بعض الروايات عن مصادر كتاب أهل السنّة والجماعة لتعرف بعض الحقيقة وتدرك كنه الأمر .

ونتسائل ما حدىٰ بأبي بكر وعمر وأبي عبيدة أن يتركوا جيش أسامة وجميع المهاجرين وبني هاشم ويدخلوا سقيفة بني ساعدة ؟ ومن بدأ بانتخاب أبي بكر سوىٰ عمر وأبو عبيدة وتلاهما قلة من الأوس عداءً للخزرج ، والمسلمون جميعاً حتىٰ في المدينة لا رأي لهم ولا علم .

وإذا كانت القلة القليلة انتخبت أبا بكر ، ولا ننسىٰ كلمة عمر باسنادها المارة ، ان بيعة أبي بكر فلتة وقىٰ اللّٰه شرها . كيف جاز بعد ذلك لأبي بكر وحده وفي سكرات الموت وهو علىٰ شفرات الموت وفي حالة اغماء ، ودون وعي كاف ، ودون أخذ رأي الصحابة القريبين والبعيدين أن يعهدها لعمر . رغم مخالفة صريحة من أقرب أقربائه .

ومن أجاز لعمر تشكيل الشورىٰ علىٰ تلك الشاكلة ، بعد أن احكم ملك بني أمية في الشام ومصر وغيرها ، وفي المدينة أن يقدمها لعثمان الأموي المتعصب الذي ثبتت عصبيته الجاهلية واستباحته أموال وأنفس وأعراض المسلمين لبني أمية وبني معيط الملعونون في الكتاب والسنّة ، وطرداء رسول اللّٰه والطلقاء علىٰ لسان رسول اللّٰه ﷺ .

فهذا الحكم ، كان يقال له طريد رسول اللّٰه ولعينه ، وقد طلب عثمان من رسول اللّٰه أن يشفع له ، فأبىٰ رسول اللّٰه ﷺ ، واستمر علىٰ ذلك أبو بكر وعمر .

راجع بذلك السيرة الحلبية ج ٢ ص ٨٥.

وإذا بعثمان يضرب بكل ذلك عرض الحائط غير آبه بالكتاب والسنّة ولا متأسٍ بمن قبله ، وغلبت علىٰ دينه العصبية القبائلية ، ونسىٰ قوله تعالىٰ في سورة التوبة الآية (٢٤) : ﴿قل إنْ كان آباؤكم وأبناؤكم وإخوانكم وأزواجكم وعشيرتكم

وأموالٌ اقترفتموها وتجارةٌ تخشون كسادَها ومساكنُ ترضونَها أحبَّ إليكم من اللّٰهِ ورسولِهِ وجهادٍ في سبيلِهِ فتربصوا حتىٰ يأتي اللّٰـه بأمـرِهِ واللّٰـهُ لا يـهدي القـوم الفاسقين﴾ .

وقد خالف بذلك عثمان الآية فجاء بعمه وبنيه الطرداء الملعونين ، وقدم لهـم أموال بيت المسلمين وسلطهم علىٰ رقاب المسلمين وأباح لهـم استثمار مـال المسلمين ، وخلع عليهم ما شاء من الخلع من مال المسلمين ، وقدم ابنته زوجة لألد خصوم الاسلام ، والطريد ابن الطريد .

ومخالفته سنّة رسول اللّٰه ﷺ علىٰ وجوه عدة :

أولاً : إعطاؤه لعين رسول اللّٰه ﷺ وطريده الصدقات .

وثانياً : اعطاؤه مقداراً هو استحقاق لقضاعة كلها .

وثالثاً : أن يقدم له حق غيره من فقرائهم ومعوزيهم حسب الكتاب والسنّة .

هذا لأبيه ، وأما لابنه فيقدم صدقات وخمس شمال افريقيا ، بينما يجب أن تقسط علىٰ فقراء المحل ، كما قال أبو عبيدة في الأموال ص ٥٩٦ و ص ٥٩٧ .

فكل قوم أولىٰ بصدقاتهم ، حتىٰ يستغنوا . والآية (٦٠) من سورة التوبة : **﴿إنما الصدقات للفقراءِ والمساكين والعاملين عليها﴾** فكـيف قـدمها لهـؤلاء ، السكـير الفاجر الفاسق الوليد في الكوفة ، والطريد اللعين الحكم ومروان ابنه في المدينة ، علىٰ مشهد ومرأىٰ من المعوزين والفقراء والمساكين والعاملين عليها في قضاعة والمدينة ومغارب الأرض في شمال افريقيا ومشارقها في العراق وايران .

ولقد صح الحديث ان عثمان وبني أمية اتخذوا عباد اللّٰه خولاً وأمـواله دولاً ودينه دغلاً .

هذا والأصوات والاستغاثات والاعتراضات من أخلص وأبر الصحابة من آل البيت علي عليه السلام وولده والصحابة البررة من أمثال أبو ذر تعلو وإذا بعثمان لا يعطيهم اذناً واعية ، بل نراه يشتد في اهانة وارهاق وتعذيب وتشريد الصحابة المخلصين

الأغيار لمحض اعتراضهم هذا ، عثمان وقبله عمر الذي عرف عثمان وأفعاله وتنبأ بها ، وقبله أبو بكر فكأنها ملكهم يفعلون بها شاءوا ، غير آبهين بالنصوص والسنن والضمير والوجدان ، والصخب والاعتراضات .

فذلك أبو بكر يقصم المسلمين ويذبحهم باسم الرد بسيف جلادها خالد بن الوليد ، ويمنع الحديث والسنّة ويختلق عن لسان رسول اللهﷺ ما يغصب به نحلة بضعة المصطفىٰ ، ويسبها وزوجها علىٰ المنابر .

وهذا عمر يصرح علىٰ المنابر بوقف النصوص ومنع الحديث والسنّة ويرهب بدرته الصحابة من النطق ويوقفهم تحت سيطرته في المدينة ، أو يرسلهم للأمصار تحت كاهل عماله ، أمثال معاوية وابن العاص الفجرة الفاسقين ، والمغيرة الزاني الفاجر .

وهذا عثمان وهذه أعمالهم ونتائجها التناحر والتفرقة وأخذ زمام الأمور بيد الفجرة الكفرة من أولاد واحفاد الحكم ومروان .

هكذا تؤخذ الزكاة من أمثال ابن نويرة عامل رسول اللّه علىٰ الصدقات ، وأمثالهم بالقتل والسبي والهتك لتعطىٰ لأمثال الحكم والوليد ومروان ومعاوية وسعيد .

فانظر كيف حرّفوها عن مقامها ودسّوا من الأحاديث ما يلائم طباعهم وينزه أعمالهم مما لا يستسيغه أي عاقل ، ولا يرضاه المؤمن ، مما يخالف المنطق السليم والضمير الحي والوجدان الواعي لقول المغيرة الفاسق الفاجر أزنىٰ ثقيف ، لما جاء في سنن البيهقي ج ٤ ص ١١٥ ، والأموال لأبي عبيدة .

وهل يجوز لمثل المغيرة أن يكون راوية صدق فيقول وينسبها لرسول اللهﷺ : ان النبي أمرنا أن ندفعها إليهم وعليهم حسابها .

وقول ابن عمر : أوقفوها إليهم وإن شربوا الخمر .

وقوله : ادفعها إلى الأمراء وان تمزقوا بها لحوم الكلاب علىٰ موائدهم .

أعوذ بالله مما دسوه وشوهوا به صفحة تاريخ الاسلام مما يأباه الشرع الحنيف، وقد شاء الله أن يكذبوه بينهم ، وإليك ما جاء في مستدرك الحاكم ج ٤ ص ٤٢٢ ، ورواه الذهبي عن جابر بن عبدالله الأنصاري ، عن رسول الله ﷺ ، قال لكعب بن عجزة :

«أعاذك الله يا كعب من امارة السفهاء . قال : وما امارة السفهاء يا رسول الله . قال : **أمراء يكونون بعدي لا يهدون بهديي ، ولا يستنون بسنّتي ، فمن صدقهم بكذبهم وأعانهم على ظلمهم فاولئك ليسوا مني ، ولست منهم ، ولا يردون عليّ حوضي ، ومن لم يصدقهم بكذبهم ، ولم يعنهم على ظلمهم ، فاولئك مني وأنا منهم وسيردون على حوضي»** .

فاعرض يا قارئي الكريم على فكرك الوقّاد وعقلك السليم واختر حسب الآية الكريمة : **﴿الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه اولئك الذين هداهم الله واولئك هم أُولو الألباب﴾** الآية (١٨) من سورة الزمر .

اختر ما تراه منطقياً ومعقولاً ومطابقاً لأصول العدالة والمساواة ، هل يجوز أن تعطى الصدقات لأهلها من ذوي العوز والفاقة طبق آيات الله ، أو تعطيها للظلمة الفجرة يستعملوها في هواهم وارهاق عباد الله .

وهل الصدقات إلّا ضريبة على أموال الأغنياء لسد عوز الفقراء والمساكين ، فتعطى لأمثال الفجرة الكفرة ، وهم قد بلغوا حد الاشباع من الثروة ، وعلى أطرافهم من يتضور جوعاً وينام طاوي الحشى .

راجع بذلك نهج البلاغة ج ٢ ص ٢١٤ : **«ان الله فرض في أموال الأغنياء أقوات الفقراء ، فما جاع فقير إلّا بما تمتّع به غنيّ ، والله سائلهم عن ذلك»** .

وراجع المحلى لابن حزم ج ٦ ص ١٥٨ ، وتاريخ الخطيب ج ٥ ص ٢٠٨، والأموال لأبي عبيد ص ٥٩٥ .

عثمان مع مروان بن الحكم

من هو مروان ؟ هو ابن الحكم المار ذكره ابن أبي العاص ابن عم عثمان ، الملعون ابن الملعون والطريد ابن الطريد ، الوزغ ابن الوزغ في قول وفعل رسول اللهﷺ ، وقد مر ذكر الحكم وولده والأسناد في طردهم ولعنهم ، وإليك ما جاء في مروان ذاته :

مسند صحيح عن عبدالرحمن بن عوف ، أخرجه الحاكم في مستدركه ج ٤ ص ٤٧٩ ، قال : كان لا يولد لأحد في المدينة ولد إلاّ جيء به إلى رسول اللهﷺ ، وقد أتيَ بمروان بن الحكم ، فقالﷺ : **هو الوزغ ابن الوزغ الملعون ابن الملعون** .

راجع في ذلك شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ج ٢ ص ٥٦ ، وحياة الحيوان ج ٢ ص ٣٩٩ ، للدميري ، والصواعق المحرقة ص ١٠٨ لابن حجر ، والسيرة الحلبية ج ١ ص ٣٣٧ .

وجاء في أسد الغابة ج ٢ ص ٣٤ ، والاصابة ج ١ ص ٣٤٦ ، والسيرة الحلبية ج ١ ص ٣٣٧ ، وكنز العمال ج ٦ ص ٤٠ : ان ابن النجيب اخرج من طريق جبير ابن مطعم قال : كنا مع رسول اللهﷺ فمر الحكم بن العاص فقال النبيﷺ : **ويل لأمتي مما في صلب هذا** .

وذكر ابن الأثير في أسد الغابة ج ٤ ص ٣٤٨ ، والمتقي الهندي في كنز العمال ج ٦ ص ٩١ ، وابن أبي الحديد في شرح نهج البلاغة ج ٢ ص ٥٥ ، عن الاستيعاب: ان علياً نظر يوماً إلى مروان فقال له : **ويل لك وويل لأمة محمدﷺ منك ومن بنيك إذا شاب صدغاك** . وقول ابن الأثير : **ويلك وويل أمة محمدﷺ منك ومن بنيك** . وابن أبي الحديد في ج ٢ ص ٥٣ ، قول علي في مروان : **يحمل راية ضلالة بعدما يشيب صدغاه وان له امرة.**

وجاء في تذكرة السبط ابن الجوزي ص ٤٥ ، وطبقات ابن سعد ج ٥ ص ٣٠ ،

طبع ليدن ، قول الامام علي يوماً هو ينظر إلى مروان : **ليحملن راية ضلالة بعدما يشيب صدغاه وله أمرة كلحسة الكلب أنفه .**

تلاعبهم بالنصوص والسنّة

عن عباد بن عبدالله بن الزبير : ان معاوية قدم حاجاً ، وقدمنا معه مكة ، صلّى بنا الظهر ركعتين ثم انصرف إلى دار الندوة . قال : وكان عثمان ان قدم مكة أتم بها الظهر والعصر والعشاء أربعاً أربعاً ولكنه يقصر الصلاة في منىٰ وعرفات . وبعد فراغه من الحج واقامته في منىٰ يتم الصلاة إلى أن يخرج من مكة . ولما صلّى معاوية بنا ظهراً ركعتين قام إليه مروان بن الحكم وعمرو بن عثمان وقالا له : ما عاب أحد ابن عمك بأقبح ما عبته به . فقال لهما : ويحكما ، وهل كان غير ما صنعت ؟ قد صليتها مع رسول الله ومع أبي بكر وعمر رضي الله عنهما . قالا : فان ابن عمك قد اتمّها وانّ خلافك إياّه له عيب . قال : فخرج معاوية وصلّى العصر بنا أربعاً .

راجع بذلك مسند أحمد ج ٤ ص ٩٤ ، والهيثمي أيد ذلك في مجمع الزوائد ج ٢ ص ١٥٦ ، كما ذكره الطبراني .

ترىٰ هنا كيف صرحوا جميعاً أن عثمان ومعاوية ومروان وعمرو بن عثمان يخالفون الله ورسوله ﷺ في صلاتهم .

مخالفة السنّة

عن أبي سعيد الجوزي ، كما أخرجه البخاري ، انه خرج مع مروان بن الحكم يوم كان أمير المدينة في اضحىٰ أو فطر ، فما أتيا مصلىٰ به منبر بناه كثير بن الصلت ، وإذا مروان يريد أن يرتقيه قبل الصلاة فجبذت ثوبه ، فجبذني ، فارتفع فخطب قبل الصلاة ، فقلت : غيرتم والله . فقال : أبا سعيد قد ذهب ما تعلم ، فقلت :

ما أعلم والله خير مما لا أعلم. فقال: ان الناس لم يكونوا يجلسون لنا بعد الصلاة فجعلتها قبل الصلاة.

وقد كانت تلك سنّة رسول اللهﷺ ان تكون الخطبة بعد الصلاة بيد حين وجد المسلمون ان مروان وبني أمية يرقون المنبر بعد الصلاة وينطقون بما يخالف حدود الله ورسولهﷺ فهم يتركونه ويخرجون.

ومن ذلك سبهم امام المسلمين وخليفة رسول اللهﷺ الذي طهره اللّه من الرجس في آية الطهارة، ونفس رسول الله في آية المباهلة، وولي الله في آية الولاية، ووصي رسول اللهﷺ، وباب علمه، وسفينة نجاة أمته، والذي منه بمنزلة هارون من موسىٰ، والذي قال فيه لا يبغضه إلّا منافق وفاسق وكافر، والناس يعلمون، وهذا مروان بأمر معاوية، اصبحوا قادة وائمة المسلمين يصلون بهم، وبعدها يرقون المنابر ويضعون من مقام الامامة والرسالة ويسبّون امام المسلمين وخليفة رسولهﷺ علىٰ رؤوس الاشهاد، ويسبّون ويشتمون ذرية رسول اللهﷺ الحسن والحسينعليهما السلام وتذكرني هذه بقصيدة أبي العلاء المعري، حيث يقول:

إذا عير الطائي بالبخل مادر وعير قساً بالفهاهة باقل
وقالت سهىٰ للشمس انت ضئيلة وقال الدجىٰ للصبح لونك حائل
وطاولت الأرض السماء تفاخراً وفاخرت الشهب الحصىٰ والجنادل
فيا موت زر ان الحياة ذميمة ويا نفس جدي ان دهرك هازل

فانظر إلى هذا الطريد ابن الطريد واللعين ابن اللعين والوزغ ابن الوزغ علىٰ لسان رسول اللهﷺ يصعد منبر رسول اللهﷺ وقد أصبح أمير المدينة وإمامه معاوية بن أبي سفيان: ﴿وإن الظالمين بعضهم أولياءُ بعض﴾ الآية (١٩) من سورة الجاثية.

وهم مسلطين سيوفهم على رقاب المسلمين ومستحلين دمائهم وأموالهم وأعراضهم ، يسبّون ولي اللّٰه وعترة رسوله ويأتون بالمنكرات جهاراً ، ولا يطيق أحد أن ينبس ببنت شفة ، وإليك ما كان يعمله الملعون مع الحسنين عليهما السلام وهو أمير المدينة :

روى الهيثمي في مجمع الزوائد ج ١٠ ص ٧٢ عن أبي يحيى ، قال : كنت بين الحسن والحسين ومروان يتسابان فجعل الحسن يسكت الحسين فقال مروان : أهل بيت ملعونون . فغضب الحسن عليه السلام وقال :

قلتَ أهل بيت ملعونون ، فو اللّٰه لقد لعنك اللّٰه وأنت في صلب أبيك . كذلك أخرجه الطبراني والسيوطي في جمع الجوامع ج ٦ ص ٩٠ ، نقلاً عن ابن عساكر وابن سعد وأبي يعلى .

فاعجب من هذا الزمان ، وهذا الدين ، وهذه الأمة الاسلامية ، وكيف بنى عليها الخليفة الأول والثاني بنائهم ، حتى آلت إلى هذا الانهيار والاندحار الخلقي وكيف ترجو من أمة تقدم الاذناب السفهاء الادناس الطلقاء الارجاس وتبعد الخيرة البررة الطاهرين . وتعبث الأولى بالثانية ماشاءت وكيفما شاءت ، من قتل وتنكيل وسلب وتحقير واهانة وسب .

رحم اللّٰه المعري ، وليعتبر اولو الأبصار ، فأين دالت تلك الدول ، فلعن اللّٰه الظالمين واللّٰه لهم بالمرصاد ولمن سلّطهم .

أموال المسلمين

من كلام لأمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام أخو رسول اللّٰه صلى الله عليه وآله وخليفته ووصيه وباب علمه ، جاء في نهج البلاغة ج ١ ص ٤٦١ : **ان القرآن أنزل على النبي صلى الله عليه وآله والأموال أربعة :**

١ ـ أموال المسلمين فقسّمها بين الورثة في الفرائض .

٢ ـ والفيء قسّمه علىٰ مستحقيه ، كما ورد مجمله أدناه .

٣ ـ والخمس فوضعه حيث وضعه .

٤ ـ والصدقات فجعلها الله حيث جعلها ، كما يلي :

١ ـ التركات حيث تعطىٰ للورثة حسب النصوص القرآنية والسنّة النبوية .

٢ ـ والخمس كما وردت الآية (٤١) من سورة الأنفال قوله عز من قائل : **﴿واعلموا إنّما غنمتم من شيء فإن لله خمسه وللرسولِ ولذي القربىٰ واليتامىٰ والمساكين وابن السبيل﴾** .

فنرىٰ ان القرآن نص علىٰ أن يكون خمس الغنائم لله وللرسولﷺ ولذوي القربىٰ واليتامىٰ والمساكين وابن السبيل ، والأربعة أخماس الأخرىٰ فهي تقسم بين أفراد الجيش .

فقد جاء عن رسول اللهﷺ في الغنائم : **«لله خمسه وأربعة أخماس للجيش ، وما أحدٌ أولىٰ به من أحد ، ولا السهم تستخرجه من جنبك ليس أنت أحق به من أخيك المسلم»** . كما جاء في سنن البيهقي ج ٦ ص ٣٢٤ و ص ٣٣٦ .

٣ ـ الصدقات . كما جاء في الآية (٦٠) من سورة التوبة قوله تعالىٰ : **﴿إنما الصدقاتُ للفقراءِ والمساكين والعاملين عليها والمؤلفةِ قلوبهم وفي الرقاب والغارمين وفي سبيل الله وابن السبيل فريضةً من اللهِ واللهُ عليمٌ حكيمٌ﴾** .

وكانت السنّة في الصدقات أن كل أهل بيئة أحق بصدقتهم مادام فيهم ذو حاجة، وليست الولاية علىٰ الصدقات للجباية وحملها إلى عاصمة الخلافة ، وإنما هي للأخذ من الأغنياء والصرف في فقراء محالّها ، وذلك ما جاء في وصية رسول اللهﷺ لمعاذ حين بعثه إلى اليمن ، يدعوهم إلى الاسلام والصلاة ، قوله : «**فإذا اقرّوا لك بذلك فقل لهم : ان الله قد فرض عليكم صدقة أموالكم تؤخذ من أغنيائكم فترد في فقرائكم**» .

راجع بذلك صحيح البخاري ج ٣ ص ٢١٥ ، والأموال لأبي عبيد ص ٥٨٠

و ٥٩٥ و ٦١٢، والحلّى ج ٦ ص ١٤٦.

ودامت هذه السنّة حتى توفي الخليفة الثاني، كما جاء في الأموال لأبي عبيد ص ٥٩٦ عن عمرو بن شعيب، ما نقله عن معاذ بن جبل الذي بعثه رسول اللهﷺ إلى اليمن، وبقي هناك زمن رسول اللهﷺ، وأبي بكر وعمر. وما إن أتىٰ عثمان حتى لعب بها ما شاء وما أراد، غير مكترث بنص ولا سنّة، كما سيأتي، حتىٰ إذا عاد الأمر لأهله في زمن خلافة الامام عليﷺ، أعادها كما كانت في عهد رسول اللهﷺ دون زيادة ولا نقصان.

وفي كتاب له في نهج البلاغة ج ٢ ص ١٢٨، إلى قثم بن العباس عامله علىٰ مكة، قوله: «**وانظر إلى ما اجتمع عندك من مال الله فاصرفه إلىٰ من قِبلك من ذوي العيال والمجاعة، مصيباً به مواضع الفاقة والخلّات، وما فضل عن ذلك فاحمله إلينا لنقسّمه فيمن قبلنا**».

وقوله لعبدالله بن زمعة، لما قدم عليه في خلافته يطلب منه مالاً: «**ان هذا المال ليس لي ولا لك، وإنما هو فيء للمسلمين، وجلب أسيافهم، فان شركتهم في حربهم كان لك مثل حظّهم، وإلّا فجناة أيديهم لا تكون لغير أفواههم**».

٤ ـ الآية (٦ و ٧) من سورة الحشر قوله تعالىٰ: ﴿**ما أفاءَ الله علىٰ رسولِهِ منهم فما أوجَفتم عليه من خيلٍ ولا ركابٍ ولكنّ اللهَ يُسلّط رُسله علىٰ من يشاء والله علىٰ كلّ شيءٍ قدير * ما أفاءَ الله علىٰ رسولِهِ من أهل القرىٰ فللّه وللرسول ولذي القربىٰ واليتامىٰ والمساكين وابن السبيل**﴾.

نظر الخليفة الثاني في أموال المسلمين

أما الخليفة عمر فقد خالف في التقسيم السنّة وبدأ يميز في العطيات فيفضل نساء النبيﷺ علىٰ غيرهنّ والبدريين علىٰ سواهم، والمهاجرين علىٰ الأنصار،

وهكذا حسب ما قال .

راجع بذلك الأموال لأبي عبيد ص ٢٢٤ ـ ٢٢٧ ، وفتوح البلدان للبلاذري ص ٤٥٣ و ٤١٦ ، وسنن البيهقي ج ٦ ص ٣٤٩ و ٣٥٠ ، وتاريخ عمر بن الخطاب لابن الجوزي ص ٧٩ ـ ٨٦ .

وإن وجدناه يقول بتقديم الأسبق في الاسلام وتأخير الطلقاء والمنافقين بيد نجده عملاً يقوم في كثير من الأمور بخلاف ذلك من الاطاحة بصرح الاسلام الشامخ وجره إلى الانهيار ، من تقديم الطلقاء مثل بني أمية على آل بيت رسول الله ﷺ وبني هاشم وتقديم الفجرة الزناة مثل المغيرة وحمايتهم والاشادة بذوي المكائد من الفاسقين الفجرة كالاشادة بدولة بني أمية وعمرو بن العاص .

وإن شئت الأدلة والأسناد فطالع أم الفتن السقيفة في كتابنا الثالث من الموسوعة لأبي بكر ، وكتابنا الرابع في عمر أخص الشورى ، وغيرها ، من حرق الكتب ومنع الحديث والسنّة إن تروى وتدون ، ومخالفة النصوص والسنن ، واستعمال درته مع الصحابة وغيرهم ، والفرق بين العرب وقبائلهم وبينهم وبين غير العرب .

أقول ذلك كله مسنداً للأخبار والأحاديث الأكيدة المتواترة الموثوقة .

هبات عثمان للحارث

وهاك ابن الحكم الثاني هو الحارث بن الحكم بن أبي العاص . في الشجرة الملعونة الطريد مع أبيه وأخيه مروان من أعداء رسول الله ﷺ وأهل بيته . يعود مع أبيه فيقدم عثمان له ابنته عائشة ويصاهره ، ثم يغدق عليه بالعطايا ولكن من مال المسلمين وصدقاتهم وليته قدم له مال فرد وفردين ، بل كان يقدم للفرد منهم ما كان لجميع المسلمين الحق فيه ، فكأنه سلب حق المعوزين والجياعا وذوي الفاقة

من المسلمين أولئك الذين تحل عليهم الصدقات ، وقدمها باسم الرحم والقربة إلى خصوم الاسلام ، إلى من طردهم رسول اللّهﷺ إلى الذين لعنهم ، إلى أولئك الذين اثبتوا عدائهم لدين الاسلام ونبي الاسلام ورجال الاسلام وائمتهم وصحابة رسول اللّهﷺ الفجرة المنافقين الفسقة الذين لا يرقبون إلاًّ ولا ذمة في سلب حقوق المسلمين المحتاجين .

نعم وهب الأمير ما لا يملك ، وخان وغدر بحقوق المولّى عليهم يقدمها سائغة لهم ، وإذا اعترضوا عليه قال : وهل فعلت شيئاً إلّا اني وصلت رحمي ، كلمة حق يراد بها باطل .

أيها الجالس في مقر رسول اللّهﷺ وأيها السالب منصب خليفة رسول اللّه ، أتصل رحمك بسلب حقوق الفقراء والمساكين وابن السبيل ؟ أليست الصدقات للمساكين وللمحتاجين ؟ وان تقسم قسمة عادلة ؟ وهل يجوز سلبها من ذويها باسم انك تريد أن تصل رحمك ؟ وإن كان من أبغض خلق اللّه للّه ولرسولهﷺ لفسقهم بل لكفرهم ونفاقهم ، هل ذكروا اللّه باشباع جائع أو بر أو احسان ؟ أم انهم جمعوها وصرفوها في الموبقات ومحاربة المؤمنين واقامة المنكرات .

انك يا من جلست علىٰ منصة خليفة رسول اللّهﷺ ماذا تجيب اللّه يوم الحساب إذا سألك لماذا قدمت :

١ ـ من بيت مال المسلمين إلى الحارث ثلاثمئة ألف درهم ، اتقول للّه : اتنكر عليّ لاني وصلت رحمي .

نعم هل وصلته من مالك الخاص ، وهل طلبت به القربىٰ ، وحولك في أطراف البلاد الاسلامية من ذوي العوز الذين لهم حصة وجزء من هذا المال الذي غصبته وبترته من سهامهم .

راجع أنساب البلاذري ج ٥ ص ٥٢ .

٢ ـ وإذا سألك اللّٰه وكيف قدمت ابل الصدقات للحارث نفسه ، وهي حقوق المسلمين من الفقراء والمساكين ماذا تقول لربك يوم المحشر وقد وقف المسلمون يطلبون منك القصاص ، أتستطيع أن تجيبهم كما أجبت خازن بيت المال الصحابي : أتأخذ عليّ إلاّ اني وصلت رحمي ! أكان ذلك حقك وملكك ؟ أم أنت أمين علىٰ هذا المال لتقسمه بين مستحقيه وقد خنت الأمانة ؟ وإذا كنت أخطأت فقد ذكّرك الصحابة ، وذكّرك سيد الصحابة بعد رسول اللّٰهﷺ الامام علي عليه السلام ، فهل احجمت ؟ لا بل انك عاديت كل ناصح ، واوجعت كل معترض ، واسرفت أكثر فأكثر . راجع البلاذري ج ٥ ص ٢٨ .

٣ ـ وماذا تقول للّٰه في يوم الجزاء وهو يسألك وما بالك تقدم للحارث وتقطعه ما تصدّق رسول اللّٰهﷺ من سوق جهروز (أو نهروز) علىٰ كافة المسلمين . أي صلة هذه لرحمك بظلمك للآخرين وسلب حقوقهم .

كما جاء في معارف ابن قتيبة ص ٨٤ ، ومحاضرات الراغب ج ٢ ص ٢١٢ ، والعقد الفريد ج ٢ ص ٢٦١ ، وشرح ابن أبي الحديد ج ١ ص ٦٧ ، والسيرة الحلبية ج ٢ ص ٨٧ .

عثمان مع سعيد بن العاص

ومن هو سعيد ؟ نعم هو سعيد بن سعيد بن العاص بن أميّة ، وهو شاب أرعن لا يقل رعونة وفسقاً عن سلفه الوليد ، وهذا الآخر علىٰ سر أبيه ، الذي قتل أباه وهو مشرك في حرب بدر علىٰ يد سيدنا امام المتقين علي بن أبي طالب[1] عليه السلام .

فكان من ألد أعداء الاسلام يبطن الكفر والنفاق ، ولطالما تجلىٰ فيه عداءه لصحابة رسول اللّٰهﷺ وأخص منهم البدريين ، وأخص منهم أميرالمؤمنين علي

---

(١) راجع طبقات ابن سعد ١ : ١٨٥ طبعة مصر ، وأُسد الغابة لابن الأثير ٢ : ٣١٠ .

ابن أبي طالب ﷺ ، الذي عارض عثمان في نصبه والياً علىٰ أهم منطقة وقطر يضم أخلص الصحابة البررة وخيارهم أولئك الذين يفتخر الاسلام بتضحياتهم بالنفس والنفيس في سبيل بث العقيدة الاسلامية ، وتوسيع البقعة الاسلامية باليد واللسان، وإذا بالخليفة وكأنه يريد أن ينتقم منهم ، بل من جميع المسلمين لنقمتهم علىٰ عثمان في سيرته وسلوكه .

فيرسل لهم شاباً جاهلاً متعجرفاً معتداً[(١)] بقبيلته ونسبه قد خلىٰ من كل تعاليم الاسلام من اولئك الطلقاء الذين يبطنون الكيد والبغض لمحمد وآله وصحبه ودينه، ولم يردع الخليفة أن يمنعه أقرب الصحابة لرسول اللّٰه وهو علي ﷺ أسبق المسلمين وسيد الوصيين وامام المتقين أعلم وأعدل وأقضىٰ الأمة وأبرهم وأتقاهم ، كلا ولا طلحة ابن عم أبي بكر ، وأقربهم للخليفة الأول ، ولا الزبير وهو الثالث من الصحابة المقربين ، أحد رجال الشورىٰ ، ولا غيره مثل سعد بن أبي وقاص ، ولا عبدالرحمن بن عوف ، ذلك الذي انتخب عثمان واغدق عليه هذا الملايين من بيت مال المسلمين ، فلم يأبه لسوء العاقبة .

وقد حاججاه بالأخص حينما قدم لهذا الشاب المستهتر الوقح مئة ألف من بيت مال المسلمين ، فذكراه بأنهم إنما بايعاه علىٰ أن يسير كسيرة اسلافه أبي بكر وعمر ، ويحتسب كما احتسبا ، فيجيب : إنما كانا يحتسبان في منع قرابتهما ، وأنا احتسب في اعطاء قرابتي . فيجيباه : فهديهما واللّٰه أحبّ إلينا من هديك ، فيقول : لا حول ولا قوة إلّا باللّٰه .

وكأنه بقوله هذا يريد أن يظهر خلاف ما يبطن ، وكأنه يقدم ما يقدم حقاً من

---

(١) راجع تاريخ ابن عساكر ٦ : ١٣٥، وطبقات ابن سعد ٥ : ٢١، ط. ليدن .

حقوقه ، ويسيره طبق أوامر اللّٰه وسنّة رسولهﷺ وهم الذين يمنعوه عن ذلك ، فماذا تقول لهذا الخليفة أهو يجهل ما يقول ؟ أم يعلم ويخالف الحقيقة ؟ وفي كلتاهما لا يستحق أن يجلس هذا المجلس الذي قدمه له الأولان اللذين جاءا يلومانه سعيد بن أبي وقاص صهر عبدالرحمن ، وعبد الرحمن بن عوف صهره ، وقد ندما حيث لا ينفع الندم .

ولقد انبأهما الامام عليعليه السلام في الشورىٰ عن مساوئ ما يقومان به ، واعجب من هؤلاء الذين ملأ جيوبهم بالعطايا .

لكن يجدوه رغم كل ذلك انه انجرف وانحرف بسفينة الاسلام ودين الاسلام انحرافاً لابد من غرق السفينة ، وهكذا كان .

راجع أنساب البلاذري ج ٥ ص ٢٨ .

نعم هذا خليفة المسلمين عثمان الأموي يترك دين اللّٰه دغلاً وعباد اللّٰه خولاً وماله دولاً ، ويقدم الاشقياء اثر الاشقياء حتىٰ ثارت الأقطار وبلغت القلوب الحناجر .

قد سلط عليهم الوليد اماماً ووالياً وقاضياً ، يعبث ببيت المال ما شاء وبالنفوس الزكية ما أراد ويشرب الخمر ، ويصلي الصبح اربعاً سكراناً ، كما مر .

وما كان المسلمون ليثبتوا جرمه ، ويقام عليه الحد ، حتىٰ أخلفه بمن هو شر منه يهين المسلمين ، ويزري بالصحابة البررة ممن جاهد في سبيل اللّٰه وحضر الحروب مع رسول اللّٰهﷺ وأطاع اللّٰه ورسوله وخدم الاسلام يوم كان هذا في صلب أبيه وأبوه مشركاً .

وإليك احدىٰ القصص المزرية ، وعمله مع الصحابة ليكون لك أيها القارئ الكريم معياراً لأعماله المزرية الأخرىٰ :

يطلب بعيد الفطر شهوداً فيتقدم الصحابي العظيم هاشم بن عتبة بن أبي وقاص ،

هذا الرجل الكريم الشجاع المجاهد والذي فقد في سبيل جهاده للاسلام في حرب اليرموك احدىٰ عينيه ، فكانت له مفخرة ، وكانت له دليلاً علىٰ كفاحه المجيد وذخراً لدنياه وآخرته .

نعم يقوم فيقول : أنا شاهدت هلال شهر رمضان ، وقد جاء عن رسول الله ﷺ : **إذا رأيتم الهلال فصوموا وإذا رأيتموه فافطروا**[١] وما كان قول رسول الله ﷺ إلاّ ما ورد في الكتاب بالنص قوله تعالىٰ : ﴿**فمَن شَهِد منكمُ الشهر فليصمهُ**﴾ الآية (١٨٥) من سورة البقرة .

ولكن تعال معي إلى جواب هذا الفاسق الجريء المستهتر ، وكيف يقابل شهادة الصحابي العظيم ويقول له مستحقراً إياه ، ومتجرياً عليه ، وهو يتقدمه سابقة الاسلام والدين والعلم والسن وكل مراحل الايمان من صلاة وصوم وزكاة وحج وجهاد ، نعم يقول له : بعينك هذه العوراء رأيته من بين القوم ؟ فقال هاشم : تعيرني بعيني ، وإنما فقئت في سبيل الله ؟

وقد افطر هاشم في بيته ، وغدّى الناس عنده ، فبلغ ذلك سعيداً فأرسل إليه فضربه وأحرق داره .

فويل لهذا الصعلوك المتجاوز علىٰ الصحابة اولئك الذين تفتخر بهم الانسانية ودعاة الدين وفطاحل الاسلام .

فويل له ولمن سلّطه علىٰ رقاب المسلمين ، ومن سلّط من سلّطه إلى يوم السقيفة وغصب خلافة المسلمين من أصحابها الشرعيين .

فكانت هذه من احدىٰ المساوئ التي اهابت بالمسلمين لا في الكوفة ، بل في

---

(١) صحيح البخاري، وصحيح مسلم، وسنن أبي داود، وسنن الدارمي، وسنن النسائي، وسنن ابن ماجة، وسنن البيهقي .

العراق ، بل ومثلها في مصر وكافة الأقطار الاسلامية للوثبة وطلب الخليفة عن عزل ولاته من آل أمية . حتىٰ اثبتوا خروجه عن الدين وقتلوه وكان كلما شكىا أحدٌ لم يجد سوىٰ التوبيخ من الخليفة وقوله لهم : كلما رأى أحدكم من أميره جفوة ارادنا أن نعزله .

هذا وقد وجد صدق قولهم في سلفه الوليد السكير المتجاهر بالفسق .

وهذا الآخر تجاوز حد الاشرار وبالغ بالاضرار يعثو بالصلحاء ، فيضرب ويهين ويحرق وينفي من شاء منهم إلى ابن عمه الكافر الفاجر الآخر معاوية بن أبي سفيان في الشام ، راجع بذلك أنساب البلاذري .

نعم نفىٰ أجلّ قرّاء الكوفة واخيارها إلى الشام سنة ٣٣ هـ واضطرب الناس وحاروا في أمرهم ، حتىٰ جاءت سنة ٣٤ فعاد جماعة أُخرىٰ من خيرة الصحابة والتابعين للشكوىٰ والتذمر من الكوفة قاصدين عثمان وقد تبعهم سعيد ، وبين هؤلاء الشكاة مالك الاشتر بن الحارث ، ويزيد بن مكفّف ، وكميل بن زياد ، وثابت ابن قيس ، وزيد بن صوحان ، واخوه صعصة بن صوحان ، والحارث الأعور ، وجندب بن زهير ، واصغر بن قيس الحارثي ، وأبو زينب الازدي ، يرجون ويطالبون عزل سعيد ، فأبىٰ ، وطردهم ، وطلب إلى سعيد العودة إلى مقر ولايته ، وهو يحمل معه في هذه المرة قدرة وبغضاً لهؤلاء ، وغيرهم للنكاية بهم بأمر الخليفة . فاضطر القوم قافلين قبله إلى الكوفة . واحتلوها ودخلها بعدهم فمنعه الأشتر وقد هيّأ جيشاً يمنعه من دخول الكوفة وردوه إلى عثمان ، وكانت هذه بداية العاصفة التي يأتي تفصيلها .

هذه سيرة الخليفة الذي جاء بعده بنو أمية ويتقدمهم الطاغية المنافق معاوية ويلبس أعمال عثمان الهيبة والجلال ويلبسه ثوب الشهادة والقداسة ، ويلقي اللوم علىٰ المناضلين والصحابة الأخيار البررة والمظلومين من يد الطغاة الفجرة من آل أمية وآل بني معيط .

أيادي عثمان علىٰ عبدالله بن خالد الأموي

وهذا عبدالله بن خالد بن اسيد بن أبي العاص بن أمية يدنيه الخليفة ويزوجه ابنته، كما جاء في تاريخ اليعقوبي، ويكتب له بستمئة ألف درهم يأخذها من بيت مال المسلمين من عبدالله بن عامر خازنه في البصرة. راجع ذلك في تاريخ اليعقوبي ج ٢ ص ١٤٥.

وقيل انه قدم علىٰ عثمان من مكة عبدالله بن خالد بن أسيد ومعه ناس غزاة فأمر لعبد الله بثلاثمئة ألف درهم، ولكل رجل ممن معه بمئة ألف درهم بصك إلى خازن بيت المال في المدينة هو عبدالله بن الأرقم، فأبىٰ هذا اعطاءهم ذلك من بيت مال المسلمين، واستكثر المبلغ لهم وامتنع أن يدفع لهم المال، فوبخه عثمان بقوله فما منع ان تدفع ذلك لهم، وما أنت إلّا خازن لنا؟ فأجابه ابن ارقم: إنما كنت أحسب نفسي خازناً للمسلمين لا خازنك أنت، وما خازنك سوىٰ غلامك، والله لا آلي لك بيت المال أبداً. وأتىٰ بالمفاتيح وعلقها علىٰ المنبر، وفي قولٍ ألقاها إلى عثمان فدفعها عثمان إلى مولاه نائل، وبعدها ولّى زيد بن ثابت الأنصاري بيت المال، واعطاه المفاتيح.

ومن يدري ماذا عمل في بيت المال والمفاتيح عند مولاه وليس هناك من يحاسب عثمان علىٰ أن يصرف أو يأخذ.

وقيل انه جعل علىٰ بيت المال معيقيب بن فاطمة خازناً وبعث إلى عبدالله بن الأرقم بثلاثمئة ألف درهم، فأبىٰ أخذها، وقال: إن كانت من بيت مال المسلمين فلا استحق مثلها لأثاب بها، وإن كان من مال عثمان نفسه فاني كاره أخذها منه.

راجع بذلك مع تغيير في الألفاظ الانساب للبلاذري ج ٥ ص ٥٨، والاستيعاب، وابن حجر في الاصابة، كما روىٰ ذلك الواقدي.

وهكذا نجد أن خزان بيت المال عندما لا يجدون أمام قوة الخليفة واصراره

على هذا البذخ على بني عمومته من بيت مال المسلمين الذين فرض اللّٰه قسمته بين المسلمين ، ولكل مورده وحقه الذي لا يجب ان يتجاوزه ، ويرى خزان بيت المال أن لا يشاركوا الخليفة في اجحافه حقوق المسلمين ، ولا يكونون أداة ظلم يُسألون عنه يوم الجزاء ، ويحاسبون عليه من ذوي البصيرة من المسلمين ، وليس هناك ما يبرر عملهم ولا من يثيبهم على أمرهم بالمعروف ونهيهم عن المنكر سوى صب الخليفة غضبه عليهم ، والزامهم على تنفيذ أوامره طالما يعتقد إنما ذلك ملكه ، وإنما هم خوله وخدمه وخزان ماله ، وأي اعتراض إنما هو تجرّي على مقامه وقدره ، لا تغفر لهم زلاتهم ، وما هناك سبيل سوى اعتزال هذا المنصب .

وعندها يفوقون ما يخشونه وان بلغ لوم الخليفة لهم ما بلغ .

وهم من خيار الصحابة ، وربما كان مقامهم الشامخ في كثير من الأحيان يفوق الخليفة نفسه بنظر الاسلام ، لاخلاصهم وايمانهم وشعورهم العميق بواجباتهم الدينية وامانتهم الواقعية ، فهم يأبون أن يكونون أداة الظلم وأعوان الظالمين .

وأما الخليفة فقد جاهر وجاوز حدود الكتاب والسنّة وسيرة من قبله . ولولا ان يأتي بنو أمية بعدها ويشيدوا دولتهم ويحرفوا الواقع في نسبة فضائل ما نزل اللّٰه من سلطان لأوليائهم وشيعتهم ، ومن اسس لهم أساس الملك من أبي بكر وعمر وعثمان ، كما حطوا من كرامات اولي الأمر من آل رسول اللّٰه ﷺ وشيعتهم بما شاءوا ، وبما أوحت لهم ضمائرهم الدنية ونفوسهم السافلة .

نعم لولا ذلك ولولا ما اعقب بني أمية من خلفاء بني العباس الذين وان نكّلوا ببني أمية ذلك النكول الفادح ، ولكن لم يرقبوا في بني عمومتهم من العلويين أي الٍ ولا ذمة ، بل جاروا عليهم وقسوا بهم أشد وأدهى من بني أمية كي لا ينبس أحد بحق من سلب حقهم ، فتركوا ما كان من الأحاديث والأخبار ، بل اضافوا في الطين بلة بتشجيع ما كتب ومن كتب ضد العترة الطاهرة من آل الرسول ﷺ فكان

في زمنهم قيام المذاهب والفرق ، وتأييدها ، وضرب بيوت الرسالة وأبناء النبوة باشد وأدهىٰ التنكيل ؛ من قتل وسم وحبس وتعذيب ، والتاريخ علىٰ ذلك شاهد .

كلّما دخلت أمة لعنت أختها . واللّٰه لمن اسس أساس الظلم . ويوم يعض الظالم علىٰ يديه .

أيادي عثمان علىٰ أبي سفيان

وما أدراك من هو أبو سفيان . هو ابن حرب بن أمية ، هو رأس الشرك والزندقة في الجاهلية ، وألد أعداء الاسلام ونبي الاسلام ، وهو قطب المنافقين في الاسلام الذين اسلموا ، بل تظاهروا بالاسلام خوفاً وطمعاً وابطنوا الشرك والعصيان ، وكان ذلك رغم حذره يطغو ويطغىٰ عليه كلما بدت فرصة .

راجع الاصابة لابن حجر ج ٢ ص ١٧٩ ، حيث يقول عنه : كان أبـو سـفيان رأس المشركين يوم أحد ويوم الأحزاب .

وقال ابن سعد في اسلامه : لما رأىٰ الناس يطئون عقب رسول اللّٰهﷺ حسرة فقال في نفسه : لو عاودت الجمع لهذا الرجل ، فضرب رسول اللّٰه في صدره ثم قال : إذاً يخزيك اللّٰه .

وفي رواية أخرىٰ ، قال في نفسه : ما أدري لم يغلبنا محمد ؟ فضرب في ظهره وقال : باللّٰه نغلبك .

وهذا أبو ذر يخاطب معاوية والي الشام ، يوم نفاه إليها عثمان ليحقره ويؤنبه ويزجره ، حيث قال له : يا عدو اللّٰه وعدوّ رسوله .

فيجيب أبو ذر : ما أنا بعدوّ للّٰه ولا لرسوله ، بل أنت وأبوك عدوان للّٰه ولرسوله، اظهرتما الاسلام وابطنتما الكفر .

وحقاً فقد كان أبو سفيان وابنيه يزيد ومعاوية ملعونين علىٰ لسان رسول اللّٰه يوم وجدهم رسول اللّٰه وأبو سفيان راكباً واحد ابنيه يقود والثاني يسوق فقال :

اللّهم العن الراكب والقائد والسائق .

راجع تفصيله في ج ٣ ص ٢٢٢ ط ١ من الغدير .

وذلك ما أشار إليه الامام علي أمير المؤمنين في كتاب له إلى معاوية بن أبي سفيان قوله : **يابن صخر يابن اللعين** ، وراجع شرح نهج البلاغة لابن ابي الحديد ج ٣ ص ٤١١ وج ٤ ص ٥١ .

وفي رسالة أخرىٰ من الامام إلى معاوية ، جاء في شرح النهج ج ٤ ص ٢٢٠ ، قال : **فلقد سلكت طرائق أبيّ سفيان أبيك وعتبة جدك ، وأمثالهما من أهلك ذوي الكفر والشقاق والأباطيل .**

وعن أنس : ان أبا سفيان دخل علىٰ عثمان بعدما عمي ، فقال : هل هنا أحد ؟ (يريد أحد من غير بني أمية) . فقالوا : لا (وكان في المجلس ممن يخشىٰ حضوره ولا يليق أن يقال غير لا) فقال : «اللّهم اجعل الأمر أمر جاهلية ، والملك ملك غاصبية ، واجعل اوتاد الأرض لبني أمية» .

راجع بذلك تاريخ ابن عساكر ج ٦ ص ٤٠٧ . وقد فعل حقاً عثمان وحقق ذلك وان تظاهر امام الحضور استنكاره .

فعثمان أعلم وأدرى بحقيقة بني عمومته وكفرهم ونفاقهم ممن سلف ومن ذكر ومن لم يذكر ، وما سيأتي وهو أدرىٰ بحقيقة أبي سفيان ، وانه كافر منافق يبطن الشرك ويظهر الاسلام ، وإذا به يقدم له المنح .

قال ابن أبي الحديد في شرح نهج البلاغة ج ١ ص ٦٧ : ان اعثمان أعطىٰ أبا سفيان بن حرب مائتي ألف من بيت مال المسلمين مرة ، وفي اليوم الذي أمر فيه لمروان بن الحكم بمئة ألف من بيت المال .

وجاء في الاستيعاب ج ٢ ص ٦٩٠ : عن طريق ابن المبارك عن الحسن : ان أبا سفيان حينما صارت الخلافة لعثمان دخل عليه ، وقال : صارت إليك بعد تيم وعدي ، فأدرها كالكرة ، واجعل أوتادها بني أمية ، فإنما هو الملك ولا أدري ما

جنّة أو نار . فصاح به عثمان : قم عني فعل الله بك وفعل .

وقد أيد عثمان رأي أبي سفيان عملاً ، فاظهر خلاف ما أبطن وحقق أماني أبي سفيان ، كما حققها قبله أبو بكر وعمر حينما جعل الأول يزيد بن أبي سفيان وتداً في الشام واعقبه بمعاوية وهيئا خلافة بني أمية بالشورىٰ .

وقد ادلينا بالأدلة بأن عمر لم يقم الشورىٰ إلّا تثبيتاً لملك بني أمية وتضعيفاً لعلي أخص حينما قرن إليه اعضاء الشورىٰ وهم أبعد كل البعد ليكونوا أصولاً وأوتاداً دون المسلمين للمشورة والانتخاب كما ظهرت حقيقة ذلك في امتصاصهم بيت مال المسلمين ، كما سيلي شرح ذلك ، وكما مر حديثهم في حرب الجمل .

وجاء في تاريخ الطبري ج ١١ ص ٣٥٧ ، قول أبي سفيان في محضر عثمان ، نفس المعنىٰ بألفاظ أخرى تبرهن علىٰ أن أبا سفيان لا زال كافراً لا يؤمن بالمعاد. وأيد ذلك المسعودي في مروج الذهب ج ١ ص ٤٤٠ .

أخرج الطبري ج ٦ ص ٤ : ان الامام عليﷺ قال عن معاوية : **طليق ابن طليق حزب من هذه الأحزاب لم يزل الله عزوجل ورسولهﷺ وللمسلمين عدواً ، هو وأبوه حتىٰ دخلا في الاسلام كارهين .**

فهل خفي علىٰ أبي بكر وعمر وعثمان ذلك ؟ وقد لعن رسول الله الراكب أبا سفيان والقائد والسائق يزيد ومعاوية . وكم مر علىٰ أبي بكر وعمر وعثمان في الجاهلية والاسلام كفر وفسق ونفاق الأب وأولاده .

وكما مرت وصايا رسول اللهﷺ في عليﷺ وعترته ، ورغم جميع ذلك فكانوا عملوا علىٰ خلاف نصوص الكتاب وسنّة رسول اللهﷺ فقربوا ألد أعداء الاسلام ، وأبعدوا أقرب احبائه من آل بيت رسول اللهﷺ وصحابته المقربين واثبتوا بعدهم الخلافة فيمن يبطن الحقد لدين الاسلام ونبيه ولا يألو جهداً من

تمزيق هذا الدين والضرب على أيدي مؤيديه ، كما وضعوا كلما امكنهم من الدس والكذب في الأحاديث والروايات غير آبهين ما يحط من كرامة نبي الاسلام واوتاده من ائمة المسلمين والصحابة المخلصين وأمروا بالمنكر ونهوا عن المعروف وقتلوا وفتكوا وشرّدوا من لم يواليهم في آرائهم ويشيد ملكهم .

ان البذرة التي بذرها أبو بكر بغصب مقام الخلافة وتقريبه أعداء اللّٰه ونبي الاسلام وذويه ، ووضع السدود امام المخلصين فمن أوصىٰ بهم رسول اللّٰه بقوله : **إني تارك فيكم كتاب اللّٰه وعترتي أهل بيتي** . والنص القرآني في قوله تعالىٰ : **﴿إنما وليكم اللّٰه ورسوله والذين آمنوا الذين يقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة وهم راكعون﴾** وهو علي بن أبي طالب (راجع بذلك المفسرين) .

وقوله تعالىٰ : **﴿لا اسألكم عليه أجراً إلّا المودّة في القربىٰ﴾** حيث بدأوا بعكس هذه المودة بالخصومة والعداء ، واشهد باللّٰه لو أن اللّٰه ورسوله كان أوصىٰ علىٰ عكس ذلك لما أمكنهم اجراء أشد من ذلك .

فهذه بضعة رسول اللّٰه تسلب نحلتها في الأيام الأولىٰ من موت أبيها وتحرق دارها ويُسلب منصب الخلافة من زوجها ، ويروع الحسنان سيدا شباب أهل الجنة وريحانة رسول اللّٰه ﷺ ويُسلب منصب الخلافة من الحسن ؑ قهراً ومكيدةً ويقتل سماً ، وأخوه الحسين ؑ يقتل واخوته وبنيه وصحبه البررة في أرض كربلاء . وتستمر المظالم علىٰ بنيه واحفاده وتضرب قبلة الاسلام ، وقبلها تباح المدينة مرقد رسول اللّٰه ﷺ ومقر الهجرة بالقتل والسلب وهتك الأعراض ، مما تقشعر منه الأبدان .

وظلت لطخة سوداء في جبين الانسانية أعمال بني أمية تلك وأمثال ما مر .

كل ذلك وأنا سألت من أسس ذلك ؟ فلا جواب سوىٰ أن أبو بكر بذر وعمر سقاها ، حتىٰ اينعت واتت أكلها زمن عثمان وجناها بنو أمية وبنو العباس .

هبات عثمان لعبد الرحمن بن عوف

عبد الرحمن بن عوف الزهري، صهر عثمان، وأحد العشرة المبشرة، الذي ورد اسمه في قائمة الشورىٰ، الذين سجلهم عمر لانتخاب خليفة من بعده، فكان وهو صهر عثمان وصهر سعيد بن أبي وقاص، ويليهم طلحة والزبير، هؤلاء الخمسة ربما كان لهم اسم يقرن بعضهم ببعض، باعتبارهم من الصحابة، ولكن نجد عمر بن الخطاب يقرن بهم علياً ﷺ سادساً، وهو الرجل الأول بعد رسول الله ﷺ في الاسلام، والذي لا يضاهيه أي صحابي في سابقته وعلمه وشجاعته وادارته وتقواه واخلاصه وعدله وقضائه.

وما جاء فيه في كتاب الله وسنّة رسوله ﷺ والجميع أخص منهم عمر الذي يعرف فضله، وشهد عشرات المرات أنه: لولا علي لهلك عمر. وشهد له أن مبغضه منافق، ومحبه مؤمن، وشهد أمام ابنه عبدالله لو وليها لأقامهم علىٰ المحجة البيضاء والصراط المستقيم. وشهد علىٰ كل فرد من أعضاء الشورىٰ أخص منهم عثمان انه سيولي بني معيط علىٰ رقاب الناس، كل ذلك وهو يعرف بني أمية الطلقاء أعداء الاسلام الكفرة الفجرة، وكيف يتربصون الوقيعة بدين محمد وآل محمد وصحابة محمد ﷺ.

رغم ذلك تراه يستمر بمخالفته لآل البيت ﷺ وينص فيها باقامة الشورىٰ، ويجمع فيها خمسة من أهل الدنيا الذين ستعرف نتيجة أعمالهم وحبهم للدنيا وجمعهم الذهب والفضة والملك من حطامها وسحتها من العطايا التي خصهم بها خليفة الوقت لجر النار إلى قرصه، وإذا بعبد الرحمن بن عوف صهر عثمان يهدد علياً في الشورىٰ ليبايع عثمان وإلّا سيقتل وإذا به يحرّض سعداً علىٰ بيعته لعثمان، وكفىٰ بهؤلاء الثلاثة بعد أن قال عمر: إذا اجتمع ثلاثة وخالف ثلاثة فالخليفة من كان فيه رأي عبد الرحمن. لماذا؟ وما هذه الشورىٰ؟ ذلك ما ظهرت نتائجه بعد

هذا . وظهرت واضحة فقد فعل بعض فعلته عثمان مع عمر ، وهو كاتب أبي بكر .

وحرر واثبت عهد أبي بكر لعمر وهو في سكرات الموت ، فجزاه عمر بهذه الشورىٰ التي تحقق له الخلافة فكيف وعبد الرحمن صهر عثمان ، ومبغض عليٍّ وهذا سعد بن أبي وقاص صهره وهم أهل عصبية ودنيا ولسوف يكون عثمان حتماً في قبضته . وسوف يكون بعده الخليفة المنتظر .

ولم يكن سعداً أقل طموحاً وأشد ايماناً من عبد الرحمن ، وقد ثبت ان الدين لعق علىٰ ألسنتهم يلوكونه أينما درت معائشهم . وهنا مع عثمان العيش والدنيا ، فأين هذا من علي ؟ وهم يعرفونه انه يقيمهم علىٰ المحجة البيضاء ، وانه سوف يقدم من هو أدرى وأتقىٰ وأحرص علىٰ بيضة الاسلام منهم .

وأين هم من علي وهو القابض علىٰ بيت المال من بلوغهم حصة الأسد من الفريسة من بيت مال المسلمين ذلك الذي لا يعتبره عثمان في عقيدته وعرفه ودينه إلّا أن بيت مال المسلمين إنما هو بيت ماله وخازن بيت مال المسلمين إنما هو خازن أمواله ، وله أن يتصرف كيفما شاء .

وحسب نفسه ورسول الله ﷺ الذي يتصرف بأمر الله وحسب الوحي ، سيان لا فرق بينهما .

وهو القائل : إذا أدنىٰ النبي ﷺ بني هاشم أقاربه فلي الحق أن أدني أقاربي من بني أمية وآل بني معيط ، والأقربون أولىٰ بالمعروف ناسياً أو متناسياً النصوص القرآنية : ﴿**أفنجعل المسلمين كالمجرمين * ما لكم كيف تحكمون**﴾ الآية (٣٥ ـ ٣٦) من سورة القلم . وقول رسول الله ﷺ يوم طلب عثمان أن يساوي بني أمية في القسمة ببني هاشم فأجابه : انهم لم يفارقوني .

فبني هاشم هم وحدهم الذين حاموا محمداً ﷺ ودينه ودافعوا عنه وتحملوا المشقات في شعب أبي طالب وغيره ، من أجل محمد ﷺ ودينه ، كيف يساويهم

بمن هم ألد خصوم الاسلام، وأعدائهم الذين لم يألوا جهداً من تحطيم هذا الدين؟ حتىٰ اسلموا متظاهرين خوفاً وظلوا مشركين ومنافقين باطناً. وتشهد بذلك أقوالهم وأعمالهم وأفعالهم.

وهذا عثمان يتسلمها من عمر بعد أن تنبأ انه سيدني بني معيط، وأرغم المسلمين والصحابة وفي مقدمتهم أهل البيت عليهم السلام وهددهم بمعاوية الذي أشاد ملكه في الشام، وابن العاص الذي أشاد ملكه في مصر، أن ينبس علي، وهو صاحب الحق، أو غيره، فقال: لا تختلفوا فمعاوية وابن العاص لكم بالمرصاد، ومن أراد بهذا التهديد غير علي؟.

وهذا عبد الرحمن بن عوف يهدد علياً أن يبايع عثمان. وعلي لا تخفىٰ عليه خافية، وقد ذكر عبد الرحمن وبقية أعضاء الشورىٰ بما سيحدث، ولكن هيهات فمن عينه الخليفة عمر، وهيهات أن يقوم لبني هاشم ما يرجون، وهيهات أن ينال المسلمون والصحابة المقربون بغيتهم، ويتخلصوا من الشباك التي نصبها لهم عمر.

وكان ما كان ووليها عثمان، ولكن هذا عثمان غير أبي بكر وعمر اللذان لهما سياسة دنيوية محكمة، فهما يعرفان كيف يحكمان الأمر ظاهراً بتقسيم المال، وان سلبا آل محمد صلى الله عليه وآله حقهم فقد قربا آل أمية وغيرهم من ألد أعدائهم، وعرفا كيف يدنوان من الصحابة ممن ليسوا من ذوي الحل والعقد والقيل والقال مثل سلمان الفارسي، ذلك المؤمن الفقير الذي يعرف الحقيقة بيد يقول أمام هذه العصابة: ما أنا وذا، ولو شاء سيدي (يعني علياً) لقلب ذه علىٰ ذه. وهو يعرف وصية رسول الله صلى الله عليه وآله وصبر علي، ومثله عمار والمقداد وأبو ذر وأمثالهم، فكان أبو بكر وعمر يكسران العظام من جهة ويجبران أُخرىٰ، يحافظان علىٰ الظواهر بالقسمة ويزيغان عن الحق بالحط من كرامة بني هاشم وسلب حقوقهم واطعام الصفوة من شيعتهم هم، وايصال البقية لذوي الحقوق، ولا يتظاهران بمخالفة النصوص

والأنانية ، كما عمل عثمان .

وأما عمر فقد كان معروفاً بالغلظة والشدة ، ولكنه عرف من أين تؤكل الكتف ، فهو يستشير علياً فيما لا يضر بمصالحه وينفعه ، ويبعده في ما يضر بسياسته .

ولو صح انه يستشير علياً لما قرب ابن العاص ، ولا معاوية الفاجر الفاسق الكافر عدو اللّٰه وعدو رسولهﷺ ، ولا المغيرة بن شعبة الفاجر الزاني .

نعم قدّم هؤلاء ، وقدّم معهم مثل سعد بن أبي وقاص ، وعمار بن ياسر ، وسلمان الفارسي ، واضرابهم ، فخلط الصالح والطالح .

وهو فوقهم يسيّر سياسته في الحط من آل البيتﷺ ، وتقريب أعدائهم ، وقد بلغ أواخر أيامه من السطوة والقدرة انه يصعد المنبر ، منبر رسول اللّٰهﷺ فيجاهر غير هياب ، ويقول : متعتان كانتا على عهد رسول اللّٰه حلالاً وأنا محرمهما ، وماهي المتعتان ؟ هي نصوص قرآنية في كتاب اللّٰه ، وهي نعمة من اللّٰه لأمة محمدﷺ وعمل بهما النبي الكريمﷺ وبعده أبو بكر ، فما حدىٰ بعمر يجاهر بهذا دون أن يذكر عذراً .

وقد مر شرح ذلك ، ومخالفات كثيرة منه في النصوص والسنّة ، ورغم ذلك فان عثمان ضرب كتاب اللّٰه وسنّة نبيّهﷺ ، وسيرة الشيخين ، عرض الحائط ، وجاء كما جاء في شرح نهج البلاغة في الخطبة الشقشقية قول الامام عليﷺ : «**إلى أن قام ثالث القوم نافجاً حضنيه بين نثيله ومعتلفه ، وقام معه بنو أبيه يخضمون مال اللّٰه خضمة الابل نبتة الربيع**» .

ولم يترك حتىٰ للظواهر التي كانت تضفو علىٰ الشيخين ما يغطي به فعاله وإذا به يعزل سعد بن أبي وقاص الذي هو صهر صهره ، والذي هو أحد أعضاء الشورىٰ الذي سبب انتخابه . والذي يعتبر الصحابة البارزين ، والذي فتح علىٰ يده العراق وايران ، والذي كبت الكوفة في زمن عمر ، وجعله عمرٌ والياً عليها .

وهذا سعد بن أبي وقاص يأمل ما يأمل بما قدم لعثمان من عمل ضحىٰ بـه آخرته لكسب دنياه ، إذ أن سعداً يعرف فضل علي ومثله عبد الرحمن ، فما حدىٰ بهما لانتخاب عثمان سوىٰ الدنيا والعصبية الرحمية والصهر والتقرب لبني أمـية وحب الدنيا ومالها وزلفتها ومشاطرة عثمان لهما فيما أولياه ؟ وإذا بخيبة الأمل ، فلم يجدا منه ما طمحا وطمعا ، فهو ان قدم لهما صاعاً ، قدّم لبني أمية دون حساب، ولبني معيط مثل بني أمية .

ولم يأل عثمان جهدا لهم في بذل المال بيد نراه يعزل سعداً المحنك من ولاية الكوفة . سعداً المحبوب من أهل الكوفة ، هذا الصحابي بنظر أهل الكوفة ، وصاحب الخليفة الثاني ، ويجعل محله الفاسق السكير الوليد ، أبغض خلق اللّٰه للصحابة ، وقد مرّ ذكره .

ولم يكن لعبد الرحمن أقل من سعدٍ من خيبة أمل ، فهذا عثمان غير ذلك فهم الذين أيدوه علىٰ أن يقدمهم في الأمر ، بيد قدم غيرهم . وظن عثمان انه بتقديمه المال لعبد الرحمن واغنائه قد كفاه بما أسداه من الجميل .

وحقاً لو أن عثمان لم يقدم مثل الوليد علىٰ سعد بن أبي وقاص وأمثاله من الولاة الذين عينهم من بني معيط وبني أمية لهان ولسد المال والثراء الطائل الذي قدمه عثمان لعبد الرحمن وطلحة والزبير وسعد هذه النقيصة .

عندها نعود لنحسب ما قدمه عثمان لهؤلاء لنعرف كيف أثار هذا علىٰ نفسه سخط المسلمين ، وأبان لهم أنه غير متمسك بحلال ولا حرام ولا كتاب ولا سنّة .

فهذا عبد الرحمن الزهري يقتني الأموال الطائلة والثراء الوسيع، من ابل وأغنام وخيل وأراضي وذهب وفضة ، ما لا يطيق عدها وحصرها ، فمن اين جاءته ؟

قال اليعقوبي : انه طلق إحدىٰ نساءه الأربع ، وبعد موته ادَّعته بالارث فورَّثها عثمان فلحقها من ربع الثمن ، ما يساوي مئة ألف دينار .

وقال المسعودي : أن عبد الرحمن ابتنىٰ داره ووسّعها ، وكان علىٰ مربطه مئة فرس ، وله ألف بعير ، وعشرة آلاف من الغنم ، وكان يزرع بالجرف علىٰ عشرين ناضحاً .

هذا بعض ما ذكر ، وإذا شئت المصادر فهي جمة منها : تاريخ اليعقوبي ج ٢ ص ١٤٦ ، ومروج الذهب ج ١ ص ٤٣٤ ، وصفوة الصفوة لابن الجوزي ج ١ ص ١٣٨ ، والرياض النضرة لمحب الطبري ج ٢ ص ٢٩١ ، وطبقات ابن سعد ج ٣ ص ٩٦ ط. ليدن .

هذا عبد الرحمن بن عوف ولو سائلته كيف ومن أين جمع هذه وكنزها ؟ وهناك من الصحابة وأقرباء بني هاشم وبني هاشم وشيعته من يتضورون جوعاً .

هذا عقيل أخو علي عليه السلام يشكو لعلي في زمن خلافته ويطلب منه أن يوفي دينه ، وعليّ الذي يجيبه أنه لا يملك سوىٰ ما يلحقه بعد القسمة أربعة أو خمسة إلّا وسيقدمها له فلا تكفي لسد الدين .

فماذا كان يريد عبد الرحمن ؟ وقد قدم علىٰ انتخاب عثمان ، لأن عثمان عزل سعد بن أبي وقاص صهره وشريكه في هذه الجناية القادحة في التاريخ لانتخاب عثمان وغصب حق عليٍّ ، ولم ينفع الندم إذ أنه كان يأمل أن يخصه عثمان بولاية من الولايات ، فلم يفعل أو ما شاكل .

وكيف وهو من العشرة المبشرة ، وكثير من المسلمين يتضورون جوعاً أمثال عقيل ، وهو يجمع الكنوز والأموال والذهب الذي كان يكسر بالفؤوس ، حتىٰ مجلت أيدي الرجال منه ، وهل خفي عليه الآية الكريمة ؟ :

﴿**والذين يكنزون الذهب والفضة ولا ينفقونها في سبيل الله**﴾ . الآية (٣٤) من سورة التوبة .

وقوله تعالىٰ : ﴿**يوم يُحمىٰ عليها في نار جهنم فتكوىٰ بها جباههم وجنوبهم...**﴾ .

الآية (٣٥) من سورة التوبة .

ولقد فضح القوم الصحابي الصادق الأمين أبو ذر الغفاري رضوان الله عليه ولقي الأمرين منهم ومن بني أمية . والله للظالمين بالمرصاد .

صلات عثمان لسعد بن أبي وقاص

كان سعد بن أبي وقاص والي عمر في الكوفة وهو الذي كيفها بعد الفتوح والانتصارات في جبهة بلاد فارس ، وهو أحد أعضاء الشورىٰ الستّة ، وصهر عبد الرحمن بن عوف ، والذي اختاره عمر ، وكأن ليس هناك من المهاجرين والأنصار من هو أعلم وأتقىٰ وأدرىٰ وأنصح للمسلمين سوىٰ هؤلاء الستّة .

وعمر في الوقت الذي توجه بكلماته القارصة لكل من أعضاء الشورىٰ ، ومنها قوله لسعد أنه رجل لا يصلح إلّا للقوس والنشاب يقصد بذلك الحرب ، ولا رأي به في الادارة ، وأن عبد الرحمن لا يصلح إلّا للعبادة ، وأن الزبير يوم شيطان رجيم ويوم بر رحيم ، وأن طلحة رجل متكبر جشع ، وأن عثمان ان وليها سلط بني معيط علىٰ رقاب المسلمين فيتخذون عباد الله خولاً وماله دولاً ودينه دغلاً ، وأن علياً إن وليها أقامهم علىٰ المحجة البيضاء .

وهذا ابنه عبد الله يسمعه فيقول : فما يمنعك إذا أن توليها علياً ؟ فقد سمعه كراراً ومراراً في غير هذه المرة يقول : لولا علي لهلك عمر ، وسمعه يشهد ان لا يكرهه إلّا منافق ، وسمعه يقول أنه مولاه يقصد بذلك يوم قام رسول الله في غدير خم آخذاً بيد علي يخطب القوم : **من كنت مولاه فعلي مولاه اللّهم وال من والاه وعاد من عاداه** . وسمع رسول الله يطلب القلم والقرطاس ليكتب عهداً لعلي فمنعه وخلق الفتنة .

هذا عمر يدري ، وهؤلاء الستّة يدرون أن علياً لا يقاس به أحد ، وقد أراد عمر

أن يضرب ضربته الأخيرة وهل علىٰ شرفات الموت ، فيصغر علياً في أعين القوم ويخلق له خصوماً يتحسسون بأنهم لهم نفس المزية ، ويقوي بني أمية حين يضع صهر عثمان وصهر صهره ، أي عبد الرحمن بن عوف وسعداً ، ويقول ان انتخب ثلاثة واحداً وثلاثة آخر فليتبع من كان معه عبد الرحمن .

وما هذه المزية إلّا احتياطاً أن يغلب علياً رأي طلحة وهو من تيم وابن عم أبي بكر وابن عم عائشة ، فمن يطمع بالخلافة ومن خصوم علي .

وهذا الزبير الذي كان يوماً من جماعة علي وعاد انتكس عليه بتأثير ولده الشقي عبد اللّٰه ، حتىٰ نراه في حرب الجمل مع خصوم علي .

وأما سعد بن أبي وقاص فقد ظهر حتىٰ بعد مقتل عثمان وقد اصبح من خصومه يعتزل البيعة لعلي . وكيف لا يعتزله وقد رقىٰ أبو الحسن المنبر وقال : **ان جميع عطيات عثمان من بيت المال باطلة ، وكل من أخذ مالاً بدون حق عليه أن يعيده ويحاسب عليه .**

وهذا سعد عنده الملايين والقصور فمن أين أتىٰ بها ؟ والصحابة البررة لا زالوا لا يملكون ما يسدون به أودَهم ، ومنهم أمير المؤمنين علياً ، ولا ننسىٰ طلب أخيه عقيل منه أن يسدد دينه .

قال ابن سعد في طبقاته ج ٣ ص ١٠٥ ، والمسعودي في مروج الذهب : ترك سعد يوم مات مئتي ألف وخمسين ألف من النقود . وأشاد المسعودي بداره بالعقيق . وهذا أقلهم عطية .

وقد خسر سعد ما كان يرجوه من دنياه في عثمان ، وخسر آخرته بذاك الانتخاب الفاشل المنكر لعثمان وتشييد ملك بني أمية (ومن يعمل المعروف في غير أهله يضره) وبقي من سعد ذريّة أمثال عمر بن سعد ، قاتل الحسين عليه السلام السبط في كربلاء ، وقائد حملة جيوش ابن زياد ، ويزيد الذي علىٰ يديه استشهد الصفوة

من آل بيت الرسالةﷺ ، وعلى رأسهم الحسين سيد شباب أهل الجنة وريحانة رسول اللهﷺ واخوته وأولاده والصفوة الخيرة من المسلمين من شيعة محمد وآله ، وسبي نساءه وأطفاله فتعساً للظالمين .

صلات عثمان للزبير

وأما الزبير بن العوام زوج أسماء بنت أبي بكر ، وتسنده عائشة أم المؤمنين باعتباره زوج أختها ، وتدني منها أولاده ، إذ ليس لها بنين من رسول اللهﷺ ، تلك التي استطاعت أن تجلب عبد الله بن الزبير فتجعله مثلها من ألد خصوم علي وبني هاشم ، هذا المنافق الشرير المتظاهر بالتقوىٰ وبغيض آل بيت الرسالة وامام المتقين علي بن أبي طالبﷺ ، يحرض أبيه علىٰ مخاصمة علي ، وكان قبل هذا من أعوانه حتىٰ رأىٰ رسول الله ذلك فحذّر علياً وقال له أمام الزبير ، انه سيخونه وينكث بيعته ويحاربه وهو له ظالم ، حتىٰ إذا كان يوم حرب الجمل ووقف الجيشان ، جيش علي وجيش عائشة وطلحة والزبير ، جيش الايمان ، وجيش الناكثين ، وعندها يدعو علي الزبير للمقابلة ويذكره بكلام رسول اللهﷺ ، فيتذكر ذلك ويترك الحرب فيعود ابنه عبد الله يعيره بأنه إنما خاف علياً ، وهل خلص الزبير من عذاب الله وهو الذي مع عائشة وطلحة قتلوا المئات من المسلمين في البصرة صبراً ، وعذّبوا الآخرين ، وجيشوا الجيوش ، وكانوا قبلها قد بايعوا الامام ونكثوا بيعته .

هذا الزبير لم يأل فرصة من ابتزاز بيت مال المسلمين من عثمان وغيره ، حتىٰ بلغت نقوده عشرات الملايين ، ودوره العشرات وضياعه في شرق المملكة الاسلامية وغربها .

قال البخاري : كان عنده من المال خمسون ألف ألف ومئتي ألف أي خمسون

مليون ومئتي ألف .

وجاء في صحيح البخاري في كتاب الجهاد ج ٥ ص ٢١ : خلّف احدىٰ عشر داراً بالمدينة ، ودارين بالبصرة ، وداراً بالكوفة ، وداراً بمصر .

وقال ابن الهائم : ان الصواب ان ما يملكه الزبير من المال كان تسعة وخمسون ألف ألف وثمانمئة ألف . وجاء هذا في شرح البخاري وفتح الباري ، وارشاد الساري ، وعمدة القاري ، وشذرات الذهب ج ١ ص ٤٣ . وأيد الهائم في قوله ابن بطال والقاضي عياض وخطأوا البخاري في الحساب .

واضاف ابن سعد في طبقاته ج ٣ ص ٧٧ ، ط ليدن : كان يملك الزبير في مصر بالاسكندرية وفي الكوفة في كل منها خطط ، وله دور في البصرة ، وله ضياع تفيض عليه الغلاة في أعراض المدينة .

وان الزبير خلف ألف فرس وألف عبد وألف أمة وخططاً (أخرج ذلك المسعودي في مروج الذهب ج ١ ص ٤٣٤).

ولكن الزبير رغم كل ذلك فقد كان لا يرضيه المال وحده وكأنه اكتسب من جهنم خصلتها كما يقال : ﴿هل امتلأت فتقول هل من مزيد﴾ .

تعم كان يريد الولاية والخلافة وعنده ربما تجاوز عثمان في سيرته ، وامتلك أموال المسلمين ونفوسهم ، ذلك الزبير الذي خسر الدنيا بقتله بيد خارجية وأضاع دنياه وآخرته .

وربما كانت كلمة الامام علي عليه السلام علىٰ المنبر : **ان من ابتز مالاً من بيت مال المسلمين أو منحه إياه عثمان أكثر من حقه عليه أن يعيده ويحاسب عليه** ، فنراه يبايع وينكث البيعة ، وعلىٰ الخصوص أنه وطلحة راجعا علياً يطالبانه أن يولي كل منهما احدىٰ الولايات . حيث ان هذا علي وهو غير عثمان في منحه بدون حساب ، ولا

مثل عمر بتفضيله البعض علىٰ بعض ، فهو نفس رسول اللهﷺ لا فرق عنده بين الضعيف والقوي ، والعربي والعجمي أبداً .

فلا طمع لهم بيبيت المال بعد هذا فلابد وأن تصبح لهم ولاية ، وبيدهم بيت مالها يروون بذلك جشعهم الذي لا يشبع .

وإذا وجدا الامام حين جاءا يكلماه وهو مشغول في بيت مـال المسـلمين ، فيخرج لمقابلتهم ويطفئ مصباح بيت المال ويضيء آخر وحين يسألاه يخبرهما أن مهمة بيت المال بمجيئهما قد انتهت فلا يحق له الاستفادة مـن مـصباح بـيت المال، ويستفاد من مصباحه الخاص هكذا كان علي ، وعندها يئسا من ابتزازه كما كانا يفعلان مع عثمان .

وتوجها للخروج إلى ما يوسعان رقعة أموالهما ، فتوجها للبصرة ، وأول ما بدآ باتزاز بيت مال المسلمين كما يأتي في حرب الجمل .

هذا هو الزبير أحد العشرة المبشرة والذي سوف نفنّد هذه الرواية التي وضعتها يد الانحراف والدس والتحريض والتي ليس لها أساس من الصحة ولا يقبلها العقل والمنطق لما بان من نتيجة أعمال كل من هؤلاء .

صلات عثمان لطلحة

وأما طلحة بن عبيدالله التيمي ، ابن عم عائشة أم المؤمنين وأقرب الناس إليها ، والتي كانت تصطحبه غالباً في غزواته ، كما لو كانت زوجته ، وان ذلك يـخالف شأنها كأم من أمهات المؤمنين ، وكانت ترجو من أعماق قلبها أن يصبح بيده الحل والعقد لهذه الأمة بعد أبيها وبعد عمر .

وهي التي عاضدته وعاضدها علىٰ الثورة ضد عثمان حتىٰ قتل . وهـو الذي حاول أن يستولي علىٰ بيت مال المسلمين في المدينة وعثمان في الحصار حتىٰ

توسل عثمان بعلي بقوله : إذا كنت مأكولاً فكن أنت آكلي . فجاء علي وفتح بيت المال وقسّمه علىٰ مستحقيه . هذا طلحة يقول فيه عثمان حينما كان يحرض علىٰ قتله وهو محاصر في بيته : ويلي على ابن الحضرمية (يعني طلحة) اعطيته كذا وكذا بهاراً ذهباً وهو يروم دمي ويحرّض علىٰ قتلي .

ونقل عن عمر بن العاص : ان طلحة ترك مئة بهار في كل بهار ثلاث قناطر ذهب، وسمعت ان البهار جلد ثور .

وأما ابن عبد ربه من حديث : انهم وجدوا في تركة طلحة ثلاثمئة بهار من ذهب وفضة .

وأخرج ابن الجوزي أكثر من ذلك : ان طلحة خلف ثلاثمئة جمل ذهباً ، وكان لطلحة مالا يحصىٰ من الدور والضياع في مختلف البلاد الاسلامية .

وعن محمد بن ابراهيم قال : كان طلحة يغل بالعراق ما بين اربعمئة ألف إلى خمسمئة ألف دينار ويغلّ بالسراة عشرة آلاف دينار . وقيل انه كان يغلّ في السراة أكثر من العراق (والسراة بين تهامة ونجد أدناها الطائف واقصاها قرب صنعاء) .

وقد ورد عن سفيان بن عيينة وابراهيم بن محمد بن طلحة وسعدىٰ أم يحيىٰ ابن طلحة عما تركه طلحة من النقود من الذهب والفضة ما يفوق الملايين . راجع بذلك الرياض النضرة ج ٢ ص ٢٥٨ ، ودور الاسلام للذهبي ج ١ ص ١٨ ، وطبقات ابن سعد ج ٣ ص ١٥٨ طليدن ، وانساب البلاذري ج ٥ ص ٧ ، ومروج الذهب ج ١ ص ٤٣٤، والعقد الفريد ج ٢ ص ٢٧٩، وخلاصة الخزرجي ص ١٥٢.

وعن البلاذري : ان عثمان اوصل طلحة مئتي ألف دينار .

هذا كله لو سُئل طلحة : من أين جاء بهذه الأموال الطائلة ؟ وهو كبقية الصحابة إذا حاسبته لوجدته ابتز بيت المال بشتىٰ الوسائل وكدّس هذه الثروة ، ودونه

مستحق هذه الأموال التي جمعها سحتاً وأخذها من أمثال عثمان الذي اعترف متذمراً من طلحة ، ووجه لطلحة الويل ، حيث انه أعطاه كذا وكذا بهار ذهباً وهو يروم دمه . نعم ان طلحة إنما كان لا يفتأ يريد المزيد ، وأعظم امنيته الخلافة والولاية فلم يبلغها فسبب قتل عثمان ونكث بيعة علي أميرالمؤمنين .

ومات مقتولاً في الفئة الضالة بعد أن فتك بأبر وأتقىٰ الصحابة في حرب الجمل كما يلي .

وإذا كان الزبير بعد ذلك النكوث علىٰ خليفة رسول اللّهﷺ وصاحبه من قبل الذي كان هو نفسه يدافع عنه ، تذكر ووعىٰ وعاد نادماً وقتل ، بيد أن طلحة قتل ظالماً وغاصباً فما أغنىٰ عنه ماله وولده في الدنيا ، وأما في الآخرة فله سوء الدار .

وكذب من وصفه من العشرة المبشرة ، بعد أن قال رسول اللّهﷺ فيه وفي الزبير وعائشة ومن عاضدهم من بني أمية وغيرهم : **ان علياً سيقاتلهم وهم ناكثون حقه ظالمين له وللأمة الاسلامية** (راجع الجزء الأول والثاني في علي وأسناد قول رسول اللّه لعلي **أنه سيقاتل الناكثين والقاسطين والمارقين**) .

والثلاثة من الفئة الضالة وهم : الناكثين طلحة والزبير في حرب الجمل ، والقاسطين معاوية وزمرته في حرب صفين ، والمارقين هم الخوارج في حرب النهروان .

تلك التي خلفتها السقيفة أم الفتن وأبدتها الشورىٰ وأخرجها عثمان وأعوانه بما قسّم أرض اللّه وأموال المسلمين بين بني أمية وبني معيط والفئات الأخرىٰ أمثال طلحة والزبير الذين ابتزوا تلك الأموال وخزنوها فما أغنت عنهم في الدنيا ولا في الآخرة .

وأما عثمان الذي سلب تلك الأموال من مستحقيها ، وقدمها لغيرهم فكان له النصيب الأوفر .

عثمان وبذخه مع يعلىٰ بن أمية

وهذا يعلىٰ بن أمية أحد ولاة عثمان وخاصته الذي تركه كما مر يبتز أموال المسلمين ويمد الفئة الضالة في حرب الجمل التي جمعت الأضداد من القاتلين ، أمثال طلحة والزبير وابناهما : عبد اللّٰه بن الزبير ، هذا الخبيث الفاسق المتظاهر بالدين والمنافق علىٰ بيت الرسالة . وذلك محمد بن طلحة ، وهذه عائشة أم المؤمنين التي لا زالت منذ كانت في بيت رسول اللّٰه تكيد له وهي تكيد لأخيه ووصيه وبعدها تكيد لذريته .

هي القائلة علىٰ رؤوس الأشهاد : اقتلوا نعثلاً ، كما يأتي باسناده في حرب الجمل ، وهي التي تلقي تبعة قتله علىٰ الابرياء وعلىٰ عاتق علي ، وهو أعظم المدافعين عنه ، كما مر في قول مروان واعترافه : ان علياً أعظم المدافعين عن عثمان ، ولكن لا يقام لنا ملك بدون اتهامه بالقتل .

وهذا مروان بن الحكم يعاضد هؤلاء الذين جمعتهم الأحقاد والحسد وحب الجاه وابتزاز أموال المسلمين . وهذا بالتالي يعلىٰ بن أمية الشقي يمدهم بالمال ، ومن أين أتىٰ بهذا المال العظيم .

وقد أخرج المسعودي في مروج الذهب انه خلق من النقود ما يساوي خمسمئة ألف دينار ، ومن العقار والديون مئة ألف دينار ، فمن أين جاء بها ؟ أليست من بيوت أموال المسلمين .

وهؤلاء بني أمية يشيرون علىٰ طلحة والزبير وأم المؤمنين عائشة أين تذهبون وثاركم علىٰ اعجاز الابل يقصد طلحة والزبير وعائشة . وهكذا كان فقد كان مروان قاتل طلحة بسهمه في الآونة الأخيرة .

ولم يغادر البصرة حتىٰ دمرهم بقتل طلحة والزبير ومحمد بن طلحة وتسليم عائشة ، وبالتالي يقتل عبداللّٰه بن الزبير بيد ابنه عبد الملك . وما ظالم إلّا سيبلىٰ بظالم وعليه تدور الدوائر واللّٰه للظالمين بالمرصاد .

زيد بن ثابت

أحد خزان بين مال عثمان والمدافعين عنه ، ومن الذي أثروا علىٰ حساب ابتزاز أموال المسلمين ، مما قدمه له عثمان بدون حساب حتىٰ قضىٰ ، نراه لا يقل عمن تقدم مما جمعه من الثروات الطائلة من الذهب والفضة ومن منقول وغير منقول مما يُعد بمئات ألوف الدنانير (راجع بذلك مروج الذهب) .

هؤلاء المار ذكرهم بعض من تنعم من ابتزاز أموال المسلمين بدون حساب ، وهناك ما لا يعد من شيعتهم وأنصارهم الذين تحاوشوا بيوت مال المسلمين والصدقات والزكاة والفيء وكانوا حجرة عثرة من وصولها لمستحقيها ، ينهشون تلك الأموال نهش الذئاب فريستها ، حتىٰ إذا وجدوا الفرصة للمرة الأخيرة أطبقوا علىٰ عثمان نفسه . فصح الحديث : «**من أعان ظالماً سلّطه الله عليه**» والظالمين بعضهم أولياء بعض وما ظالم إلّا سيبلىٰ بظالم .

اسراف عثمان علىٰ نفسه

وما أحلىٰ قول الشاعر :

إذا كان اكرامي صديقي واجباً فاكرام نفسي لا محالة أوجب

وأما عثمان فما كان يحسب ما يأتيه من الشرق والغرب من الصدقات والخمس والفيء سوىٰ انه ملكه دون رعاية الٍّ ولا ذمة ولا كتاب ولا سنّة . فهو يبذخ علىٰ نفسه وبيته وصفوته وأقاربه ما شاء من الذهب والفضة بذخ الملوك والجبابرة في اللبس والسكن والعطايا والحلي ، وهو يقول : هذا مال اللّٰه أعطيه من شئت وامنعه من شئت فارغم اللّٰه أنف من رغم .

فهذه أموال المسلمين المحمولة تقسم تارة بين صفوته من آل أمية ، وأخرىٰ علىٰ آل معيط ، وأخرىٰ علىٰ نسائه وبناته ورابعة علىٰ دوره وضياعه .

يعيش عيشة الملوك ويفكر تفكير السلاطين الجبابرة ، ولا يصغي إلى نصح الاتقياء والأولياء أمثال الامام علي عليه السلام ، ولا للصحابة البررة ، وما أشد غضبه على من يعضه ويذكره بالله والرسول صلى الله عليه وآله والكتاب والسنّة ، من كان ، ومهما كان . وأما ما جمعه من تلك الأموال والحلي لنفسه فلا يمكن حسابه .

ويوم قتل عثمان اختلفت الروايات فما خلّفه من كثرة الضياع والدور والحلي والأبنية والنقود من ذهب وفضة وابل ومواشي ومماليك وإماء .

فقد قيل كان من أمواله التي نهبت منها عند خازنه فقط ثلاثون ألف ألف درهم ، وخمسون ألف درهم (٣٠٠٥٠٠٠٠) درهم ، وخمسون ومئة ألف دينار (١٥٠٠٠٠) دينار ، وألف بعير وما يساوي من الصدقات في براديس وخيبر ووادي القرى بقيمة مئتي ألف دينار ، وكان له ألف مملوك .

راجع بذلك انساب البلاذري ج ٣ ص ٤ ، وابن سعد في طبقاته ج ٣ ص ٥٣ ، ومروج الذهب للمسعودي ج ١ ص ٤٣٣ ، والذهبي في دول الاسلام ج ١ ص ١٣ ، والاستيعاب في ترجمة عثمان ج ٢ ص ٤٧٦ ، والصواعق المحرقة ص ٦٨ ، والسيرة الحلبية ص ٨٧ . وما كان يتحاشا من لبس أثمن اللباس من الخز والبرد .

وما احلى كلمة الامام علي عليه السلام في خطبته الشقشقية وكلام الملوك ، ملوك الكلام . والكلام صفة المتكلم .

وكم هو البون الشاسع في كلمات عثمان المارة : (هذا مال الله أعطيه من شئت وأمنعه عمن شئت ، فارغم الله أنف من رغم أو وان رغمت أنوف أقوام) فيجيبه علي : «إذن نمنع من ذلك ويحال بينك وبينه» . وقد صدق أمير المؤمنين علي عليه السلام حين نهبت أمواله بعد مقتله فما أغنت عنه .

وقول الامام علي عليه السلام في عثمان في خطبته الشقشقية : «**قام ثالث القوم نافجاً حضنيه بين نثيله ومعتلفه وقام معه بنو أبيه يخضمون مال الله خضمة الابل نبتة**

الربيع».

ويهدد اولئك الذين ابتزوا أموال المسلمين بمنح عثمان بقوله: **«ألا ان كل قطيعة أقطعها عثمان، وكل ما أعطاه من مال الله فهو مردود في بيت المال»**.

فكان هذا انذار وأي انذار لأمثال طلحة والزبير وبني أمية وبني معيط وأضرابهم (١).

وقد بلغ ما أعطاه فقط لخمسة عشر نفر من بيت مال المسلمين ما يساوي: (٤٣١٠٠٠٠) دينار و (١٢٦٧٧٠٠٠٠) درهم، أعني أربعة ملايين وثلاثمئة وعشرة آلاف دينار، ومئة وستة وعشرين مليوناً وسبعمئة وسبعون ألف درهم.

تلك بعض النقود التي عرفت من عطاياه للحكم وأولاده وابن أبي سرح، وأبي سفيان، والوليد، ويعلىٰ بن أمية، وزيد بن ثابت، وطلحة، والزبير، وسعد بن أبي وقاص.

وأما ما أخذه لنفسه فأكثر، وهناك المضاعفات وعشرات المضاعفات التي لم تذكر، وهناك الممتلكات والعقارات والضياع من الصدقات والخمس والفيء، أمثال فدك وغيرها، المغصوبة سواء من آل البيت عليهم السلام، أو مما يخص جميع المسلمين، وكلها قسمت بين صفوته وخاصته.

في حين ان هناك من صفوة الصحابة وخيرتهم وأقرب الناس من آل بيت الرسالة عليهم السلام لا يصلهم شيء بل يغصب حقهم، ومن هو أقرب من علي عليه السلام وبنيه، والصحابة، أمثال أبو ذر وعمار بن ياسر وعبدالله بن مسعود الذين سيأتي ذكرهم، وأمثالهم.

عدىٰ انهم يعيشون في أضيق العيش، لحرمانهم من الخمس والزكاة، بل يضاف لذلك اهانتهم وضربهم وسلب ماعندهم.

---

(١) راجع بذلك الغدير للعلامة عبدالحسين أحمد الأميني ٨: ٢٨٦.

لذا نجد أميرالمؤمنينعليه السلام وأعدل وأعلم وأقضى أمة محمدصلى الله عليه وآله وأخيه ووصيه الذي ألقىٰ الخطبة الشقشقية ، التي ذكرنا ما كان يخص عثمان ، يقوم في اليوم الثاني من خلافته خاطباً ، عن ابن عباس رفعها الكلبي عنه ، ان علياً خطب في اليوم الثاني من بيعته بالمدينة فقال :

«ألا ان كل قطيعة أقطعها عثمان ، وكل مال أعطاه من مال اللّٰه فهو مردود في بيت المال ، فان الحق القديم لا يبطله شيء ، ولو وجدته قد تزوج به النساء وفرق في البلدان ، لرددته إلى حاله ، فان في العدل سعة ومن ضاق عنه الحق فالجور عنه أضيق» .

وبدأ بما اغتصبه عثمان نفسه واستحوذ عليه من بيت المال من مال وسلاح وعقار من مال الصدقات حتىٰ السيف والدرع .

فكانت هذه الخطبة انذاراً لعاصفة كبيرة من الولولة علىٰ من سلب تلك الحقوق من آل أمية وأشياعهم وطلحة والزبير وأضرابهم ، فقد وجدوا ان الخطر يداهمهم ، وانقلب عليهم كيدهم . وليس لهم سوىٰ اقامة الفتن .

وعندها اجتمع الخصوم فيما بينهم دفاعاً عما سلبوه ، فكانت نتائجهم حروب الجمل وصفين والنهروان ، ولولا الغدر المداهم لابن أبي طالب سلام اللّٰه عليه لأعاد الحق إلى نصابه ، وسار بالمسلمين إلى الصراط المستقيم . فلعن اللّٰه ابن ملجم أشقىٰ الأشقياء ، ولعن اللّٰه من دعىٰ إلى الباطل وحارب الحق ، واللّٰه لهم يوم الحساب .

وكان لخطبة الامام عليعليه السلام تلك أثرها العظيم من الفزع ، حتىٰ نرىٰ عمرو بن العاص وهو من أعداء عثمان الذي نزعه من ولاية مصر ومن المؤلبين عليه بيد يعرف انه لا مغنم له عند عليعليه السلام ، فيبدأ بالمكائد والفتن فيرسل لمعاوية ، وهو أي عمرو بن العاص كان يقيم بايلة من أرض الشام : ايه معاوية ما كنت صانعاً فاصنع إذ قشرك ابن أبي طالب من كل مال تملكه كما تقشر العصا لحاها .

وما أحلىٰ هذه الجملة من ابن العاص لمعاوية ، إذ أكد أن معاوية كلما يملكه إنما هو سحت ومن أموال الخمس والصدقات الخاصة بالمسلمين ، والتي اغتصبها في زمن عثمان وقبله وسوف يحاسب عليه .

وترىٰ بني أمية يغلي مرجلهم وتثور ثائرتهم ، فهم الذين يحسبون ما سلبوه حقاً من حقوقهم ، وهم لا يؤمنون بالكتاب والسنّة ولو آمنوا لما بلغوا ما بلغوا .

ويقول السكير الفاسق الوليد بن عقبة والي عثمان الطريد ، والذي أقام علي عليه السلام عليه الحد لشربه الخمرة أبياتاً يستثير فيها الحمية الجاهلية في بني معيط وبني أمية وشيعتهم بقوله :

بني هاشم ردوا سلاح ابن اختكم ولا تنهبوه لا تحل مناهبه

بني هاشم كيف الهوادة بيننا وعند علي درعه ونجائبه

بني هاشم كيف التودد فيكم وبزابن اروىٰ فيكم وحرائبه

بني هاشم ألا تردوا فانّنا سواء علينا قاتلاه وسالبه

بني هاشم انا وما كان منكم كصدع الصفا لايشعب الصدع ساعبه

قتلتم أخي كيما تكونوا مكانه كما غدرت يوماً بكسرىٰ مرازبه

لعن الله الوليد فهو لا يزال يعد أموال بيت مال المسلمين المنهوبة أموال عثمان وملكه ، ويحسب أن علياً وبني هاشم هم أخذوها وسلبوها منهم ، ويحسب ارجاع الأمور والأموال إلى كتاب الله وسنّة نبيه صلى الله عليه وآله غدراً .

والقصيدة والأبيات ما هي إلّا أبيات فيها روح العصبية الجاهلية التي قضىٰ عليها الاسلام . وهلّا كان شاعراً غير هذا المجرم الفاسق يدعو إلى الحق ؟ فمن هو من عثمان ؟ ومن هو من الاسلام ؟ وما بني أمية وهذا الثراء الطائل ؟

فنرىٰ الفضل بن العباس بن أبي لهب كما رواه المسعودي في مروج الذهب ج ١ ص ١٤٣ يرده كما قيل أن المجيب إنما هو عبدالله بن أبي سفيان بن الحارث ابن عبد المطلب ، والجواب والرد هي الأبيات الشعرية الآتية :

سلوا أهل مصر عن سلاح ابن اختنا ... فهم سلبوه سيفه وحرائبه
وكان ولي العهد بعد محمد ... علي وفي كل المواطن صاحبه
علي ولي اللّه أظهر دينه ... وأنت مع الأشقين فيما تحاربه
وأنت امرؤٌ من أهل صفور مارح ... فما لك فينا من حميم تعاتبه
وقد أنزل الرحمن انك فاسق ... فما لك في الاسلام سهم تطالبه

سلوك عثمان مع الصلحاء واقصاؤهم وتعزيرهم

١ ـ عبداللّه بن مسعود :

قد نزلت في عبداللّه بن مسعود ـ وهو من الصحابة الأقربين لرسول اللّه ﷺ ـ الآيات منها :

١ ـ ما أخرجه مسلم وابن ماجة من طريق سعد بن أبي وقاص قوله تعالىٰ : **﴿ولا تطرد الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي يريدون وجههُ ما عليك من حسابهم من شيء وما من حسابك عليهم من شيء فتطردهم فتكون من الظالمين﴾** . سورة الأنعام الآية (٥٢) . نزلت في ستة أحدهم ابن مسعود ، كما أخرجه الطبري ج ٧ ص ١٢٨ ، والمستدرك ج ٣ ص ٣١٩ ، وتاريخ ابن عساكر ج ٦ ص ١٠٠ ، وتفسير القرطبي ج ١٦ ص ٤٣٢ و ٤٣٣ ، وتفسير ابن كثير ج ٢ ص ١٣٥ ، وتفسير ابن جزي ج ٢ ص ١٠ ، وتفسير الدر المنثور ج ٣ ص ١٣ ، وتفسير الخازن ج ٢ ص ١٨ ، وتفسير الشربيني ج ١ ص ٤٠٤ ، وتفسير الشوكاني ج ٢ ص ١١٥ .

٢ ـ نزلت الآية (١٧٢) من آل عمران في ثمانية عشر منهم ابن مسعود ، قوله تعالىٰ : **﴿الذين استجابوا للّه والرسول من بعد ما أصابهم القرح للذين أحسنوا منهم واتقوا أجرٌ عظيم﴾** في طبقات ابن سعد الكبرىٰ ج ٢ ص ١٠٨ ، وتفسيري ابن كثير ، والخازن .

٣ ـ والآية (٩) من سورة الزمر : ﴿**أمن هو قانت اناء الليل ساجداً وقائماً يحذر الآخرة**﴾ في ابن مسعود وعمار وسلمان .

وجاء في الصحاح الستة ، والمستدرك ، وحلية الاولياء ، والاستيعاب ، ومجمع الزوائد ، والاصابة ، وكنز العمال ، وعن البزاز والطبراني وأحمد وابن ماجة وتاريخ ابن كثير ، كثير من فضائل ابن مسعود ، ومنها قول رسول اللّهﷺ : «**تمسكوا بعهد ابن أم عبد** (يعني عبداللّه بن مسعود)» .

وفي لفظ علقمة : كان يشبه النبيﷺ في هديه ودله وسمته .

وصلته برسول اللّهﷺ واستصحابه له وثقته به واعتماده عليه ، راجع بذلك صحيح البخاري كتاب المناقب ، ومسند أحمد ج ٥ ص ٣٨٩ ، والمستدرك ج ٣ ص ٣١٥ و ٣٢٠ . وحلية الأولياء ج ١ ص ١٢٦ و ١٢٧ ، والاستيعاب ج ١ ص ٣٧٢ ، ومصابيح السنة ج ٢ ص ٢٨٣ ، وصفوة الصفوة ج ١ ص ١٥٦ و ١٥٨ ، وابن كثير في تاريخه ج ٢ ص ١٦٢ ، وتيسير الوصول ج ٣ ص ٢٩٧ ، والاصابة ج ٢ ص ٣٦٩ ، وكنز العمال ج ٧ ص ٥٥ ، وغيرها .

ولابن مسعود فضائل ان اردت أن اذكرها واذكر مصادرها يضيق بنا هذا الكتاب .

وعبداللّه بن مسعود هو سادس ستة دخلوا الاسلام ، هاجر للحبشة ، ثم للمدينة وشهد بدر ، وكل مشاهد النبيﷺ ، وهمته نشر علم القرآن وسنّة الرسولﷺ .

وبعثه عمر للكوفة لتعليمهم أمور دينهم . وبعث عمار أميراً وكتب إليهم أن يقتدوا بهما .

هذا ابن مسعود يطلب منه الوليد بن عقبة وهو خازن بيت المال اللعب بأموال المسلمين فيلقي مفاتيح بيت المال إلى الوليد ، وهو والي عثمان محل سعد بن أبي وقاص ، ويقول : من غيّر غير اللّه ما به ، ومن بدّل أسخط اللّه عليه ، وما أرىٰ صاحبكم إلّا وقد غيّر وبدّل ، أيعزل مثل سعد ويولي الوليد ؟ وقال : ان أصدق القول كتاب اللّه وأحسن الهدي هدي محمدﷺ وشر الأمور محدثاتها ، وكل

محدث بدعة ، وكل بدعة ضلالة ، وكل ضلالة في النار . أخرجه البلاذري في الأنساب ج ٥ ص ٣٦، وأبو نعيم في حلية الأولياء ج ١ ص ١٣٨ .

فكتب الوليد لعثمان : انه يعيبك ، فطلبه للمدينة ، وما أن وصل حتىٰ قال عثمان وهو علىٰ المنبر قدمت عليكم دويبة سوء من تمشي علىٰ طعامه يقيء ويسلح ، فأجابه ابن مسعود : لا بل إني صاحب رسول اللّٰهﷺ يوم بدر ويوم بيعة الرضوان .

ونادت عائشة : أي عثمان أتقول هذا لصاحب رسول اللّٰهﷺ ؟

فأمر عثمان باخراجه من المسجد بعنف وضرب به عبداللّٰه بن زمعة الأرض وقيل ان غلام عثمان كسر ضلعه ، وقد دافع عنه الصحابة وأخص علياً ، وحبسه في المدينة وقطع عنه حقه ، ومات ابن مسعود قبل عثمان بسنتين وأوصىٰ أن لا يصلي عليه عثمان ، كما في شرح ابن أبي الحديد ج ١ ص ٢٣٦ .

كما جاء أيضاً في شرح النهج ج ١ ص ٢٣٧ : ان عثمان أمر بجلد ابن مسعود أربعين سوطاً لأنه دفن أبا ذر الغفاري الصحابي الصدوق صاحب رسول اللّٰهﷺ ذلك العالم التقي الصريح الآمر بالمعروف والناهي عن المنكر .

يجلد مثل عبداللّٰه بن مسعود لأنه دفن أقرب صحابي لرسول اللّٰهﷺ مات غريباً مظلوماً . تلك كانت من الحوافز التي أثارت المسلمين عليه ، والتي لا تغتفر .

فمما لا شك فيه ان أبا ذر الغفاري وعبداللّٰه بن مسعود كانا أحب لرسول اللّٰهﷺ من عثمان وأقرب صله وأتقىٰ وأنصح في دين اللّٰه ، وإنما غضب عليهما لأنهما وجدا فيه تجاوزاً لحدود اللّٰه وسنّة نبيهﷺ في استعمال بني أمية علىٰ الناس ، مثل وليد بن عقبة ، ومعاوية بن أبي سفيان ، وغيرهما الطلقاء المنافقون الذين يظهرون الاسلام ، ويكنون الشرك والفسق والفجور .

٢ ـ أبو ذر الغفاري :

اسمه قبل اسلامه كان جندباً ، وحينما أسلم سماه رسول اللّهﷺ عبداللّه ، وكنيته أبو ذر ، أبو جنادة ، لقب نفسه بالربذيّ ، وهو من قبيلة غفار ، ومن صفاته ومميزاته :

أ ـ كان أبو ذر قبل اسلامه حنيفاً موحداً ، ولم يعبد صنماً ، وكان يكرر كلمة : لا إله إلّا اللّه ، كما أنه كان يصلي بسنين قبل اسلامه . راجع بذلك طبقات ابن سعد ج ٤ ص ١٦١ .

ب ـ انه رابع من أسلم من طريقين وفي صحيح مسلم ، في المناقب ج ٧ ص ١٥٣ و ١٥٥ ، وفي الحلية لأبي نعيم ج ١ ص ١٥٧ ، وفي صفوة الصفوة لابن الجوزي ج ١ ص ١٣٨ ، وابن عساكر في تاريخه ج ٧ ص ٢١٨ .

ج ـ كان في الاسلام ثالثاً وفي لفظ رابعاً ولفظ خامساً ، والأصح المتواتر رابعاً. راجع بذلك حلية الأولياء ج ١ ص ١٥٧ ، والاستيعاب ج ١ ص ٨٣ و ج ٢ ص ٦٦٤ ، وفي أسد الغابة ج ٥ ص ١٨٦ ، وشرح الجامع الصغير للمناوي ج ٥ ص ٤٢٣ ، والاصابة ج ٤ ص ٦٣ ، ومستدرك الحاكم ج ٣ ص ٣٤٢ .

د ـ وهو أول من حييٰ رسول اللّهﷺ بتحية الاسلام فقال : السلام عليك يارسول اللّه ، وأجابه : وعليك ورحمة اللّه . وبلفظ : وعليك السلام . أخرجه مسلم في المناقب من الصحيح ج ٧ ص ١٥٤ و ١٥٥ ، وأبو عمر في الاستيعاب ج ٢ ص ٦٦٤ ، وأبو نعيم في الحلية ج ١ ص ١٥٩ .

هـ ـ وامتاز منذ عهده الأول بالاسلام بشدته في ذات اللّه وصلابته في العقيدة ، راجع بذلك مستدرك الحاكم ج ٣ ص ٣٣٨ ، والاستيعاب ج ٢ ص ٦٦٤ ، وطبقات ابن سعد ج ٤ ص ١٦٥ و ١٦٦ ، وكتاب المناقب باب اسلام أبي ذر من صحيح البخاري ج ٦ ص ٢٤ ، وكتاب المناقب لصحيح مسلم ج ٧ ص ١٥٦ ، ودلائل

النبوة لأبي نعيم ج ٢ ص ٨٦، وحلية الأولياء ج ١ ص ١٥٨ و ١٥٩، وأحمد في مسنده ج ٥ ص ١٧٤، والطبراني في مجمع الزوائد.

و ـ انّ أبا ذر بعد اسلامه تعلم الاسلام وقرأ من القرآن شيئاً، وبعدها أراد اظهار دينه، فحذره رسول اللّه ﷺ من أن يقتل، بيد انه قال: لابد منه وان قتلت: فسكت رسول اللّه ﷺ فجاء المسجد الحرام وقريش حلق يتحدثون في المسجد فصاح صارخاً: اشهد أن لا إله إلّا اللّه وأن محمداً رسول اللّه. فانتفضت الحلق وقاموا إليه واوسعوه ضرباً، حتىٰ صرع، فأتاه العباس فاكب عليه، وقال: قتلتم الرجل يا معشر قريش، أنتم تجار وطريقكم علىٰ غفار أفتريدون أن يقطع الطريق فامسكوا عنه، وكرر نفس عمله في اليوم الثاني وعادوا لضربه حتىٰ صَرع وعاد العباس وكرر عليهم قوله حتىٰ أمسكوا.

وبعدها أمره رسول اللّه أن يلحق بقومه حتىٰ يبلغه ظهور رسول اللّه ﷺ فيذهب إليه.

وثأر من قريش أن ذهب وأقام بعسفان، وكلما أقبلت عير لقريش يحملون الطعام ينفر لهم علىٰ ثنيه غزال فتلقىٰ أجمالها فيجمعون الحنطة فيقول لقومه لا يمس أحد حبة حتىٰ يقول: لا إله إلّا اللّه، فيقولون لا إله إلّا اللّه ويأخذون الغرائر.

ز ـ أما هديه وتواضعه فإليك ما جاء في كتاب مسائل الجاهلية ص ١٢٩:

ان أبا ذر قبل بلوغه المرتبة القصوىٰ من المعرفة شاب هو وبلال الحبشي المؤذن فقال له: ياابن السوداء. فلما شكا بلال إلى رسول اللّه ﷺ قال له: شتمت بلالاً وعيرته بسواد أمه؟ قال: نعم. قال: حسبت انّه بقي فيك شيء من كبر الجاهلية فألقىٰ أبو ذر خدّه علىٰ التراب ثم قال: لا أرفع خدي حتى يطأ بلال خدي بقدمه. أخرجه البرماوي والقسطلاني في ارشاد الشاري ج ١ ص ١١٣.

ح ـ أمره بالمعروف ونهيه عن المنكر طبق الآية الشريفة وهو يتلوها وغيرها، ويعمل بها ليلاً ونهاراً، وهي الآية (١٠٤) من سورة آل عمران: ﴿ولتكن منكم أمةٌ

يدعون إلى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر وأولئك هم المفلحون﴾ دون أن تأخذه في الله لومة لائم أو خشية الجبابرة والظالمين .

كان لعبث عثمان وبني أمية وجماعات من الذين أغدق عليهم عثمان من أموال بيوت مال المسلمين بدون حساب ، أمثال عبدالرحمن بن عوف وطلحة والزبير والحكم ومروان وابن أبي سرح واضرابهم ، المار ذكرهم ، وتلاعب ولاته من بني أمية وبني العاص بأموال المسلمين دون رعاية كتاب الله وسنن رسوله ، علىٰ مشهد ومرأىٰ من أجل الصحابة وأتقاهم ، ومرأىٰ من الامام علي بن أبي طالب﷣ ومصارحة الكثيرين لعثمان في ذلك ، واسداء النصائح له دون جدوىٰ مما أوغر النفوس وأهاب الضمائر المستنكرة ، فكان يقابل كل معترض علىٰ عثمان بالاهانة والزجر والتبعيد والتنكيل .

وممن نال ذلك كثيرون ، منهم العبد الصالح والصحابي العظيم أبو ذر الغفاري . وقد كان يرىٰ من واجبه الديني اعلام الحقائق للأمة بما يراه من مخالفة هؤلاء للكتاب والسنّة وفضح أعمالهم المنكرة بعد أن نصح وأرشد فلم يجد اذناً واعية ، فكان يذكرهم بكتاب الله ويتلو آياته المحكمات الرادعة من تبذير الأموال في غير محلها ، وكنزهم الذهب والفضة ، وفي الأمة المحرومون والجياع والمعوزين من خيار آل البيت والصحابة ، أمثال عقيل بن أبي طالب ، الذي هدت كاهله الديون ، فكان أبو ذر يتلو الآية (٣٤) من سورة التوبة : **﴿والذين يكنزون الذهب والفضة ولا ينفقونها في سبيل الله فبشرهم بعذاب أليم﴾** والآية (٣٥) : **﴿يوم يُحمىٰ عليها في نار جهنم فتكوىٰ بها جباهم وجنوبهم وظهورهم هذا ما كنزتم لأنفسكم فذوقوا ما كنتم تكنزون﴾** .

وأمثال تلك الآيات والاعتراضات في الشام علىٰ مسمع من معاوية وفي المدينة علىٰ مسمع من عثمان ومروان وباقي آل أبي العاص وبني أمية . وهم يجدون كيف يثير كلامه الوعي في النفوس الغافلة ويهيب الضمائر الناقدة عليهم

فيؤلبون عثمان علىٰ الصحابي العظيم فيأمره بالكف عن تلاوة كلام اللّه فيأبىٰ قائلاً: فو اللّه لان أرض اللّه بسخط عثمان أحبّ إليّ وخير لي من أن أسخط اللّه برضاه.

فيثور عثمان عوض أن يتعظ ويتحين الفرص للوقيعة بالصحابي الجليل عوض الاصغاء والتبجيل. ونرىٰ عثمان يبعده للشام فيثور معاوية الفاسق المجرم حينما تفضح ألاعيبه وأعماله وتبذيره في بناية الخضراء وإسرافه فيقول له: يا معاوية ان كانت هذه من مالك فهو الاسراف، وإن كان من مال اللّه فهي الخيانة، فيعود أبو ذر قائلاً: واللّه لقد حدثت أعمال ما أعرفها، واللّه ماهي في كتاب اللّه ولا سنّة نبيهﷺ، واللّه اني لأرىٰ حقاً يطأ، وباطلاً يحيىٰ، وصادقاً يكذب، وامرة بغير تقىٰ، وصالحاً مستأثراً عليه. فيحمل إلى عثمان بتحريض معاوية. وأمر عثمان علىٰ قتب حتىٰ كاد يهلك. وبعد توبيخه ينفيه إلى الربذة. راجع انساب البلاذري ج ٥ ص ٥٢ و ٥٤، وصحيح البخاري في كتابي الزكاة والتفسير، وعمدة القارئ ج ٤ ص ٢٩١، وفتح الباري ج ٣ ص ٢١٣، وابن أبي الحديد في شرحه ج ٢ ص ٢٤٠، وتاريخ اليعقوبي ج ٢ ص ١٤٨، ومروج الذهب ج ١ ص ٤٣٨، وطبقات ابن سعد ج ٤ ص ١٦٨.

ومما نشره أبو ذر من الحقائق والذي أثار بها عثمان حديثاً عن رسول اللّهﷺ وقد مر هذا الحديث وصحته ما ورد عن رسول اللّهﷺ في الحكم وأولاده، منقولاً عن الواقدي والمسعودي: **«إذا بلغ آل أبي العاص ثلاثين رجلاً اتخذوا عباد اللّه خولاً ومال اللّه دولاً ودين اللّه دغلاً»**.

وجاء في كتاب السفيانية للجاحظ عن جلام بن جندل الغفاري قال:

كنت غلاماً لمعاوية علىٰ قنسرين والعواصم في خلافة عثمان فجئت إليه يوماً أسأله عن حال عملي إذ سمعت صارخاً علىٰ باب داره يقول: اتتكم القطار بحمل

النار ، اللّهم العن الآمرين بالمعروف والتاركين له ، اللّهم العن الناهين عن المنكر المرتكبين له . فاربأر معاوية وتغير لونه وقال : يا جلام تعرف الصارخ ؟ قلت : اللّهم لا . قال : من عذيري من جندب بن جناد ! يأتينا كل يوم فيصرخ علىٰ باب قصرنا بما سمعت ثم قال : ادخلوه علي فجيء بأبي ذر قوم يقودونه حتىٰ وقف بين يديه ، فقال له معاوية: يا عدو اللّٰه وعدو رسوله ! تأتينا في كل يوم فتصنع ما تصنع، أما اني لو كنت قاتل رجل من اصحاب محمد من غير اذن أمير المؤمنين عثمان لقتلتك ولكني استأذن فيك . قال جلام : وكنت أجد أن أرىٰ أبا ذر لأنه رجل من قومي ، فالتفت إليه فإذا رجل أسمر غرب من الرجال خفيف العارضين في ظهره حناء ، فاقبل علىٰ معاوية وقال : ما أنا بعدو اللّٰه ولا لرسوله ، بل أنت وأبوك عدوان للّه ولرسوله ، أظهرتما الاسلام وأبطنتما الكفر ، ولقد لعنك رسول اللّٰه ودعا عليك مرات لا تشبع . سمعت رسول اللّٰه يقول : **إذا ولي ... الواسع البلعوم الذي يأكل ولا يشبع فلتأخذ الأمة حذرها منه** . جاء في تاج العروس ج ٨ ص ٢٠٦ ، ولسان العرب ج ١٤ ص ٣٢٢ ، وفي نهاية ابن الاثير ج ١ ص ١١٢ .

فقال معاوية : ما أنا ذلك الرجل ، قال أبو ذر : بل أنت ذلك الرجل ، أخبرني بذلك رسول اللّٰه ﷺ وسمعته يقول وقد مررت به : **اللّهم العنه ولا تشبعه بالتراب** ، وسمعته يقول : ... **معاوية في النار** ، فضحك معاوية وأمر بحبسه .

وكتب إلى عثمان وأمر عثمان بارساله كما مر ان احمل جندباً إليّ علىٰ أغلظ مركب وأوعره ، فوجه به مع من سار به الليل والنهار ، وحمله علىٰ شارف ليس عليها إلّا قتب ، حتىٰ قدم به المدينة ، وقد سقط لحم فخذيه من الجهد ، فلما قدم بعث إليه عثمان : الحق بأي أرض شئت ، قال : بمكة ، قال : لا ، قال : بيت المقدس ، قال : لا ، قال : باحد الحضرين . قال : لا ، ولكني مسيرك إلى الربذة ، فسيره إليها ، فلم يزل حتىٰ مات .

وروىٰ الواقدي عن مالك بن أبي الرجال عن موسىٰ بن ميسرة ، عن أبي الأسود الدؤلي قال : كنت أحب لقاء أبي ذر لأسأله عن سبب خروجه إلى الربذة ، أكان طوعاً أو كرهاً ؟ فقال : كنت في ثغر من ثغور المسلمين فاخرجت منه إلى المدينة ، فقلت : دار هجرتي وأصحابي ، فأخرجت من المدينة إلى ما ترىٰ ، ثم قال : بينا أنا ذا ليلة نائم في المسجد علىٰ عهد رسول الله إذ مر بي فضربني برجله وقال : **لأراك نائماً في المسجد** ؟ فقلت : بأبي أنت وأمي غلبتني عيني فنمت فيه . قال : **فكيف تصنع إذا أخرجوك منه** ؟ قلت : إذاً ألحق بالشام فانها أرض مقدسة وأرض الجهاد . قال : **فكيف تصنع إذا اخرجت منها** ؟ قلت : أرجع إلى المسجد . قال : **فكيف تصنع إذا أخرجوك منه** ؟ قلت : آخذ سيفي فأضربهم به . فقال : **ألا أدلك علىٰ خير من ذلك ؟ انسق معهم حيث ساقوك وتسمع وتطيع** ، فسمعت وأطعت ، وأنا أسمع وأطيع ، والله ليلقيني الله عثمان وهو آثم في جنبي .

ط ـ زهده وتقواه الذي طالما شبهه رسول الله بالمسيح : وقد مر الكثير منه عندما شرحنا اسناد صدق أبي ذر ، أما زهده فحدث عنه ولا حرج ، وإليك بعض الأسناد :

جاء في الحلية لأبي نعيم مرفوعاً عن رسول الله ﷺ : «**أبو ذر أشبه الناس بعيسىٰ نسكاً وزهداً وبراً**» .

وأخرج ابن سعد عن أبي هريرة مرفوعاً : **ما أظلت الخضراء ولا أقلت الغبراء علىٰ ذي لهجة أصدق من أبي ذر ، من سرّه أن ينظر إلى تواضع عيسىٰ بن مريم فلينظر إلى أبي ذر**» .

ونحن إذ نذكر هذا أتذكر أقوال معاوية وآل أمية وأخص منهم عثمان وسب الرجل وشتمه ووصمه بالكذب والنفاق والفتن ، كأنه هو الفاجر الكاذب المنافق مصدر الأشرار والأضرار ، لمحض انه ذكّرهم بكتاب الله وسنن رسوله ونصحهم

عن تلاعبهم بأموال المسلمين ونفوسهم وبعباد الله وأموال الله ودين الله ، وهو الذي قد سمع عن رسول الله ﷺ ويدري عنهم صنائعهم المزرية وأفعالهم المخزية، وقد ابلغ ونصح وأرشد والله حسبهم .

وعن أبي هريرة مرفوعاً بعد ذكر صدقه ، قوله : **إذا أردتم أن تنظروا إلى أشبه الناس بعيسىٰ بن مريم هدياً وبراً ونسكاً فعليكم به .**

وكان رسول الله دائماً يشبهه بعيسىٰ المسيح . راجع فيما مر وأضعاف ذلك ، ما أخرجه الترمذي في صحيحه ج ٢ ص ٢٢١ ، وأبو عمر في الاستيعاب ج ٢ ص ٦٦٤ ، وج ١ ص ٨٤ ، وابن الأثير في أسد الغابة ج ٥ ص ١٨٦ ، وكنز العمال ج ٦ ص ١٦٩ ، ومجمع الزوائد ج ٩ ص ٣٣٠ ، والطبراني ، وطبقات ابن سعد ، وصحيح الترمذي ، وابن ماجة ، ومسند أحمد ، وابن أبي شيبة ، وابن جرير ، والبغوي ، وابن الجوزي ، ومستدرك الحاكم ، ومصابيح السنّة ، وصفوة الصفوة ، وتمييز الطيب لابن الدينع ، واصابة بن حجر ، وجامع السيوطي الصغير وشرحه للمناوي . وغيرهم .

ي ـ صدق أبي ذر : جاء في صحيح الترمذي وطبقات ابن سعد ، وفي لفظ الحاكم : **ما تقل الغبراء ولا تظل الخضراء من ذي لهجة أصدق ، ولا أوفىٰ من أبي ذر ، شبيه عيسىٰ بن مريم** ، فقال عمر بن الخطاب : يا رسول الله فتعرف ذلك له ؟ قال : **نعم فاعرفوه له .**

وبلفظ ابن ماجة عن عبدالله بن عمرو : **ما اظلت الخضراء ، ولا اقلت الغبراء بعد النبيين أصدق من أبي ذر .**

وبلفظ أبي نعيم : **ما تظل الخضراء ولا تقل الغبراء علىٰ ذي لهجة أصدق من أبي ذر شبيه ابن مريم .**

وعن طريق أبي هريرة : **ما اظلت الخضراء ولا أقلت الغبراء علىٰ ذي لهجة أصدق**

من أبي ذر . من سره أن ينظر إلى تواضع عيسىٰ بن مريم فلينظر إلى أبي ذر .

وعن طريق عبدالله بن عمرو بن العاص ، وعبدالله بن عمر وأبي الدرداء عن رسول اللهﷺ : **ما أقلت الغبراء وما أظلت الخضراء ولا أقلت الغبراء أصدق من أبي ذر .**

وعن الترمذي عن رسول اللهﷺ : **ما أظلت الخضراء ولا أقلت الغبراء من ذي لهجة أصدق ولا أوفىٰ من أبي ذر . شبه عيسىٰ بن مريم . فقال عمر بن الخطاب** كالحاسد يا رسول الله افتعرف ذلك له ؟ قال : **نعم فاعرفوه .**

هنا أشير إلى ما رواه الواقدي مسند إلى ضبيان مولىٰ الأسلميين قال : رأيت أبا ذر يوم دخل به علىٰ عثمان فقال له : أنت الذي فعلت وفعلت ؟ فقال أبو ذر : نصحتك فاستغششتني ، ونصحت صاحبك فاستغشني قال عثمان : كذبت ولكنك تريد الفتنة وتحبها ، قد انغلت الشام علينا . قال له أبو ذر : اتبع سنّة صاحبيك لا يكن لأحد عليك كلام ، فقال عثمان : مالك وذلك ؟ لا أم لك . قال أبو ذر : والله ما وجدت لي عذراً إلّا الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر . فغضب عثمان وقال : اشيروا عليّ في هذا الشيخ الكذاب ، أما ان اضربه أو أحبسه أو أقتله فانه فرّق جماعة المسلمين ، أو أنفيه من أرض الاسلام . فتكلم عليﷺ وكان حاضراً فقال : **أشير عليك بما قال مؤمن آل فرعون فان يك كاذباً فعليه كذبه ، وإن يك صادقاً يصبكم بعض الذي يعدكم إن الله لا يهدي من هو مسرف كذّاب .** فأجاب عثمان بجواب غليظ . وأجابه عليﷺ بمثله ، ولم نذكر الجوابين تذمماً منهما .

هنا ترىٰ عثمان كيف أوصم بالكذب من شهد بصدقه رسول اللهﷺ بتلك اللهجة وشهد علىٰ ذلك عمر أمام الصحابة ، وردّه سيدنا عليﷺ ووعظه بتلك الموعظة في الوقت الذي قد صدق معاوية الفاسق المنافق الفاجر في أصدق الناس ومن هو شبيه عيسىٰ في هديه وصدقه ووفائه .

راجع بذلك طبقات ابن سعد ج ٤ ص ١٦٧ و ١٦٨ ط ليدن، وصحيح الترمذي ج ٢ ص ٢٢١، وسنن ابن ماجة ج ١ ص ٦٨، وكنز العمال ج ٦ ص ١٦٩ و ج ٨ ص ١٥ و ١٧، ومسند احمد ج ٢ ص ١٦٣ و ١٧٥ و ٢٢٣ و ج ٥ ص ١٩٧ و ج ٦ ص ٤٤٢ ومستدرك الحاكم ج ٣ ص ٣٤٢، ومصابيح السنّة ج ٢ ص ٢٢٨، وصفوة الصفوة ج ١ ص ٢٤٠، ومجمع الزوائد ج ٩ ص ٣٢٩، واصابة ابن حجر ج ٣ ص ٦٢٢، والجامع الصغير للسيوطي وشرحه للمناوي ج ٥ ص ٤٢٣.

ك ـ علمه: وكان أبو ذر كثير السؤال عن أصول الدين وفروعه وأحاديث رسول اللّٰه ﷺ وسنّته، فروى عنه ابن الأثير في أسد الغابة ج ٥ ص ١٨٦، والمناوي في شرح الجامع الصغير ج ٥ ص ٤٢٣، وابن حجر في الاصابة ج ٤ ص ٦٤، كما جاء في أمالي المحاملي، ومجمع الزوائد ج ٩ ص ٣٢١، والاصابة ج ٣ ص ٤٨٤، كما جاء في الطبقات الكبرىٰ لابن سعد ج ٥ ص ١٧٠ ط ليدن، عن زاران عن علي ﷺ عن علم أبي ذر فقال: **وعىٰ علماً عجز فيه حريصاً علىٰ العلم، يكثر السؤال فيعطىٰ ويمنع، أما أن قد ملئ له في وعائه حتىٰ امتلأ.**

كما نقل نفس المعنىٰ بصيغة مقاربة أبو عمر في الاستيعاب ج ١ ص ٨٣ و ج ٢ ص ٦٦٤. كما نقل نفس المعنىٰ المحاملي في أماليه.

وقال أبو نعيم في حليته ج ١ ص ١٦٩ عن علم أبي ذر ما يلي: كان أبو ذر رضي اللّٰه تعالىٰ عنه للرسول ملازماً وجليساً، وعلىٰ مسائلته والاقتباس منه حريصاً، وللقيام علىٰ ما استفاد منه أنيساً.

سأله عن الأصول والفروع، وسأله عن الايمان والاحسان، وسأله عن رؤية ربه تعالىٰ، وسأله عن أحب الكلام إلى اللّٰه تعالىٰ، وسأله عن ليلة القدر أترفع مع الأنبياء أم تبقىٰ؟ وسأله عن كل شيء حتىٰ مسح الحصىٰ في الصلاة.

ثم قال: كما نقل هو من طريق عبد الرحمن بن أبي ليلىٰ عن أبي ذر، ومثله نقل

أحمد في مسنده ج ٥ ص ١٦٣، قوله رضي اللّٰه عنه سألت النبيﷺ عن كل شيء، حتىٰ سألته عن مسح الحصىٰ فقال: واحدة، أودع. وقال ابن حجر في الاصابة ج ٤ ص ٦٤: ان أبا ذر كان يوازي ابن مسعود في العلم.

ل ـ مقامه عند اللّٰه ورسولهﷺ:

جاء في كنز العمال ج ٨ ص ١٥ عما أخرجه الطبري من طريق أبي الدرداء: ان رسول اللّٰهﷺ كان يأتمن أبا ذر حين لا يأتمن أحداً ويسرّ إليه حين لا يسرّ إلى أحد.

وجاء في مجمع الزوائد ج ٩ ص ٣٣٠ مما أخرجه أبو يعلىٰ عن طريق الحسينﷺ السبط، قال: أتىٰ جبرئيل النبيﷺ فقال: يا محمد أن اللّٰه يحب من اصحابك ثلاثة فاحبهم علي بن أبي طالب، وأبو ذر، والمقداد.

وأخرج البزار عن طريق أنس بن مالك عنهﷺ: **الجنة تشتاق إلى ثلاثة: علي وعمار وأبا ذر.**

وأخرج الترمذي في صحيحه ج ٢ ص ٢١٣، وأبو نعيم في حليته ج ١ ص ١٧٢، وابن ماجة في سننه ج ١ ص ٦٦، والحاكم في مستدركه ج ٣ ص ١٣٠، وأبو عمر في الاستيعاب، كما جاء في الجامع الصغير وشرحه للمناوي، واصابة ابن حجر ج ٣ ص ٤٥٥. عن بريدة، عن النبيﷺ: **ان اللّٰه عزوجل أمرني بحب أربعة، وأخبرني أنه يحبهم: علي وأبو ذر ومقداد وسلمان.**

وأخرج أحمد في مسنده ج ٥ ص ١٩٧، من طريق عبدالرحمن بن غنم وشهادة أبي الدرداء في أبي ذر حينما سمع بنفيه من الشام إلى المدينة، فقال أبو الدرداء: اللّٰهم ان كذبوا أبا ذر فاني لا أكذبه اللّٰهم وان اتهموه فاني لا أتهمه، اللّٰهم وإن استغشوه فاني لا أستغشّه، فان رسول اللّٰهﷺ كان يأتمنه حين لا يأتمن احداً، ويسر إليه حين لا يسر أحداً، أما والذي نفس أبي الدرداء بيده لو أن أبا ذر قطع

يميني ما أبغضه بعد الذي سمعت من رسول اللّهﷺ يقول : **ما أظلت الخضراء** (الحديث) .

ولأبي الدرداء عن طريق ابن الحارث انه قال : ذكرت له أبا ذر ، فقال : واللّه إن كان رسول اللّهﷺ ليدنيه دوننا إذا حضره ، ويتفقده إذا غاب ، ولقد علمت انه قال : الحديث **(ما تحمل الغبراء ولا تظل الخضراء)** .

راجع كنز العمال ومجمع الزوائد والاصابة . وأخرج احمد في مسنده ج ٥ ص ١٨١ عن أبي الأسود الدؤلي ، قال : رأيت اصحاب النبيﷺ فما رأيت لأبي ذر شبيهاً .

واسمع أبو نعيم كيف يصف أبا ذر في حليته ج ١ ص ١٥٦ : العابد ، الزاهد ، القانت الوحيد ، رابع الاسلام ورافض الازلام قبل بزغ الشرع والأحكام ، تعبّد قبل الدعوة بالشهور والأعوام ، وأول من حيىٰ الرسول بتحية الاسلام ، لم تكن تأخذه في الحق لائمة اللوام ، ولا تفزعه سطوة الولاة والحكام ، أول من تكلم في علم البقاء والفناء ، وثبت علىٰ المشقة والعناء ، وحفظ العهود والوصايا ، وصبر علىٰ المحن والرزايا ، واعتزل مخالطة البرايا ، إلى أن حلّ بساحة المنايا ، أبو ذر الغفاري رضي اللّه عنه ، خدم الرسولﷺ وتعلم الأصول ونبذ الفضول .

م ـ صبره في ذات اللّه أمام نكايات عثمان وأعماله وأعمال عماله :

كان أبو ذر وهو من خيرة الصحابة وأصدقهم لهجة وصراحة وأشجعهم في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، وأشدهم تقوىٰ وزهداً ، وأبرهم في ذات اللّه ، واخشنهم عيشة ، وأوثقهم بدين اللّه ورعاية عهوده وتمسكاً بدين الاسلام وتعلقاً بوصايا رسوله الأكرم ، وأوعاهم بعد أمير المؤمنين عليﷺ علماً ، وتمشياً مع الكتاب والسنّة وأدراهم بأولي الأمر والخيرة بعد رسول اللّهﷺ وصلحائهم والمنافقين الفاسقين والطلقاء الذين أشار إليهم رسول اللّهﷺ .

فإذا به يرىٰ ويسمع ما حذر به الرسول ﷺ ومنعه كتاب اللّٰه ، وخالف سنن نبيه، يرىٰ بني أمية وعلىٰ رأسهم عثمان يسلّط علىٰ رقاب المسلمين الملعونين وطرداء رسول اللّٰه ﷺ والطلقاء وأبناء الطلقاء ، الذين يكنون الكفر والفسق والالحاد والبغض لكتاب اللّٰه ورسوله وسننه ويخالفون بجميع أعمالهم كتاب اللّٰه ، يستبيحون أموال المسلمين في أعمالهم المزرية ، ويكتنزون الذهب والفضة ، والصحابة الغيارىٰ وعامة المسلمين في ضنك من العيش .

فذاك معاوية في الشام يتصرف بالصدقات والخمس والفيء تصرف المالك فيبني بمسمع ومرأىٰ من أبي ذر الخضراء ، ويعمل ما يشاء دون تمسك بكتاب أو سنّة .

وهؤلاء ولاة عثمان في العراق أحدهم يشرب الخمر ويستنزف بيت المال ويصلي بالناس سكراناً .

وذلك في مصر يسلب المسلمين جميعاً الخمس الحاصل من شمال افريقيا .

وهذا عثمان يكيل لهم ولمن ساندهم ماشاء دون أن يرقب إلاًّ أو ذمة .

فيرىٰ أبا ذر القيام بالجهار الشرعي للأمر بالمعروف والنهي عن المنكر صدعاً بأمر اللّٰه ، كما جاء في كتابه الحكيم : **﴿ولتكن منكم أمةٌ يدعونَ إلى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر واولئك هم المفلحون﴾** . الآية (١٠٤) من سورة آل عمران .

وهو في حيرة من أمره يرىٰ كيف دالت دولة الاسلام ، فيقول لعثمان : اني سمعت رسول اللّٰه ﷺ يقول : إذا بلغ البناء سلعاً فالهرب ، فيطلب منه الاذن بالذهاب إلى الشام للغزو هناك فيأذن له . ولما وصل ورأىٰ أعمال معاوية المنكرة وأخذ يستنكرها ويجاهر أمام المسلمين قائلاً : واللّٰه لقد حدثت أعمال ما أعرفها، واللّٰه ماهي في كتاب اللّٰه ولا سنّة نبيه ، واللّٰه اني لأرىٰ حقاً يطفأ وباطلاً يحييٰ ،

وصادقاً يكذب واثرة بغير تقىٰ ، وصالحاً مستأثراً عليه .

ويحاول معاوية كعادته ارشاء ذوي المطامع وصم آذانه وسد فمهم بالرشوة والعطايا من مال الله ومال المستحقين من المسلمين ، فيرسل إلى أبي ذر العطايا ، فيأبىٰ أخذها ، وان أخذها انفقها علىٰ مستحقيها بنفس اليوم ، وهو يدري ما يريد معاوية وماذا يعمل ويسرق ، وينبه ويتلو علىٰ مسمع منه الآيات التي يخالفها معاوية وابن عمه عثمان ، الآية (٣٤) من سورة التوبة : ﴿**والذين يكنزون الذهب والفضة**﴾ وغيرها التي سيرد ذكرها . تلك التي يريد بها عثمان ومن كال له من أموال المسلمين وجمعوها وكنزوها .

فيكيد له معاوية بارساله له مالاً ويأتيه بعد يوم يطالبه به كونه أرسله خطأً فيراه قد انفقه . وعندها يمنع الناس من التقرب إليه ، فيراه لا يجديه نفعاً ، بل يزيد إلى أعماله المنكرة ، فيشكوه إلى عثمان ، ويعلن خطره عليه ، فيطلب ارساله علىٰ قتب ، فيحمله هذا علىٰ قتب بقيادة خمسة من الصقالبة الأشداء ، يسوقونه دون رحمة وهوادة إلى المدينة بسرعة خاطفة ، حتىٰ تسلخت لحوم افخاذه وكاد يموت[1].

هكذا اطاع معاوية هو الكائد المتشفي كلام عثمان حين قال له : أما بعد فاحمل جندباً إليّ علىٰ أغلظ مركب وأوعره ، فوجّه معاوية من سار به الليل والنهار .

هكذا جاء في انساب البلاذري ومذ قابل عثمان في المدينة خاطبه قائلاً : تستعمل الصبيان وتحمي الحمىٰ ، وتقرب أولاد الطلقاء . فنفاه إلى الربذة ولم يزل بها حتىٰ مات .

وذكر المسعودي في مروج الذهب أن أبا ذر حينما أرسله من الشام إلى

---

(١) راجع مروج الذهب للمسعودي .

المدينة علىٰ تلك الحال وكاد يتلف ، قيل له : انك تموت ، فقال : هيهات لن أموت حتىٰ أنفىٰ وذكر جوامع ما نزل به بعد ، ومن يتولىٰ دفنه ، فأحسن إليه في داره أياماً ثم دخل إليه (إلى عثمان) فجلس علىٰ ركبتيه وتكلم باشياء وذكر الخبر في ولد أبي العاص[١] : **إذا بلغوا ثلاثين رجلاً اتخذوا عباد اللّٰه خولاً ومال اللّٰه دولاً ودين اللّٰه دغلاً**.

ومر في الخبر بطوله وتكلم بكلام كثير . وكان في ذلك اليوم قد أتىٰ عثمان بتركة عبد الرحمن بن عوف الزهري (وهو أحد أعضاء الشورىٰ الذي هو صهر عثمان ، وقد انحاز إلى عثمان هو وصهر عمر بن سعد فانتخبوه) من المال فنضت البدر حتىٰ حالت بين عثمان وبين الرجل القائم ، فقال عثمان : إني لارجو لعبد الرحمن خيراً لأنه كان يتصدق ويقري الضيف وترك ما ترون فقال كعب الأحبار : صدقت يا أمير المؤمنين ، فشال أبو ذر العصا وضرب بها رأس كعب ولم يشغله ما كان فيه من الألم ، وقال : ياابن اليهودي : تقول لرجل مات وترك هذا المال ان اللّٰه أعطاه خير الدنيا وخير الآخرة وتقطع علىٰ اللّٰه بذلك ، وأنا سمعت رسول اللّٰه ﷺ يقول : **ما يسرني ان أموت وأدع ما يزن قيراطاً**. فقال له عثمان : وارعنّي وجهك : فقال أسير إلى مكّة . قال : لا واللّٰه . قال : فتمنعني من بيت ربي أعبده فيه حتىٰ أموت ، قال : اي واللّٰه . قال : فإلى الشام . قال : لا واللّٰه . قال : البصرة . قال : لا واللّٰه فاختر غير هذه البلدان . قال : لا واللّٰه ما اختار غير ما ذكرت لك ولو تركتني في دار هجرتي ما أردت شيئاً من البلدان ، فسيرني حيث شئت من البلاد . قال : فاني مسيرك إلى الربذة . قال : اللّٰه أكبر صدق رسول اللّٰه ﷺ قد أخبرني بكل ما أنا لاقٍ . قال عثمان : وما قال لك ؟ قال أخبرني بأني امنع عن مكة والمدينة وأموت

---

(١) وفي رواية أخرىٰ بني أمية .

بالربذة ويتولىٰ مواراتي نفر ممّن يردون من العراق نحو الحجاز . وبعث أبو ذر إلى جمل له فحمل عليه امرأته وقيل ابنته ، وأمر عثمان أن لا يتجافاه الناس حتىٰ يسير إلى الربذة ، فلمّا طلع عن المدينة ومروان يسيره نحوها إذ طلع عليه علي بن أبي طالب رضي اللّٰه عنه ، ومعه ابناه وعقيل أخوه وعبداللّٰه بن جعفر وعمار بن ياسر ، فاعترض مروان قال : يا علي ان أميرالمؤمنين قد نهىٰ الناس أن يصحبوا أبا ذر في مسيره ويشيعوه فان كنت لم تدر بذلك فقد اعلمتك . فحمل عليه علي ابن أبي طالب بالسوط بين اذني راحلته ، وقال : **تنح نحاك اللّٰه إلى النار** ، ومضىٰ مع أبي ذر فشيعه ثم ودعه وانصرف . فلما أراد الانصراف بكىٰ أبو ذر وقال : رحمكم اللّٰه أهل البيت إذا رأيتك يا أبا الحسن وولدك ذكرت بكم رسول اللّٰه .

وقد روى ذلك البلاذري في الأنساب والواقدي واليعقوبي وابن سعد ، كذلك أبو يعلىٰ عن طريق ابن عباس ، ومما قاله : أن أبا ذر استأذن عثمان فقال : انه يؤذينا ، فلما دخل قال له عثمان : أنت الذي تزعم أنك خير من أبي بكر وعمر ؟ قال : لا ، ولكن سمعت رسول اللّٰه يقول : «**ان أحبكم إليّ وأقربكم مني من بقي علىٰ العهد الذي عاهدته عليه وأنا باق علىٰ عهده**»[1] .

وجاء في نهج البلاغة ج ١ ص ٢٤٧ ، و ج ٢ ص ٣٧٥ ـ ٣٨٧ ، تفصيل قصة أبي ذر عن أبي بكر احمد بن عبد العزيز الجوهر في كتاب السقيفة عن عبدالرزاق عن أبيه عكرمة عن ابن عباس قال :

«لما أخرج أبو ذر إلى الربذة أمر عثمان فنودي في الناس : أن لا يكلم أحد أبا ذر ولا يشيعه ، وأمر مروان بن الحكم أن يخرج به فخرج به وتحاشاه الناس إلّا

---

(١) ومنه نعرف من كلام أبي ذر أن أبا بكر وعمر وعثمان لم يبقوا علىٰ العهد .

علي بن أبي طالب عليه السلام وعقيلاً أخاه ، وحسناً وحسيناً عليهما السلام ، وعماراً ، فانهم خرجوا معه يشيعونه فجعل الحسن يكلم أبا ذر ، فقال له مروان : ايه يا حسن : ألا تعلم أن أمير المؤمنين قد نهىٰ عن كلام هذا الرجل ، فان كنت لا تعلم فاعلم ذلك ، فحمل علي علىٰ مروان فضرب بالسوط بين أذني راحلته ، وقال : **تنح نحاك اللّـه إلى النار** . فرجع مروان مغضباً إلى عثمان فأخبره الخبر فتلظىٰ علىٰ عليٍّ ، ووقف أبو ذر فودعه القوم ومعه ذكوان مولىٰ أم هانئ بنت أبي طالب ، قال ذكوان : فحفظت كلام القوم ، وكان حافظاً .

فقال علي : **يا أبا ذر انك غضبت للّه ان القوم خافوك علىٰ دنياهم ، وخفتهم علىٰ دينك فامتحنوك بالقلىٰ ونفوك إلى القلا ، واللّه لو كانت السموات والأرض علىٰ عبد رتقاً ثم اتقىٰ اللّه لجعل له منها مخرجاً ، يا أبا ذر ! لا يؤنسنك إلّا الحق ولا يوحشنك إلّا الباطل** . ثم قال لاصحابه : ودعوا عمكم ، وقال لعقيل : ودع أخاك .

فتكلم عقيل فقال : ما عسىٰ أن نقول يا أباذر ! وأنت تعلم انا نحبك وأنت تحبنا ، فاتق اللّه فان التقوىٰ نجاة ، واصبر فان الصبر كرم ، وأعلم ان استثقالك الصبر من الجزع ، واستبطاءك العافية من اليأس ، فدع اليأس والجزع .

ثم تكلم الحسن فقال : **يا عماه لولا انه لا ينبغي للمودع أن يسكت وللمشيع أن ينصرف لقصر الكلام وان طال الأسف ، وقد أتىٰ من القوم إليك ما ترىٰ فضع عنك الدنيا بتذكر فراغها ، وشدة ما اشتد منها برجاء ما بعدها ، واصبر حتىٰ تلقىٰ نبيك صلى الله عليه وآله وسلم وهو عنك راضٍ** .

ثم تكلم الحسين فقال : **يا عماه إن اللّه تعالىٰ قادر أن يغيّر ما قد ترىٰ ، اللّه كل يوم هو في شأن ، وقد منعك القوم دنياهم ، ومنعتهم دينك ، فما أغناك عما منعوك وأحوجهم إلى ما منعتهم فاسأل اللّه الصبر والنصر واستعذ به من الجشع والجزع ، فان الصبر من الدين والكرم ، وان الجشع لا يقدم رزقاً ، والجزع لا يؤخر أجلاً** .

ثم تكلم عمار مغضباً فقال : لا أنس الله من أوحشك ، ولا آمن من أخافك ، أما والله لو أردت دنياهم لأمّنوك ، ولو رضيت أعمالهم لأحبّوك ، وما منع الناس أن يقولوا بقولك إلاّ الرضا بالدنيا والجزع من الموت ، ومالوا إلى ما مال سلطان جماعتهم عليه ، والملك لمن غلب ، فوهبوا لهم دينهم ومنحهم القوم دنياهم ، فخسروا الدنيا والآخرة ، ألا ذلك هو الخسران المبين .

فبكىٰ أبو ذر ﷺ ، وكان شيخاً كبيراً وقال : رحمكم الله يا أهل بيت الرحمة ، إذا رأيتكم ذكرت بكم رسول الله ، ما لي بالمدينة سكن ولا شجن غيركم ، اني ثقلت علىٰ عثمان بالحجاز كما ثقلت علىٰ معاوية بالشام ، وكره أن اجاور أخاه وابن خاله بالمصرين (اللعين عبدالله بن سعيد بن أبي سرح أخا عثمان من الرضاعة والي مصر ، وعبدالله بن عامر ابن خاله بالبصرة) فافسد الناس عليها فسيرني إلى بلد ليس لي به ناصر ولا دافع إلاّ الله ، والله ما أريد إلاّ الله صاحباً ، وما أخشىٰ مع الله وحشة .

ورجع القوم إلى المدينة ، فجاء علي إلى عثمان فقال له : ما حملك علىٰ رد رسولي وتصغير أمري ؟ فقال علي : أما رسولك فأراد أن يره وجهي فرددته ، وأما أمرك فلم اصغّره ، قال : أما بلغك نهيي عن كلام أبي ذر ؟ قال : أوكلّما أمرت بأمر معصية أطعناك فيه ؟ قال عثمان : اقد مروان من نفسك . قال : ممّ ذا ؟ قال : من شتمه وجذب راحلته . قال : أما راحلته فراحلتي بها ، وأما شتمه ايّاي فو الله لا يشتمني شتمة إلاّ شتمتك مثلها لا أكذب عليك .

فغضب عثمان ، وقال : لم لا يشتمك . كأنك خير منه ، قال علي : أي والله ومنك . ثم قام فخرج فارسل عثمان إلى وجوه المهاجرين والأنصار وإلى بني أمية يشكو إليهم علياً ، فقال القوم : انت الوالي عليه واصلاحه أجمل . قال : وددت

ذلك ، فأتوا علياً فقالوا : لو اعتذرت إلى مروان واتيته ، فقال : **كلا أما مروان فلا آتيه ، ولا أعتذر منه ، ولكن ان احب عثمان أتيته** . فرجعوا إلى عثمان فاخبروه ، فارسل عثمان إليه فأتاه ومعه بنو هاشم .

فتكلم علي ، فحمد اللّٰه واثنىٰ عليه ، ثم قال : **أما ماوجدت عليّ فيه من كلام أبي ذر ووداعه فو اللّٰه ما أردت مساءتك ولا الخلاف عليك ، ولكن أردت به قضاء حقّه ، وأما مروان فانه اعترض يريد ردّي عن قضاء حق اللّٰه عزوجل فرددته رد منع مثله ، وأما ما كان مني إليك فانك اغضبتني فاخرج الغضب مني ما لم ارده** . فتكلم عثمان فحمد اللّٰه واثنىٰ عليه ثم قال :

أما ما كان منك إليّ فقد وهبته لك ، وأما ما كان منك إلى مروان فقد عفىٰ اللّٰه عنك ، وأما ما حلفت عليه فأنت البر الصادق فادن يدك فأخذ يده فضمها إلى صدره ، فلما نهض قالت قريش وبنو أمية لمروان : أأنت رجل جبهك علي وضرب راحلتك ! وقد تفانت وائل في ضرع ناقة ، وذبيان وعبس في لطمة فرس ، والأوس والخزرج في نسعة (النسعة حبل عريض طويل تشد به الرحال) أفتحمل لعليٍّ ما أتاه إليك ؟ فقال مروان : واللّٰه لو أردت لما قدرت عليه .

ومن ينكر علىٰ أبي ذر أمره بالمعروف ونهيه عن المنكر وصبره في ذات اللّٰه أمام نكايات عثمان وأعماله وأعمال عماله ؟ ! وهو يرىٰ بني أمية وعلىٰ رأسهم عثمان يخضمون مال اللّٰه وحق الناس خضمة الابل نبتة الربيع(١) ، وقد اتخذوا عباد اللّٰه خولاً وماله دولاً ودينه دغلاً(٢) .

وترىٰ عثمان يقرّب ابناء الطلقاء الكفرة الفجرة أمثال أبي سفيان ، الذي

---

(١) من الخطبة الشقشقية في نهج البلاغة .

(٢) مر ذكره باسناده انه متىٰ بلغ بنو أمية ثلاثون رجلاً اتخذوا عباد اللّٰه خولاً ...الخ.

يخاطبه إنها الملوكية فلا يخرجنها من آل أمية ، وليس هناك لا جنّة ولا نار .

وهذا معاوية ابنه ، وما سمعت عن دعاء رسول اللهﷺ عليه والتحذير عنه .

وأولئك بنو الحكم الملاعين المطرودين من رسول اللهﷺ يقدمهم عثمان على آل بيت رسول اللهﷺ والصحابة الاتقياء المقربين ، ويولّيهم على رقاب المسلمين وأموالهم وادارة شؤونهم ، وكل منهم لا يهمه إلّا اشباع هواه واتباع شهواته الدنية ، والاطاحة بكل ناصح مرشد ، أو آمر بمعروف ، أو ناه عن منكر . وعوض الاصغاء والتروي والكف ، فإذا كل منهم ، وفي رأسهم عثمان لا يألون جهداً من كيل التهم للآمرين بالمعروف والناهين عن المنكر بقولهم إنما يريدون اقامة الفتن وتشتيت كلمة المسلمين ، وايجاد التفرقة والنفاق .

انظر كيف يحرّفون الكلم عن مواضعه ، وكيف يعاملون الاتقياء البررة الخلّص بالتهم والاهانة والتنكيل والزجر والتحقير ، وبعده الضرب والتعذيب والسب والنفي والموت .

فماذا عمل أبو ذر فاستغشوه ؟ غير انه نصحهم وغير انه تلا سنن نبيه ، وآيات كتاب الله يوعظ به الغافلين ويهيب بالمسلمين إلى الخطر الداهم والدين المضاع .

وهل تجد النتائج إلّا من أهداف الخليفة واغراضه إلى تقديم الطالح وضرب الصالح ، حتىٰ يستقيم له الأمر ويدرك نواياه .

فأين العهد الذي عاهد عليه رسول اللهﷺ واتباع كتاب الله وسنّة رسوله .

وأين وصايا رسول اللهﷺ يوم قال : **إني مخلّف فيكم الثقلين كتاب الله وعترتي أهل بيتي من تمسك بهما نجا ومن تخلّف عنهما هوىٰ .**

وهذا علي أمير المؤمنين عليه السلام أخو رسول الله صلى الله عليه وآله ووصيه وباب علمه وأبو ذريته لا ينفك يقدم له النصيحة بعد النصيحة والتحذير بعد التحذير ، وكلما عمل خطيئة أردفها بخطايا ، وكلما أصلح فاسداً اتبعها بمفاسد ، وهو يرىٰ تبذير عثمان بمال المسلمين ، ويرىٰ بأم عينيه الاشادة بابناء الطلقاء والملاعين وطرداء رسول الله صلى الله عليه وآله وتسلّطهم علىٰ رقاب الناس ، دون أن يعي أو يحذر من العاقبة .

وهذا مروان وأبوه ـ طرداء رسول الله الملعونين علىٰ لسان نبيه ـ وزرائه ومشاوريه .

وهذا معاوية ـ الطليق الفاسق الملعون ـ وابن أبي السرح ـ المهدور الدم ـ واضرابهم ولاته .

وهذا فعله بصحابة رسول الله صلى الله عليه وآله أمثال أبي ذر وعمار ، وذلك تطاوله علىٰ امامه وسيده أبو العترة الطاهرة الفارق بين الحق والباطل علي بن أبي طالب عليه السلام فيقابله ويزجره من أجل مروان وبالتالي ينفيه إلىٰ ينبع مراراً ، وحينما يحتاجه يستدعيه ويعود ينفيه[1] .

---

(١) العقد الفريد ٢ : ٢٧٤، ونهج البلاغة ١ : ٤٦٨، قال عثمان لابن عباس : اكفني ابن عمك . وقال ابن عباس : ابن عمي ليس بالرجل يرىٰ له، ولكنه يرىٰ لنفسه، فارسلني إليه بما احببت، قال : قل له : فليخرج إلى ماله بالينبع، فلا اغتم به ولا يغتم بي، فأتىٰ علياً فأخبره، فقال : ما اتخذني عثمان إلّا ناضحاً، ثم أنشد يقول :

فكيف به انـي أداوي جـراحـه   فيدوى فلا مل الدواء ولا الداء

وقال : يابن عباس ! مايريد عثمان إلّا أن يجعلني جملاً ناضحاً بالقرب اقبل وادبر، بعث إليّ أن أخرج، ثم بعث إليّ أن أقدم، ثم هو الآن يبعث إليّ أن أخرج، والله لقد دفعت عنه حتىٰ خشيت أن أكون آثماً.

جاء في طبقات ابن سعد ص ١٦٤ من طريق عبادة بن الصامت عن أبي ذر، وهو الصادق البر التقي علىٰ لسان رسول اللّٰه انهﷺ أوصاه بسبع خصال فقال: أوصانيﷺ بسبع: بحب المساكين والدنو منهم، وأمرني أن انظر إلى من هو دوني ولا أنظر إلى من هو فوقي، وأمرني أن لا اسأل أحداً شيئاً. وأمرني أن أصل الرحم وان ادبرت، وأمرني أن أقول الحق وان كان مراً. وأمرني أن لا أخاف لامة لائم، وأمرني أن اكثر من (لا حول ولا قوة إلّا باللّٰه) فانهن من كنز تحت العرش.

ولا شك أن عثمان يعرف أبا ذر حق المعرفة، ويعرف صفاته ويعرفه انه من صحابة رسول اللّٰهﷺ المقربين، ويعرف ما نعته به رسول اللّٰهﷺ، ورغم ذلك نراه يوصمهُ بالكذب رغم صدقه ويسبه فيقول له: لا أم لك، فيجيبه: انك تحكم بي حكم الجبابرة ويقسم له باللّٰه: ما وجدت لي عذراً إلّا الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وهي التي أقامت عثمان وأقعدته وهو لا يرىٰ أحكام اللّٰه وسنن نبيه ووصاياه، بل يرىٰ له القدرة والسلطة وله ما يشاء، فهو السلطان المطلق، ويريد أن يخمد كل من يستنكر أعماله المخالفة للشرع، ويهدم كلما يحول دون بلوغ آماله من وضع السلطة والسيطرة، بيد بني أمية، ولا يهمه من قال وما قال.

فهو يخاطب علياً الذي قام الاسلام بسيفه وحنكته واخلاصه، وأشاد به اللّٰه في آياته المحكمات ووثقه رسول اللّٰهﷺ وأعلىٰ مقامه، وصي رسول اللّٰه وأخوه وولي المؤمنين وأميرهم، فيجعله نداً وقريناً للعين الطريد من اللّٰه ورسولهﷺ مروان، ويقول له: ما أنت بأكرم عليّ من مروان، ويقول له: اقده.

الواقع ان المسلمين كيف يتلقون من عثمان هذا التجري، بعد أن عرفوا أن مبغض علي كافر، وبعد أن عرفوا أن من خاصم علياً منافق، وانه أعلم وأتقىٰ وأعدل الأمة وأشجعها وأزكاها، وانه نفس رسول اللّٰهﷺ وانه الذي طهّره اللّٰه في آية الطهارة، وانه ولي اللّٰه في آية الولاية.

وبعد أن توسط عثمان لرسول الله ولأبي بكر وعمر من رد الحكم وولده فأبوا، وبعد أن عرف ما ورد في الحكم ونفاقه في القرآن، كل ذلك لم يمنعه ويأتي بـه ويجعله علماً ونكيلاً وخصماً على أحباء الله ورسولهﷺ والظالمين بعضهم أولياء بعض.

ولقد حاول بنو أمية كل المحاولات للدس والتحريف في كل ما يشوه الحقيقة ويفضحهم في زمن معاوية وآل مروان فلم يألوا جهداً من حط كرامة آل الرسولﷺ والعترة الطاهرة والصحابة البررة الذين ظلوا على ما عاهدوا عليه رسول الله.

وبالعكس من رفع شأن أعدائهم وانداهم فرشوا واشتروا الضمائر المدنسة الخبيثة أمثال أبي هريرة، لرفع ما قالوه إلى مقام الرسالة، ولكن كيف تخفى الحقائق على المخلصين المؤمنين لما فيها من تناقض.

وقد أيد الغاصبون بعدهم من بني العباس ذلك بترك ما أحدث هؤلاء، لما في ذلك من تثبيت ملكهم وتأكيد دعواهم.

ومما حاولوا تشويهه حاولوا تشويه دعوى العبد الصالح والصحابي العظيم أبي ذر واسدال وجه من الحقيقة لعثمان وبني أمية الجناة. وإذا بهم يروون عن كذابين وضّاعين، أمثال سيف والسري وشعيب وعطية ويزيد الفقعسي، هؤلاء وأضرابهم، والذين فضحهم الله بعد ألف ونيف من السنين على يد الغيارى من المحققين، وإذا بالطبري وابن أثير وابن عساكر وابن خلدون وأبو الفداء وأضرابهم، أخذ الواحد عن الآخر، وإذا بالأصل المنسوب للطبري لا أصل له كابن السوداء، وابن سبأ، وإذا بهم جميعاً نقلوا ما اصبح فضيحة عليهم وعلى كتاباتهم.

راجع ما كتبه العلامة أبو رية في كتابه (أضواء على السنّة المحمدية) والمحقق العلامة السيد مرتضى العسكري في كتابه عبدالله بن سبأ.

حكم الله في الأموال

وردت ثلاثة نصوص تتعلق بالأموال :

١ ـ في الزكاة :

أ ـ وتؤخذ من الأنعام الثلاثة (الابل والبقر والغنم) . ومن الذهب والفضة والغلات (وهي أربعة : الحنطة والشعير والتمر والزبيب) ومجموعها تسعة .

وتوزّع طبق الآية على مستحقيها وهم ثمانية : الفقراء ، والمساكين ، والعاملون عليها ، والمؤلفة قلوبهم ، وفي الرقاب ، والغارمون ، وفي سبيل الله ، وابن السبيل .

ب ـ زكاة الفطرة .

٢ ـ في الخمس :

ويؤخذ من غنائم الحرب ، والمعادن ، والغوص ، وارباح التجارات والصناعات والزراعات والكنوز ، وأرض الذمي التي اشتراها من مسلم ، والحرام الممتزج بالحلال ولم يتميز .

ويقسم طبق الآية : نصفه للنبي ، كان يوزعها بنظره في البر بعد أخذ حاجته ومنها فدك كما مر وهي خالصة للرسول ﷺ ، وهو ما كان للّه وللرسول ولذي القربى ، وثلاثة أخرى وهم : فقراء الهاشميين ، وأيتامهم ، وأبناء سبيلهم .

٣ ـ في الأنفال (ومنه الفيء) :

وهو كل أرض خربة باد أهلها ، وكل أرض لم يوجف عليها بخيل ولا ركاب ، وكل أرض سلمها أهلها من غير قتال ، ورؤوس الجبال وبطون الأودية والموات التي لا أرباب لها ، والأجام وصوافي الملوك وقطايعهم غير المغصوبة ، وميراث من لا وراث له ، والغنائم المأخوذة بغير إذن الامام ، فهذه كلها هي الأنفال .

وفي كل منها شرح واف في الفقه عن مصادر وجوب أخذه ، ومصادر وجوب انفاقه .

ونعود نتساءل ، هل تنهىٰ النصوص الواردة في وجوب الانفاق في غير ذلك ؟ وهل أن المال في الشرع الاسلامي لصاحبه يتصرف به تصرفاً مطلقاً دون أن يراعي فيه بعد اعطاء الفروض المارة ولا يكون فيه اثماً ، أو يكون فيه غير أثـم ومؤجراً . ونحن لا نستطيع القول في ذلك حتى نسرد جملة من الآيات القرآنية والأحاديث النبوية التي توضح لنا الهدف الذي يرمي إليه الشرع الاسلامي في الأموال واستعمالها ، أو جمعها ، أو احتكارها ، وطرق جمعها ، وطرق انفاقها ، ودرجة الحقوق المترتبة له وعليه في ذلك . فاضافة إلى الآيات الثلاثة المارة ، نرجع إلى آيات المواريث :

قوله تعالىٰ : ﴿للرجال نصيبٌ مما ترك الوالدان والأقربون ...﴾ . الآية (٧) من سورة النساء .

وفي قوله تعالىٰ : ﴿والذين يكنزون الذهب والفضة ولا ينفقونها في سبيل الله فبشّرهم بعذاب أليم﴾ . الآية (٣٤) من سورة التوبة .

وقوله تعالىٰ : ﴿يومَ يُحمىٰ عليها في نار جهنم فتكوىٰ بها جباههم وجنوبهم وظهورهم هذا ما كنزتم لأنفسكم فذوقوا ما كنتم تكنزون﴾ . الآية (٣٥) من سورة التوبة .

وقوله تعالىٰ : ﴿ولا تجعل يدك مغلولةً إلى عنقك ولا تبسطها كل البسط فتقعد ملوماً محسوراً﴾ . الآية (٢٩) من سورة الاسراء .

وقوله تعالىٰ : ﴿والذين إذا انفقوا لم يُسرفوا ولم يقتروا وكان بين ذلك قواما﴾ . الآية (٦٧) من سورة الفرقان .

وقوله تعالىٰ : ﴿الذين ينفقون أموالهم في سبيل الله ثم لا يتبعون ما أنفقوا مناً ولا أذىً لهم أجرهم عند ربهم﴾ . الآية (٢٦٢) من سورة البقرة .

وقوله تعالىٰ : ﴿يا أيها الذين آمنوا لا تبطلوا صدقاتكم بالمن والأذىٰ﴾ . الآية

(٢٦٤) من سورة البقرة .

وقوله تعالىٰ : ﴿والذين ينفقون أموالهم رئاء الناس﴾ . الآية (٣٨) من سورة النساء .

وقوله تعالىٰ : ﴿قولٌ معروف ومغفرةٌ خيرٌ من صدقة يتبعها أذىً﴾ . الآية (٢٦٣) من سورة البقرة .

وقوله تعالىٰ : ﴿مثل الذين ينفقون أموالهم في سبيل الله كمثل حبة أنبتت سبع سنابل في كل سنبلة مئة حبة﴾ . الآية (٢٦١) من سورة البقرة .

وقوله تعالىٰ : ﴿ومثل الذين ينفقون أموالهم ابتغاء مرضاة الله﴾ . الآية (٢٦٥) من سورة البقرة .

وقوله تعالىٰ : ﴿إن الذين كفروا ينفقون أموالهم ليصدوا عن سبيل الله﴾ . الآية (٣٦) من سورة الأنفال .

وقوله تعالىٰ : ﴿قل لعبادي الذين آمنوا يقيموا الصلاة وينفقوا مما رزقناهم سراً وعلانية﴾ . الآية (٣١) من سورة ابراهيم .

وقوله تعالىٰ : ﴿يا أيها الذين آمنوا انفقوا من طيبات ما كسبتم﴾ . الآية (٢٦٧) من سورة البقرة .

وقوله تعالىٰ : ﴿ليس البر أن تولوا وجوهكم قِبَل المشرق والمغرب ولكن البرّ من آمن بالله واليوم الآخر والملائكة والكتاب والنبيين وآتىٰ المال علىٰ حبّه ذوي القربىٰ واليتامىٰ والمساكين وابن السبيل والسائلين وفي الرقاب وأقام الصلاة واتى الزكاة والموفون بعهدهم إذا عاهدوا﴾ . الآية (١٧٧) من سورة البقرة .

ان في المال حقاً غير الزكاة طبق الآية ، عن رسول الله ﷺ من طريق فاطمة بنت قيس . راجع بذلك سنن البيهقي ج ٤ ص ٨٤ ، وأحكام القرآن للجصاص ج ١ ص ١٥٣ ، وتفسير القرطبي ج ٢ ص ٢٢٣ ، وتفسير ابن كثير ج ١ ص ٢٠٨ .

وشرح سنن ابن ماجة ج ١ ص ٥٤٦، وتفسير الشوكاني ج ١ ص ١٥١، وتفسير الآلوسي ص ٤٧٢. أخرجه الترمذي وابن عدي وابن مردويه والدار قطني وابن جرير وابن أبي حاتم.

وقوله تعالىٰ: ﴿**لن تنالوا البرّ حتىٰ تنفقوا مما تحبون**﴾. الآية (٩٢) من سورة آل عمران.

وقوله تعالىٰ: ﴿**يسألونك ماذا ينفقون قل ما أنفقتم من خير فللوالدين والأقربين واليتامىٰ والمساكين وابن السبيل**﴾. الآية (٢١٥) من سورة البقرة.

كما أخرج ذلك أبو عبيد في الأموال ص ٣٥٨.

وان بنظر كثير من المفسرين كمذهب طاووس والشعبي: ان في المال حقوقاً غير الزكاة، مثل بر الوالدين وصلة الرحم وقرى الضيف.

وأخرج في ص ٣٥٣ عن ابن أبي حاتم من طريق ثوبان مرفوعاً: **ما من رجل يموت وعنده أحمر أو أبيض إلّا جعل الله بكل قيراط صفحة من نار يكوىٰ بها من قدمه إلى ذقنه**.

وذكر عن أبي يعلىٰ من طريق أبي هريرة عن النبيﷺ: **لا يوضع الدينار علىٰ الدينار، ولا الدرهم علىٰ الدرهم، ولكن يوسع جلده: ﴿فتكوىٰ بها جباههم وجنوبهم وظهورهم هذا ما كنزتم لأنفسكم فذوقوا ما كنتم تكنزون﴾**. الآية (٣٥) من سورة التوبة.

وأخرج احمد في مسنده ج ١ ص ٣٠٠، والخطيب البغدادي في تاريخه ج ٤ ص ٣٩٦، وابن سعد في طبقاته: عاشﷺ كما فما عرفت ومات ولم يدع ديناراً ولا درهماً ولا عبداً ولا أمة ولا شاة ولا بعيراً، وترك درعه رهناً عند يهودي بثلاثين صاع من شعير.

ومن المضحك أن الخضري واحمد أمين نسبوا الشيوعية لأبي ذر وانه أخذها

من عبدالله بن سبأ استناداً إلى روايات الطبري المأخوذة عن السري، عن شعيب، عن سيف، عن عطية، عن يزيد الفقعسي، وقد ثبت كذبهم ودسهم وان عبدالله بن سبأ وقصته حكاية خيالية.

راجع في ذلك كتاب العلامة أبو رية (أضواء على السنّة المحمدية) وكتاب عبدالله بن سبأ للمحقق الضليع السيد مرتضىٰ العسكري.

أخرج الطبراني في الأوسط والصغير، كما جاء في الترغيب والترهيب ج ١ ص ٢١٣ و ص ٢٥٦، مرفوعاً إلى النبي ﷺ: **ان الله فرض علىٰ اغنياء المسلمين في أموالهم بقدر الذي يسع فقرائهم، ولن يجد الفقراء إذا جاعوا وعروا إلاّ بما يصنع أغنيائهم، ألا وان الله يحاسبهم حساباً شديداً ويعذبهم عذاباً أليماً.**

اقول: إنما يراد في الخمس والزكاة ومال الأنفال الواجب دفعه ويضاف له البر والاحسان المندوب عند الضرورة، ومنه بر الوالدين وغيرها.

ومنع الشكوىٰ والسؤال منعاً باتاً: كما جاء في الترغيب والترهيب ج ١ ص ٢٣٣، عن أبي داود والبيهقي، قوله ﷺ: **ان المسألة لا تصح إلاّ لثلاث: لذي فقر مدقع، أو لذي غرم مفظع، أو لذي دم موجع.**

وما جاء في صحيح البخاري ج ٣ ص ٣٤، وصحيح مسلم ج ٣ ص ٩٧، وسنن البيهقي ج ٤ ص ١٩٥، والترغيب والترهيب ج ١ ص ٢٣٣ قوله ﷺ: **لان يأخذ أحدكم حبلاً فيأتي الجبل فيجيء بحزمة من حطب علىٰ ظهره فيبيعها فيستغني بها خير له من أن يسأل الناس، اعطوه أو منعوه.**

وجاء في سنن البيهقي ج ٤ ص ١٨٢، كما أخرج مسلم عن أبي سعيد الخدري عنه ﷺ: **من كان معه فضلٌ من ظهر فليعد به علىٰ من لا ظهر له، ومن كان عنده فضل من زاد فليعد به علىٰ من لا زاد له.**

وأخرج أحمد في مسنده ج ٥ ص ١٥٤ و ١٦٧ و ١٧٨، وصحيح مسلم ج ٣

ص ٨٢ ، وسنن البيهقي ج ٤ ص ١٨٨ ، عنه ﷺ : على كل نفس في كل يوم طلعت الشمس صدقة عنه على نفسه ، فسئل : يا رسول الله : من أين اتصدق وليس لنا أموال ؟ قال : لأن من أبواب الصدقة . التكبير ، وسبحان الله ، والحمد لله ، ولا إله إلّا الله واستغفر الله ، وتأمر بالمعروف وتنهىٰ عن المنكر ، وتعزل الشوكة عن طريق الناس ، والعظم والحجر ، وتهدي الأعمىٰ ، وتسمع الأصم والأبكم حتىٰ يفقه ، وتدل المستدل علىٰ حاجة له ، وقد علمت مكانها ، وتسعىٰ بشدة ما فيك إلى اللهفان المستغيث ، وترفع بشدة ذراعيك مع الضعيف ، كل ذلك من أبواب الصدقة منك علىٰ نفسك .

من آداب البر والانفاق قوله تعالىٰ في سورة البقرة الآية (٢٦٧) : ﴿يا أيها الذين آمنوا انفقوا من طيبات ما كسبتم ومما أخرجنا لكم من الأرض ولا تيمموا الخبيث منه تنفقون﴾ .

والآية (٩٢) من سورة آل عمران قوله تعالىٰ : ﴿لن تنالوا البر حتىٰ تُنفقوا مما تحبون وما تنفقوا من شيء فإن الله به عليم﴾ .

والآية (١٠) من سورة الضحىٰ قوله تعالىٰ : ﴿وأما السائل فلا تنهر﴾ .

والآية (٢٦٤) من سورة البقرة قوله تعالىٰ : ﴿يا أيها الذين آمنوا لا تبطلوا صدقاتكم بالمن والأذىٰ كالذي ينفق ماله رئاء الناس ولا يؤمن بالله واليوم الآخر فمثله كمثل صفوان عليه ترابٌ فأصابه وابل فتركه صلداً لا يقدرون علىٰ شيء مما كسبوا﴾ .

والآية (٢٦٢) من سورة البقرة ، والآية (٢٦٣) منها ، قوله تعالىٰ : ﴿الذين ينفقون أموالهم في سبيل الله ثم لا يتبعون ما أنفقوا مناً ولا أذىً لهم أجرهم عند ربهم ولا خوفٌ عليهم ولا هم يحزنون﴾ .

وقوله تعالىٰ : ﴿قولٌ معروفٌ ومغفرةٌ خيرٌ من صدقةٍ يتبعها أذىً والله غني

حليم﴾.

وجاء في إحياء العلوم ج ١ ص ٢٢٢ ، قوله ﷺ : **لا يقبل الله من مسمع ، ولا مراءٍ ، ولا منان ، والمتحدث بصدقته يطلب السمعة ، والمعطي في ملأ من الناس يبغي الرياء.**

وفي تفسير ابن كثير مرفوعاً : **لا يدخل الجنة عاق ، ولا منان ، ولا مدمن خمر .**

الناس مسلّطون على أنفسهم وأموالهم .

فمن مجموع ما نرىٰ ، ان الله فرض في الأموال أحكاماً مجملة اكملتها السنّة تفصيلاً ، كما جاء في آية الزكاة ، والخمس ، والفيء ، فوضع بها شروطاً وحدوداً وأحكاماً في أخذها ، ومن ثم توزيعها لسد حاجة الأفراد وعوز الدولة ، وقد وضع لكل منها نصاباً في الزكاة والخمس لأخذها وشروطاً وحدوداً لتوزيعها . وترك بعدها للأفراد أن يكونون مسلّطين علىٰ أنفسهم وأموالهم .

بيد هناك فروض أخرىٰ وتكاليف جاءت في الكتاب والسنّة في أداء الحقوق ، منها فريضة واجبة ، ومنها مندبة ، ومنها يفرضها الشرع فرضاً اخلاقياً ، وفروضاً اجتماعية : كالانفاق علىٰ العيال مطلقاً ، فالأولاد صغاراً وكباراً فقراء ، فالأبوين فالأقربون ، الأقرب فالأقرب إذا كانوا فقراء ، والجيران ، وبعدهم الأقرب فالأقرب من المسلمين الفقراء والمساكين والأيتام وابن السبيل والمغرمين والضيوف .

فالواجب الانساني يفرض وجدانا كانسان يحمل المشاعر الانسانية ، وهو في غنىً وله ثروة اضافية ، وهناك من هو بحاجة من أبناء جلدته إلى ما يسد به رمقه جوعاً ، أو يقي نفسه شتاءً ، أو من عوارض وكوارث الطبيعة ، وبحاجة كمريض أو جريح ، أو علىٰ شرفات الموت لمساعدات نقدية أو غذائية أو بدنية ، كغريق أو منكوب ، أو في حالة خطرة من نار أو هدم أو حيوانات ضارية ، وما لا يعد ولا يحصىٰ من الحاجة الماسة التي يجب علىٰ أفراد البشر وأخص منها العقيدة

الاسلامية لمديد المساعدة لانقاذ أخيه الانسان، أخيه المسلم من تعاسته وشقائه بدرجة انقاذه من الجوع، ومن العري، ومن المصائب، ومن الغرق، ومن الحريق، ومن الجهل، ومن المرض، ومن كلما يشقيه، وما يجلب له السعادة، المؤمن للمؤمن كالبنيان المرصوص يشد بعضه بعضاً، وقوله ﷺ: **«حب لأخيك المؤمن ما تحبه لنفسك، واكره له ما تكره لها»**.

وعدى ما ذكرنا من الآيات والروايات، فهناك الآيات الجمة التي جاءت في كتاب اللّٰه الحاكمة، من بذل النفوس والأموال في الجهاد والدفاع، جهاد الأعداء في ساحات الحروب، وجهاد الأعداء من النفوس الخبيثة، ومنها جهاد المرء نفسه الأمارة بالسوء، وربما كان لكل جهاد حدوداً من الانفاق، بالنفس والمال.

فالحدود الأصلية في الاسلام في الأموال كما ذكرنا في الخمس والزكاة، ولكن انفاق المرء في البر والاحسان في غير تلك الموارد قد يبلغ أحياناً نفس درجة الوجوب، وان لم يكن في كثير من الأحيان واجب، فالخمس والزكاة مهما تطورت الحياة الاقتصادية وتحسنت، بحيث لا تجد مريضاً أو فقيراً أو سائلاً أو ابن سبيل، أو غير ذلك، بيد أن تقديم الخمس والزكاة يجب أن تقدم إلى مولىٰ الشرع، رغم كل ذلك، لأنه فرض إذا كمل حد النصاب في الأموال المفروض عليها التكليف.

بيد في ما عداها ليست فروض دائمية إلّا إذا وجدت، فهناك يكون المرء مكلفاً سد عوز المسكين والفقير والمريض ومستحق المساعدة المادية والمعنوية، والمادية المالية أو المساعدات النفسية واليدوية والمعنوية، من الارشادات والهدايا والنصح والتعليم: من الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وربما كانت أحياناً أوجب الواجبات الملقاة علىٰ كاهل الانسان، وكل انسان في حياته عليه تكاليف جمة انسانية.

قوله ﷺ : كلكم راعٍ وكلكم مسؤول عن رعيته» .

وقوله تعالىٰ : ﴿ولتكن منكم أمة يدعون إلى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر واولئك هم المفلحون﴾ . الآية (١٠٤) من سورة آل عمران .

وقوله تعالىٰ : ﴿ليس البر أن تولوا وجوهكم قبل المشرق والمغرب ولكن البر من آمن بالله واليوم الآخر والملائكة والكتاب والنبيين وآتىٰ المال علىٰ حبه ذوي القربىٰ واليتامىٰ والمساكين وابن السبيل والسائلين وفي الرقاب وأقام الصلاة وآتىٰ الزكاة﴾ . الآية (١٧٧) من سورة البقرة .

فترىٰ ان البر في اتيان المال في الموارد المذكورة للمعوزين غير الزكاة .

وترىٰ وصايا رسول الله ﷺ وآيات الله كيف تحث المسلمين عليها باسم البر ، وكيف انها غير الخمس والزكاة الواجبة ولها الأثر العظيم باكتساب الثواب وخير الدنيا والآخرة .

وكيف أن التارك للخمس والزكاة له العقاب الصارم في الدنيا والآخرة .

هذه الآيات وغيرها حثت أبو ذر وهو يرىٰ أن الخليفة بعيد كل البعد عن جباية الصدقات والخمس والزكاة وتوزيعها علىٰ مستحقيها من ذوي الفاقة ، بل العكس يرىٰ توزيعها علىٰ أخبث أفراد الأمة واشقىٰ أفرادها من بني عمه ، وأفراد الأمة ومستحقيها في العوز والفاقة ، ويرىٰ ويسمع أن ذرية رسول الله ﷺ ، وأبوهم وصي رسول الله وأخوه لا حول له ولا قوة أمام هذه الطغمة المتغلبة من بني أمية المردة . لذا جاهد في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر مرة مع الخليفة ، وأخرىٰ مع بني أمية ، أمثال معاوية ، وثالثة علىٰ الصحابة الآخرين ، ورابعة لاثارة الوعي العام ، مضحياً بكل ما عنده من نفس ومال ، وهو يعلم حق العلم لو أراد دنياهم وصافقهم ووافقهم لنال مثل غيره ، وهو رغم كل ذلك إنما أراد اقامة أحكام الكتاب وسنن رسول الله الكريم ﷺ ولكن :

لقــد اســمعت إذ نــاديت حــياً   ولكــن لا حــياة لمــن تــنادي

إذ هيهات أن يسمع الصم البكم الذين لما يدخل الايمان نفوسهم ، وقد ظهرت نتيجة أفعالهم وأعمالهم وأقوالهم وسلوكهم ، والطينة السوداء من لؤمـها هـيهات تبيض سجاها .

ومن خبث لا يخرج إلاّ نكدا ، والظالمين بعضهم أولياء بعض يأمرون بالمنكر وينهون عن المعروف .

النتيجة :

هل كان أبو ذر مخذولاً أم منتصراً ؟ نعم وان خذل أبو ذر وانتصر آل أمية في الحال ، ولكنه انتصر وخذلوا لاحقاً ، وكأنها لحظات فاين قبورهم ومصائرهم ؟ وأين آثارهم وديارهم ؟

وهذا أبو ذر الصحابي العظيم الذي عاش وحيداً ومات وحيداً تنثر على روحه الرحمات وآلاف من رحماته الطيبات ، وأسكنه جناته ، وويل للذين ظلموا مما جنت أيديهم ، وتعساً لهم ان كانت انتهت بقتل عثمان وقيام المسـلمين وعـودة جميع أمواله لبيت مال المسلمين ، ومنع المسلمين ان يدفن إلاّ في مقابر اليهود .

وإذا كان أحد يعرف مثواه بيد ويل لمعاوية ومروان وآل أمية الذيـن يـجهل المسلمون مثواهم ومقرهم ، ولا يشك مؤمن بالله ومسلم إلاّ وأنهم في اتعس درك من جهنم ، رحم الله ابن العدوي حيث يقول :

ان اهــنى عــيشة قــضيتها   ذهــبت لذاتــها والاثــم حــل

٣ ـ عمار بن ياسر

عمار بن ياسر وأمه سمية ، وقد أسلم هو وأبوه وأمه ، فقتلت قريش أباه وأمه شر قتلة ضرباً بعد تعذيبهما ، وهما أول قتيلين قتلاً في الاسلام ، وأما عماراً فبعد أن بالغوا في أذاه أرادوا قتله فأعطاهم ما أرادوا بلسانه مكرهاً ، فاخبر النبي ﷺ

بأن عمار كفر ، فقال : **كلّا إلّا إن عمار ملئ ايماناً من قرنه إلى قدمه ، وأخلط الايمان بلحمه ودمه** . فأتىٰ عمار سول اللّهﷺ يبكي فجعل رسول اللّه يمسح عينيه وقال : **ان عادوا لك فعد لهم بما قلت** فانزل اللّه هذه الآية : ﴿**الّا من أُكره وقلبه مطمئن بالايمان**﴾ . الآية (١٠٦) من سورة النحل .

وقد أجمع علىٰ ذلك المفسرون ، راجع بذلك أبو عمر في الاستيعاب ، وابن حجر في الاصابة ، والقرطبي ، وابن المنذر ، وابن حاتم ، وابن مردويه ، والطبري ، والبيهقي ، وابن عساكر ، من عدة طرق ، كابن عباس وعبد الرزاق وابن جرير وغيرهم .

كما نزلت في عمار آيات كثيرة منها الآية (٩) من سورة الزمر قوله تعالىٰ : ﴿**أمن هو قانت آناء الليل ساجداً وقائماً يحذر الآخرة**﴾ .

ذكره الزمخشري في تفسيره ، كما جاءت في طبقات ابن سعد وابن مردويه وابن عساكر وتفسير القرطبي وتفسير الخازن وتفسير الخطيب الشربيني والشوكاني والآلوسي .

كما نزلت فيه وبلال وخباب وصهيب الآية (٥٢) من سورة الأنعام ، قوله تعالىٰ: ﴿**ولا تطرد الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي يريدون وجهه ما عليك من حسابهم من شيء**﴾ .

وآية أخرىٰ فيه وفي الوليد بن المغيرة الآية (٦١) من سورة القصص ، قوله تعالىٰ : ﴿**أفمن وعدناه وعداً حسناً فهو لاقيه كمن متعناه متاع الحياة الدنيا ثم هو يوم القيامة من المحضرين**﴾ .

كما نزلت فيه الآية (١٢٢) من سورة الأنعام ، قوله تعالىٰ : ﴿**أو من كان ميتاً فاحييناه وجعلنا له نوراً يمشي به في الناس**﴾ .

وأنك إذا راجعت التفاسير أُخص منها الاستيعاب ، وتفسير ابن جزي ، وابن

كثير ، والبيضاوي ، والسيوطي ، والخازن ، ومن مر ذكرهم ، وطبقات ابن سعد ، وتفسير الطبري والقرطبي والزمخشري والبيضاوي والرازي والنيسابوري والخازن وأسباب النزول للواحدي ومستدرك الحاكم وبهجة المحافل والدر المنثور .

وأما ما ورد فيه عن رسول الله ﷺ فحدث ولا حرج في ايمانه العميق المختلط بلحمه ودمه ، ومن قرنه إلى قدمه ، وجاء من مراجع عديدة وطرق متعددة . راجع بذلك تفسير الآلوسي والزمخشري والبيضاوي والرازي والخازن ، وحلية الأولياء ، وكنز العمال ج ٦ ص ١٨٤ ، وج ٧ ص ٧٥ ، وابن عساكر والبزاز ومجمع الزوائد للهيثمي ج ٩ ص ٢٩٥ ، وابن ماجة ج ١ ص ٨٧ ، والنسائي والبداية والنهاية والطبراني وابن جرير وابن عساكر كما في كنز العمال ج ٦ ص ١٨٤ ، والاستيعاب لابن عمر ج ٢ ص ٤٣٥ ، وحلية الأولياء ج ١ ص ١٣٩ والاصابة .

كما ورد في عدة مصادر : **ان الحق مع عمار وعمار مع الحق اينما دار ، وقاتل عمار في النار** ، وقد جاءت هذه بألفاظ مختلفة ونفس المعنىٰ . راجع بذلك الطبراني وطبقات ابن سعد ج ٣ ص ١٨٧ ط ليدن ، والبيهقي والحاكم وتاريخ ابن كثير ج ٧ ص ٢٧٠ والجامع الكبير للسيوطي ج ٦ ص ١٨٤ ، والاستيعاب لابن عمر ج ٦ ص ٤٣٦ ، وابن ماجة ومسند احمد ج ١ ص ٣٨٩ و ج ٦ ص ١١٣ ، وسنن ابن ماجة ج ١ ص ٦٦ ، ومصابيح البغوي وتفسير القرطبي وتيسير الوصول وشرح ابن أبي الحديد والاصابة وكنز العمال .

وأخرج احمد في مسنده من عدة طرق : **من عاد عمار عاداه الله ، ومن أبغض عمار أبغضه الله ، ومن يسب عمار يسبه الله ، ومن يسفّه عمار يسفّهه الله ، ومن يحقّر عمار يحقّره الله .**

وعلىٰ اختلاف الفاظ هذا الحديث أخرجه جمع من الحفاظ والكتاب كالحاكم

في مستدركه ج ٣ ص ٣٩٠ و ٣٩١، والخطيب في تاريخه، واحمد في مسنده ج ٤ ص ٨٩، وجاء في أسد الغابة والاستيعاب وتاريخ ابن كثير والاصابة وكنز العمال، وغيرهم.

ان ما ذكرناه هو النزر اليسير عن فضائل هذا العبد الصالح عمار بن ياسر المجاهد الكبير، بيده ولسانه وسمعه وبصره الآمر بالمعروف والناهي عن المنكر والذاب عن دين اللّٰه حتىٰ نقله إلى جواره، أيسوغ لأحد أن يوجه له اللوم، عدىٰ ان يسبه ويهينه ويضربه حتىٰ يغمىٰ عليه؟ وأخرىٰ حتىٰ يحصل له الفتق، وأشد من ذلك وأعظم.

وسأقص عليك ما عمله معه الخليفة الثالث جزاءً لوعظه وارشاده ونصيحته وذبه عن حياض الدين، وأمره بالمعروف ونهيه عن المنكر.

هذا عثمان لم يأل جهداً من العداء والسب والنكال بالصحابة المقرّبين البررة ومعاملتهم أبشع معاملة لدرجة القتل دون استثناء، كعمار وأبي ذر والمقداد وابن مسعود، وحتىٰ العشرة المبشرة، وحتىٰ اعضاء الشورىٰ وأخص منهم عبد الرحمن بن عوف صهره، وسعد بن أبي وقاص صهر عبد الرحمن اللذين كانا وحدهما المسؤولان عن هذه الفتنة بعد عثمان لانتخابه خليفة، وهما يعرفانه بتأثير العصبية الجاهلية، وحس الطمع، وضعف النفس فحرمهما اللّٰه من ذلك حتىٰ كانا بين محرض علىٰ عزله وقتله كعبد الرحمن، ومخذل له كسعد.

وأخرج البلاذري في انسابه في عدة أماكن منها ج ٥ ص ٤٨ و ٤٩ و ٥٤ و ٨٨ وابن أبي الحديد في شرح نهج البلاغة ج ١ ص ٢٣٩ كما جاء في الاستيعاب ج ٢ لأبي عمر، كما ذكر ذلك ابن أبي قتيبة، وابن عبد ربه في العقد الفريد ج ٢ ص ٢٧٢، وطبقات ابن سعد ج ٣ ص ١٨٥ وغيرهم.

مما وقع بين عثمان وعمار ولا ترىٰ في احداها إلّا عثمان ظالماً له وعماراً

ناصحاً لله ولدينه براً تقياً آمراً بالمعروف لا تأخذه في الله لومة لائم ، حتىٰ قتلته الفئة الباغية : معاوية وبني أمية والسفهاء من شيعتهم في حرب صفين فثبت بذلك قول رسول اللهﷺ فيه : **تقتلك الفئة الباغية** .

ومن الوقائع التي اشرنا إليها والتي ذكرنا ورودها من قبل الكتاب والحفاظ ، انه لما كثرت منكرات عثمان وتجاوزاته في أموال المسلمين وظلم ولاته من بني أمية وخروجه عن حدود الكتاب وتبديله وتغييره ، اجتمع جمع من كبار الصحابة بينهم طلحة والزبير وعمار وغيرهم وحرروا لعثمان أفعاله المنكرة وتحديه الكتاب والسنّة يطلبون منه التوبة والعودة ، ونصحه وارشاده ، وهمهم وصول الكتاب ومن سيوصله لعثمان ، فتقدم لها ابن ياسر المعروف بتصلبه للدين واخلاصه ، حتىٰ إذا تلاه عثمان ، أمر بغلمانه فمدوه وأخذ يضربه بقدمه علىٰ مذاكيره حتىٰ اغمي عليه واصيب بالفتق .

واخرىٰ ان عثمان استعمل حلي بيت المال للزينة فاعترض عليه ، وصعد المنبر وقال : انه مال الله وانه يستعمله رغم أنف من رغم ، وحينما قال عمار انه هو أول من رغم أنفه أمر بضربه حتىٰ غشي عليه فانكر عليه جميع الصحابة وأمهات المؤمنين وجميع المسلمين فعله .

وأنت أيها القارئ الكريم طالعت ما نزل من الله في عمار من الآيات في مدحه وما وصفه به رسول اللهﷺ وكيف ان الله يبغض مبغضه ويؤذي مؤذيه ، وانه يدور مع الحق والحق يدور معه ، وان عمار الطيب المطيب .

ولم تكن هذه إلّا بعض أفعال عثمان مع عمار ، وقد مر ظلمه مع أبي ذر وابن مسعود وغيره ولم يكن عثمان جاهلاً قدر عمار وبقية الصحابة الذين هتك حرمتهم متعمداً انانية وتعمداً وتحزباً لبني أمية الطلقاء الفجرة .

وهاك ما رواه الطبراني وجاء في مجمع الزوائد ج ٩ ص ٢٩٣ ، والبغوي

والخطيب واحمد وابن عساكر وما جاء في كنز العمال ج ٦ ص ١٨٥ والعقيلي والحاكم في الكنىٰ وابن الجزري عن طريق عثمان وجابر قول رسول اللهﷺ : **اصبروا آل ياسر ، موعدكم الجنّة** . وقوله : **اللّهم اغفر لآل ياسر ، وقد فعلت .**

وعن عثمان أيضاً وعن معاوية : **تقتل عمار الفئة الباغية . وان قاتل عمار في النار** . وهذا الخبر ورد عن عائشة والصحابة كأنس ، وحذيفة ، وربح بن سمية ، وعمرو بن العاص ، وعبدالله بن عمر ، ومعاوية ، وعثمان نفسه ، وخزيمة ، وأبي هريرة الدوسي ، وأبي سعد ، وأبي امامة ، وأبي قتادة ، وزيد بن أبي أوفىٰ ، وجمع غفير غيرهم ، تجده في الخصائص للسيوطي ج ٣ ص ٢٥٠ ط ٢ ، وطرح التثريب ج ١ ص ٨٨ ، وتيسير الوصول ج ٣ ص ٢٧٨ ، وشرح ابن أبي الحديد ج ٢ ص ٢٧٤ ، وطبقات ابن سعد ج ٣ ص ١٨٠ ، وسيرة ابن هشام ج ٢ ص ١١٤ ، ومستدرك الحاكم ج ٣ ص ٣٨٦ ـ ٣٩١ ، والاستيعاب ج ٢ ص ٤٣٦ ، وتاريخ ابن كثير ج ٧ ص ٢٦٧ ـ ٢٧٠ ، ومجمع الزوائد ج ٩ ص ٢٩٦ ، وجاء تواتره في تهذيب التهذيب ج ٧ ص ٤٠٩ ، وابن حجر في الاصابة ج ٢ ص ٥١٢ ، واخرجه احمد ، والشيخين ، البخاري ومسلم ، والدار قطني وأبو عوانة ، وابن منذر ، والبارودي والبرقاني وأبو يعلىٰ والاسماعيلي وغيرهم .

تلك خلاصة عن فضائل الصحابي الكبير ومعاملة عثمان له متعمداً وهو يعرف فضله وما نزل فيه عن الله ، وما أتىٰ فيه من الرسول الأعظم ، وبعد كل هذا ضربه لحد الموت حتىٰ الاغماء ، وتكرار ذلك كله مراراً إياه حتىٰ يقتل بالتالي بيد ابناء عمه .

وقد اعتبر الحفاظ والكتاب ان ما نقل بالتواتر عن قتل عمار بيد الفئة الباغية من المغيبات التي أخبر بها رسول اللهﷺ عن الله عزوجل ، والتي تثبت مكانة معاوية وفئته ومن حماه ولاذ به هو وآله .

وهذا عثمان في رأسهم الذي أقام أودهم وأمدهم وشجعهم وغير وبدّل وأصر علىٰ الخطيئة ، حتىٰ كفّره عمار ، وعمار مع الحق والحق معه يدور معه حيث دار .

وهذا مولىٰ عمار وسيده سيد العترة الطاهرة أميرالمؤمنين ووصي رسول اللّٰه والذي نزلت فيه المناقب والكرامات ، والذي يعرفه عثمان حق المعرفة ، ويعرف أن الخلافة فيه من اللّٰه ورسولهﷺ ، وأنه هو ومن نصبه ، ومن نصب من نصبه كلهم غاصبين ، ورغم ذلك يقدّم عليه مروان ذلك السافل الجلف اللعين الطريد من اللّٰه ومن رسوله ، والظالمين بعضهم أولياء بعض ، فاختر أيها القارئ واحكم بالحق ، ولا تنس قوله عزوجل : **﴿ولا تركنوا إلى الذين ظلموا فتمسكم النار﴾** . الآية (١١٣) من سورة هود .

٤ ـ المقداد بن عمرو :

وما ادراك ما المقداد ، وهو من أجل الصحابة وأقدمهم وأعظمهم ، والأتقياء البررة الذين لا تأخذهم في اللّٰه لومة لائم ، ومن الخلصاء والرفاق المؤمنين لرسول اللّٰهﷺ ، وكان من الأوابين بلسان رسول اللّٰهﷺ .

وهذا رسول اللّٰه يبلغ في مدحه إياه قوله : **إن اللّٰه أمرني بحب أربعة وأخبرني انه يحبهم : علي والمقداد وأبو ذر وسلمان** ، أخرجه الحاكم في المستدرك ج ٣ ص ٣٤٨ و ٣٤٩، وأبو عمر في الاستيعاب ج ١ ص ٢٨٩ ، وابن الأثير في أسد الغابة ج ٤ ص ٤١٠، وابن حجر في الاصابة ج ٣ ص ٤٥٥، والترمذي في جامعه.

وجاء في حلية الأولياء ، لأبي نعيم ج ١ ص ١٤٢ ، عن رسول اللّٰهﷺ : **ان الجنة تشتاق إلى أربعة : علي وعمار وسلمان والمقداد .**

هذا المقداد من المهاجرين الأقدمين ، الذين هاجروا الهجرتين ، وشهد بدراً وكل المشاهد الاخرىٰ ، وأول الفرسان المحاربين في بدر . راجع بذلك الاستيعاب لأبي عمر ، حيث قال انه المقداد أحد السبعة الذين اظهروا الاسلام

والنجباء الأربعة عشر ، وزراء رسول اللّٰه ورفاقه ، راجع المراجع أعلاه .

هذا الصحابي العظيم من الافذاذ الذين لم تؤثر عليهم مطامع الدنيا وبهرجها ، فاخلص للّٰه ولرسوله ، واتبع الكتاب ووصايا رسول اللّٰه ، وما انطلت عليه أعمال المغتصبون ، واخذوا به الأغيار فتابعوهم في أمر الدنيا وباعوا الآخرة .

وترىٰ ذلك في حديثه أيام الشورىٰ ، كما جاء به اليعقوبي في تاريخه ج ٢ ص ١٤٠ يوم بويع عثمان ، حتىٰ قيل عنه قائل : دخلت مسجد رسول اللّٰه فرأيت رجلاً جاثياً علىٰ ركبتيه يتلهف تلهّف من الدنيا كانت له فسلبها وهو يقول : واعجباً لقريش ودفعهم هذا الأمر عن أهل بيت نبيهم ، وفيهم أول المؤمنين ، وابن عم رسول اللّٰه ، أعلم الناس وافقههم في دين اللّٰه ، وأعظمهم عناءً في الاسلام ، وأبصرهم بالطريق ، وأهداهم الصراط المستقيم ، واللّٰه لقد ردوها عن الهادي المهتدي الطاهر النقي ، وما أرادوا اصلاحاً للأمة ولا صواباً للمذهب ، ولكنهم اثروا الدنيا علىٰ الآخرة ، فبعداً وسحقاً للقوم الظالمين .

فدنوت منه فقلت : من أنت رحمك اللّٰه ؟ ومن هذا الرجل ؟ فقال : أنا المقداد ابن عمرو ، وهذا الرجل علي بن أبي طالب ، قال فقلت : ألا تقوم بهذا الأمر ؟ فاعينك عليه ! فقال ياابن أخي : ان هذا الأمر لا يجزي فيه الرجل ولا الرجلان . وعندما بايع عبد الرحمن عثمان بالخلافة ، قال عليّ حبوته محاباة ليس ذا بأول يوم تظاهرتم فيه علينا ، أما واللّٰه ما وليت عثمان إلّا ليرد الأمر إليك وبعد فقال : قال المقداد : أما واللّٰه لقد تركته من الذين يقضون بالحق وبه يعدلون ، وبعد كلام قال المقداد : ما رأيت مثل ما اوتي أهل هذا البيت بعد نبيهم ، ولا اقضىٰ منهم بالعدل ، ولا أعرف بالحق ، أما واللّٰه لو أجد أعواناً .

راجع بذلك الطبري في تاريخه ج ٥ ص ٣٧ ، والكامل لابن الاثير ج ٣ ص ٢٩ و ٣٠ ، وشرح ابن أبي الحديد ج ١ ص ٦٥ ، والعقد الفريد لابن عبد ربه ج ٢ ص ٦٠ .

ولم يكن المقداد وحده من الصحابة المتذمرين لتولية عثمان وهو يعرفه ويعرف محاباة عبد الرحمن له ، وقد وجدنا عبد الرحمن الذي كما قال مولانا أمير المؤمنين علي عليه السلام انه انتخبه محاباة ليعود الامر له ووجد أن عثمان انصرف بها لآل أمية ، أخذ يدعو إلى قتاله وعزله . وقد انطبق عليه المثل : من أعان ظالماً سلطه الله عليه ، حتىٰ خاطبه عثمان ورماه بالنفاق ، وحق له ذلك ، وهكذا نعرف جهاد الصحابة ضد عثمان وصدق نظرهم فيه ، وانه سبب الفتنة ، هو ومن أعانه ، والظالمين بعضهم أولياء بعض .

ومن أعمال عثمان تسفيره خيار الأمة ونفيها

نعم تسفير خيار الأمة ونفيها عن أوطانها ، كما فعل مع سيد الأمة بعد رسول الله صلى الله عليه وآله علي عليه السلام أميرالمؤمنين ، كما مر ، وأبو ذر وخيار الكوفة إلى الشام ، إلى معاوية ، ومعاملتهم كمجرمين بيد عماله الفجرة .

والمسيرون المنفيون صلحاء القوم وساداتهم ، أمثال : مالك بن الحارث الأشتر النخعي ، وزيد وصعصعة أبناء صوحان العيديان ، وعائذ بن حملة الطهوري التميمي ، وكميل بن زياد النخعي ، وجندب بن زهير الأزدي ، والحارث بن عبد الله الأعور الهمداني ، ويزيد بن المكفف النخعي ، وثابت بن قيس بن المنقع النخعي واصغر بن قيس بن الحارث الحارثي وهم قراء أهل الكوفة وأخيارها والمتكلمون .

هؤلاء القوم الذين وجدوا والي عثمان عليهم وهو سعد الأموي ليس له تلك اللياقة والأهلية ، مما اعابوا علىٰ الخليفة ذلك ، وهذا أغرىٰ عثمان بهم ، فهددهم عثمان وأمر بتسييرهم إلى الشام ، إلى معاوية ، وهذا بعد حبسهم واطلاقهم وجدهم ذوي كفاءة ومنطق ، فخاف علىٰ الشام منهم ، فكتب لعثمان خوفه منهم فأمر بنفيهم إلى حمص وقبل أعادهم إلى الكوفة ورجع ونفاهم لحمص تحت كبت

واليه عبد الرحمن بن خالد بن الوليد .

وهكذا يرىٰ أعاظم الصحابة وزعماء المسلمين وقرائهم وعلمائهم وأبرارهم واتقيائهم علىٰ مرأى الكل ومسمعهم اصبحوا ـ تحت ارهاق وزجر وقسر الخليفة ـ العوبة محقرة مهانة تتلقفها كيفما شاءت أوغاد بني أمية وصبيانهم وفجارهم الذين اصبحوا ولاة الأمر ومشاوري الخليفة المقربين لا يهمهم معالم الدين ولا يحسبون لأموال وأملاك ونفوس وأعراض ومعتقدات المسلمين مهما بلغوا من سابقة وشجاعة وتضحية وعلم وتقوىٰ ومكانة مرموقة بنظر العالم الاسلامي إلّا ويجب أن تكون آلة منقادة ، مطاعة من الوليد الفاجر السكير ، وسعيد الوغد الأرعن ، ومعاوية الفاسق المكار الذي ما عرف ـ مثل أبيه ـ الدين ولا بلغ أي جارحة من جوارحه ، وابن أبي سرح ، ومروان بن الحكم واخوته وأبوه وأبو سفيان اولئك الملاعين المبغوضين الطرداء الطلقاء .

وبغير ذلك فهم معرضين للشتم والسب والضرب واللكم والصفع والجلد والنفي والقتل دون رحمة وشفقة تصحبهم التهم باثارة الفتن والحزازات والكذب والنفاق.

هذه الصدمات المتتالية والآلام المتعاقبة اهابت المسلمين في الشرق والغرب والشمال والجنوب للتجمع في القلب والاستغاثة بأئمتهم ، وبالختام الاتحاد والتكتل لنزع الظلم وعزل الظالمين ، حتىٰ إذا بلغوا بغيتهم ابتلاهم اللّٰه بعصابات استغلت الفرصة لبلوغ مآربهم الدنية ، وإذ وجدوا أنهم أمام أعظم وأعدل وأشجع رجل لا في المدينة ولا في البلاد الاسلامية ولا في عصر من العصور ، بل هو مفخرة الدهر ومعجزة الدين الحنيف الذي قامت علىٰ يده واخلاصه وجهاده وفضائله ومزاياه اسس الاسلام وتقدمه ، وانه سيساويهم بغيرهم . وقد أعلن العدل والمساواة في المال والنفس وحق الأعلم والأتقىٰ والانزه والأبر والأسبق للتقدم

في الولاية والامامة والقضاء .

فهبت العصابات المنافقة وكشفت عن نواياها ، وكشرت عن أنيابها الخبيثة ، فأهابت بالسفهاء ، وبذلت الأموال المغتصبة من المسلمين عليهم ، لمحاربة الحق وتشتيت الأمة ، ولولا القدر المحتم بضربه أشقىٰ الأشقياء ابن ملجم لرأيت اليوم وجه البسيطة علىٰ غير ما هي عليه اليوم في الشرق والغرب ، فعلىٰ العصابة الأولىٰ الغاصبة في سقيفة بني ساعدة تقع أول تبعة ، والتي امتدت إلى الشورىٰ فالبصرة في حرب الجمل وصفين والنهروان ، وهكذا اصبحنا العوبة الدهر ومركز الفتن تتداولنا الأهواء ، وعادت ملوكية ليس للدين فيها غير الاسم والرسم ، ﴿وسيعلم الذين ظلموا أي منقلب ينقلبون﴾ .

آراء المسلمين في عثمان

١ ـ أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام :

وقد مرت فضائله ومقامه الأسمىٰ بعد رسول الله صلى الله عليه وآله في الجزء الأول والثاني من هذه الموسوعة . وقد اطبق علىٰ أسبقيته وفضله والصفات الفطرية والموروثة والمكتسبة فيه كأكمل وأحق فرد لادارة دفة أحكام المسلمين بعد رسول الله صلى الله عليه وآله .

وقد اثبتنا له تلك الأهلية بالكتاب والسنّة والعقل علماً وتجربة ، ولا نريد أن نعود لوصفه ثانية . هذا علي عليه السلام وصي رسول الله صلى الله عليه وآله وأخوه ونفسه وأبو ذريته وزوج بضعته وخليفته وأحب خلق الله لله ولرسوله ، وولي المؤمنين وباب مدينة علم رسول الله ، وهو وأولاده سفينة نجاة الأمة ، وهم الثقل الأصغر بعد كتاب الله ، وهو الصديق الأكبر والفاروق الأعظم . هذا علي الذي من كرهه فهو منافق فاسق وكافر ، ومن أحبه فهو مؤمن ، فهو الفارق بين المؤمن والمنافق ، هذا علي الذي قال فيه رسول الله انه أعدل الأمة وأقضىٰ الأمة والذي قال فيه صلى الله عليه وآله : لحمه لحمي

ودمه دمي ، هذا علي ربيب رسول اللهﷺ ودافع الكروب عن وجهه الطاهر من الرجس الزكي التقي البر الوفي قائد الأمة وأبو الأئمة .

هذا البطل المغوار في ساحة الحروب والزاهد البار امام اللّٰه ورسوله والمدير المختار في ادارته وعدالته ، والمنزه من الدنس والشنار ، ومعز البررة الأخيار ومذل المنافقين والفجار من شهد بفضله الأضداد وتسالمت علىٰ مكارمه وسبقته الأنداد . يتيمة الدهر ومعجزة الاسلام . الصابر في ذات اللّٰه والداعن الطائع لوصايا رسول اللّٰه في حياته وبعد مماته ، الغاضب للّٰه وحده والراضي بقضاء اللّٰه والباذل في وجه اللّٰه والمقيم أحكام اللّٰه والناصر لدين اللّٰه والقاهر أعداء اللّٰه.

نعم هذا عليعليه السلام ، وإذا ما طالعت الأيام الاولىٰ بعد وفاة رسول اللّٰهﷺ وما جرىٰ في السقيفة ، وقد مرت ، وكيف ضربوا بجميع وصايا رسول اللّٰه ، والتأكيد بوصاية علي وخلافته بعده في شتىٰ الأماكن والأزمنة منذ صباح يوم نزلت الآية : ﴿واتذر عشيرتك الأقربين﴾ ودعوتهم وتعيين علي وصياً وخليفة منذ صباه ، وأمرهم بطاعته إلى يوم غدير خم ذلك المشهد العظيم ، إلى ساعة مرضه الأخير وطلبه القلم والقرطاس ليكتب العهد ومنعه ، وما جرىٰ بعد وفاة رسول اللّٰهﷺ له من غصب حقه وحق زوجته الطاهرة فاطمة الزهراءعليها السلام فدك ، ومنع الخمس والزكاة عن أهل البيتعليهم السلام وارغامه علىٰ البيعة .

ورغم كل ذلك وما يراه من الكيد له ولآله وصحبه وبني هاشم من ابعادهم وتقوية أعدائهم وخصومهم من آل أمية وغيرهم ، من تعيين أبناء أبي سفيان لولاية الشام زمن أبي بكر ، ومنع أحاديث وسنن رسول اللّٰهﷺ من تدوينها ، وضرب الكثير وقسمهم باسم الردة وقد مر في الكتاب الثالث من الموسوعة تفصيلها وبعدها بسنتين ادلاء العهد إلى عمر وسيرته الخشنة في الصحابة ، كما مر في الكتاب الرابع ، والامام عليعليه السلام يرىٰ بام عينيه كيف ان عمر يجتهد في موقع

النص حتىٰ بلغ به الحد ، كما مر لايقاف النصوص القرآنية ، وهو كلما اضطر إلى حل مشكلة توسل إلى الامام علي وهو يعلم مقامه العلمي والقضائي والروحاني ولا يأبه ان يستعين به كما مر وان يخالفه كلما وجد ما فيه غاياته ومراميه السياسية ، مهدداً ومشدداً دون خوف أو حذر منه ، وهو القائل : عجزت النساء أن يلدن مثل ابن أبي طالب ، وهو القائل : لولا علي لهلك عمر ، وهو القائل : لو وليها لأقامكم علىٰ الصراط المستقيم ، وقد مرت باسنادها .

نعم رغم كل ذلك وهو يعرف مقام غيره ، وانه ليس هناك من يضاهي علياً في خصلة من خصاله مهما كانت السبقة ، والشجاعة ، والعلم ، وقربه من رسول اللّه ﷺ ، وما ورد فيه في الكتاب ، وما أوصىٰ به رسول اللّه ﷺ ، وفي عدله ، وفي تقواه ، وغيرها .

وإذا به لا يكتفي ان يحيلها إلى عثمان احالة محكمة ويخلق لعليّ اعداءً ، وخصوماً في كل مكان من أعضاء الشورىٰ ودونه معاوية وابن العاص وامثالهما.

وعمر رغم حذره بيد انه قد صرح وكنىٰ بكل ذلك ، وقد اخبر عثمان بعدم لياقته ، وانه سيوليها إلى آل معيط وبني أمية ، وانه سيقتل لسوء تصرفه ، بيد وهو يعلم حتىٰ لو قتل عثمان فهناك أمثال معاوية وعمرو بن العاص والمغيرة ، وهم ألد اعداء علي ، وهناك طلحة والزبير وعبد الرحمن بن عوف وسعد بن أبي وقاص الخصوم الجدد الذين خلفهم له ، اعضاء متساوين لعلي بالصوت بل واقوىٰ حينما أحال الصوت الأقوىٰ إلى عبد الرحمن بن عوف صهر عثمان ، وسعد صهر عبد الرحمن .

وهكذا نرىٰ عمر يتعمد بوضع نواة الفتنة الكبرىٰ في الاسلام ، حتى نمت بمجيء عثمان هذا الأموي الذي ما كاد يضع قدمه حتىٰ جمع حوله كل خصوم الاسلام من لعناء رسول اللّه وطردائه ، من المنافقين والفاسقين المتمردين ، بل

الكافرين الذين حسبوها ملوكية ، وماهي إلّا كرة عليهم الحفظ بها مهما كلفهم من مكيدة وحيلة وصرف بيت مال المسلمين وقواته وحوله وقوته لتثبيت أقدامهم من ابعاد آل البيت وابعاد الصحابة من المهاجرين والأنصار البدريين ، وغير البدريين وتقديم كل من آل أمية وشيعتهم واجراء وصايا أبي سفيان ، وابنائه والحكم وابنائه ، وتقسيم الأقطار الاسلامية ولايات أموية ومعيطية ، وتقسيم أمواله وتقديم سهام إلى من أعانهم من عبد الرحمن بن عوف وطلحة والزبير وسعد بن أبي وقاص سهام مالية لا مقاطعات ولاية .

ورغم ان عثمان لم يأل جهداً من برّ هولاء ، بل تجد عبد الرحمن وطلحة والزبير وسعداً لا ترضيهم كل العطايا ويجدون أنفسهم هم الأساس الذي تولىٰ به عثمان الخلافة ، وإذا بعثمان يقدم مرواناً عليهم مشاوراً ووزيراً وأباه العاص مثله ويقدم عليهم سعيداً ووليداً ومعاوية وابن أبي السرح وغيرهم ، مما أثار حسدهم وغيضهم .

وهذه ام المؤمنين عائشة خسرت ما كانت لها من الكرامة العظمىٰ في زمن أبيها وعمر ، وتجد من يفوقها قولاً وفعلاً من رجال بني أمية ونسائهم مثل أم أبان وحبيبة بنت أبي سفيان وغيرهن ، وبعد أن تختلق الروايات في اوائل سني خلافة عثمان تأييداً له ، وإذا بها تغير ذلك فتخلق أحاديث مغايرة ، وإذا بها تقول : اقتلوا نعثلاً ، والذي سيأتي بحثه في هذا الجزء وفي حرب الجمل .

هذا كله وعلي عليه السلام أميرالمؤمنين لا يألو جهداً ان يمنع المفاسد ويصلح الأمور ويقدم النصائح والارشادات ، وحوله النخبة الصالحة من المسلمين من البدريين وغيرهم من القراء ، وغيرهم أولئك الذين انتشروا غرباً وشرقاً وشمالاً وجنوباً للفتوح ، والمقيمين في المدينة ، والجميع يرون بأم أعينهم خروج عثمان عن أحكام كتاب اللّٰه وسنن نبيه صلى الله عليه وآله وتلاعبه بأموال المسلمين وعطفه علىٰ الطلقاء ،

والملاعين ، وابعاده أحباء الله ورسوله ، وحرمانهم من حقوقهم المشروعة ، وتقديمها لآل أمية وبني معيط وضرب الآمرين بالمعروف والناهين عن المنكر .

والمسلمين يعرفون مقام علي عليه السلام فيلجأون إليه صارخين مستغيثين ، ويقدموه شفيعاً وأميناً إلى عثمان ، فيغيضه ذلك ، فيرفض الكثير الأعظم لتبديل الولاة الفاسقين أمثال الوليد شارب الخمر الفاسد الأخلاق ، فيرفض ولا يأبه ، وأحياناً يضطر لقبول أو تخفيف غائله ، وقد يغضب علىٰ المتشفع والشفيع فنراه يحسب ذلك تحيزاً لعلي أولهم أو تحدياً علىٰ أهوائه ، فيتفوه بكلمات بعيدة عن الأدب والعلم بمقام علي والصحابة ، ولطالما خاصم علياً ووجه له الكلام اللاذع ، بل وفوق اللاذع والاهانة المحضة .

مما مر ذكر ما جرىٰ لعلي ومعه وما سيأتي في مقابلاته مع عثمان من أجل أبي ذر الغفاري وعمار وابن مسعود وغيرهم ، حتىٰ بلغ به الأمر إلى ابعاد علي عن المدينة ، تلك الأقوال والأفعال المشينة التي يأباها كل حر أبي ومسلم له ذرة من الايمان والانصاف والأدب والفضيلة .

وارسال الكلمات المنافية لمقام الامام علي والجمل المشينة واشفاعها بأعمال كانت من مخازي أعماله ، وإذا ما ذكرنا بعض الروايات والأحاديث المنقولة يستنبط النابه الذكي كم قاسىٰ الامام علي عليه السلام من عثمان تجاه نصائحه ومساعداته ، يقصد اصلاح شؤونه وشؤون الأمة الاسلامية ، ورفع الحيف عن كاهل المخلصين المؤمنين البررة من الصحابة المقربين المضطهدين .

وعثمان يعرف ما لخصناه أعلاه من فضائل علي عليه السلام ومقامه من الله ورسوله صلى الله عليه وآله . فيخاطب علياً متحدياً إياه ومتحيزاً لمروان الطريد اللعين ابن الطريد اللعين بقوله : ما أنت بأفضل عندي من مروان ولم لا يشتمك مروان .

راجع ابن أبي الحديد في شرحه ج ٢ ص ٣٧٠ ـ ٣٧٥ في قصة أبي ذر ،

والانساب ج ٥ ص ٥٢ ـ ٥٤ ، وصحيح البخاري في كتاب الزكاة ، والتفسير ، وطبقات ابن سعد ج ٤ ص ١٦٨ ، ومروج الذهب ج ١ ص ٤٣٨ ، وفتح الباري ج ٣ ص ٢١٣ ، وعمدة القارئ ج ٤ ص ٢٩١، وشرح ابن أبي الحديد ج ١ ص ٢٤٠ ـ ٢٤٢.

وما جاء في الفتنة الكبرىٰ ص ١٦٥ ، قول عثمان لعلي : ما أنت بأفضل من عمار ، وما أنت أقل استحقاقاً للنص منه . وهل اكتفىٰ بهذا ! بل عاود نفيه إلى الينبع واستدعائه كلما ألمت به لائمة ، وجده فيها المنقذ الوحيد ولا يأبه أن يعيد نفيه .

وفي مرة يرسل عثمان برسالة لعليّ بيد ابن عباس ليخرج إلى ينبع ، فيقول الامام علي عليه السلام لابن عباس : **يابن عباس ! ما يريد عثمان إلّا أن يجعلني جملاً ناضحاً بالقرب[1] أقبل وأدبر ، بعث إليّ أن أخرج ثم بعث إليّ أن أقدم ، ثم هو الآن يبعث إليّ أن أخرج ، والله لقد دفعت عنه حتىٰ خشيت أن أكون آثماً .**

ولقد كان الناس اخص منهم صحابة رسول الله صلى الله عليه وآله يعرفون مقام علي عليه السلام وفضله الذي لا يضاهيه غيره ، ويعرفون أن عثمان مهما بلغ بالخلافة بيد لا يستطيع أن ينسىٰ أو يتناسىٰ مقام علي الأسمىٰ ، فكان الناس كلما داهمتهم مصيبة بيد عثمان وعماله وضاقت بهم وبالمهاجرين والأنصار الظروف من التكلم أو التظلم من عثمان وعماله جاءوا أبا الحسن يشكون ويرجون ويلتمسون المخرج .

وعندها يرسل علىٰ ابنه الحسن عليه السلام لعثمان ، وحينما اكثر عليه (ولا يخفىٰ ما لتأثير مستشاريه من بني أمية ، أخص منهم مروان ، هذا العنصر الخبيث الوزغ اللعين علىٰ لسان رسول الله صلى الله عليه وآله والذي كان يتلاعب بافكاره ويسيره كيفما شاء

---

(١) الناضح : البعير يستقىٰ عليه . والقرب هو الدلو العظيمة .

حتىٰ قتلوه) قال عثمان مخاطباً الحسن ، ومن هو الحسنعليه‌السلام إلّا سيد شباب أهل الجنة وريحانة رسول اللهصلى‌الله‌عليه‌وآله والامام المعصوم الطاهر هو وأبوه وأخوه وأمه ، كما جاء في آية الطهارة في أهل البيت : ﴿**إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيرا**﴾ : ان أباك يرىٰ أن أحداً لا يعلم ما يعلم ، ونحن أعلم بما نفعل ، فكفَّ عنّا ، فلم يبعث علي ابنه في شيء بعد ذلك .

ومما ذكروا ان عثمان صلى العصر ثم عاد علياً في مرضه ومروان معه فرآه ثقيلاً فقال : أما والله لو لا ما أرىٰ منك ما كنت أتكلم بما أريد أن أتكلم به ، والله ما أدري أي يوميك أحب إليّ أو أبغض ، أيوم حياتك ؟ أم يوم موتك ؟ أما والله لئن بقيت لا اعدم شامتاً يعدّك كهفاً ويتخذك عضداً ، ولئن مت لافجعن بك ، فحظي منك حظ الوالد المشفق من الولد العاق ، ان عاش عقّه وان مات فجعه . فليتك جعلت لنا من أمرك لنا علماً نقف عليه ونعرفه ، أما صديق مسالم وأما عدو معاتي ، ولا تجعلني كالمختنق بين السماء والأرض ، لا يرقىٰ بيد ولا يهبط برجل ، أما والله لان قتلتك لا أصيب منك خلفاً ، ولان قتلتني لا تصيب مني خلفاً ، وما أحب أن ابقىٰ بعدك . قال مروان : أي والله ، وأخرىٰ انه لا ينال ما وراء ظهورنا حتىٰ تكسر رماحنا وتقطع سيوفنا فما خير العيش بعد هذا ؟ فضرب عثمان في صدره وقال : ما يدخلك في كلامنا فقال علي : **اني والله في شغل عن جوابكما ، ولكني أقول كما قال أبو يوسف : فصبر جميل والله المستعان علىٰ ما تصفون** . راجع العقد الفريد ج ٢ ص ٢٧٤ ، والامامة والسياسة ج ١ ص ٣٠ .

وكيف يرضىٰ عثمان بنهي علىٰ تولية بني أمية وآل بني معيط أهم مناصب الدولة ، ومستشاره الأكبر الذي هو ظله مروان الوزغ ابن الوزغ ، واللعين ابن اللعين على لسان رسول اللهصلى‌الله‌عليه‌وآله ، وقد طردهم من المدينة ، وكيف يرضىٰ منه وهو الذي ينهاه عن التلاعب بأموال المسلمين كالمالك الحر التصرف ، يحرم منه

ملايين الفقراء والمستحقين ليقدمها لذويه وآل أمية لاشباع مطامعهم وارضاء اهوائهم وتضعيف دين اللّٰه وآل اللّٰه والمسلمين البررة من المهاجرين والأنصار.

وهذا قول أميرالمؤمنين علي عليه السلام يخاطب به عثمان: **يا عثمان: ان الحق ثقيل مرئ وان الباطل خفيف ولئ، وانك متىٰ تصدق تسخط ومتىٰ تكذب ترضَ**. راجع انساب البلاذري ج ٥ ص ٤٤.

والحقيقة ان الامام علي عليه السلام لما غصب حقه منذ يوم السقيفة وأراد استرجاعه بغير القوة بل ارجاع الغاصبين عن غصبهم بوعظهم وارشادهم، ورأى انهم مصممون علىٰ المضي بما قاموا به والاستمرار عليه، وهو الصابر في ذات اللّٰه والمطيع للّٰه ولرسوله صلى الله عليه وآله صبر وتجلد وبدا يصلح ما استطاع اصلاحه ويلبي ما شكل عليهم، فدعوه إليه وظل ناظراً أمورهم ومتحرياً شؤونهم، فكان أبا بكر وعمر يخلطون أعمالهم بقدر ما يستقيم لهم الأمر ويقدر ما يبعدون الناس عن آل البيت عليهم السلام وبني هاشم المزاحمين لهم باعين الصحابة المقربين، فيكتفون بتوفيق تدوين السنّة والأحاديث لأنها تخالف استحواذهم علىٰ مقاليد أمور المسلمين دون أن يكون الخليفة علي وذرية رسول اللّٰه صلى الله عليه وآله وهم الثقل الأصغر بعد كتاب اللّٰه، ولم يألوا جهداً باقامة حدود اللّٰه إلّا إذا خالف ذلك سياستهم.

فحصلت في زمن أبي بكر في الفترة القصيرة بعض الانحرافات، من ابعاد آل البيت عليهم السلام والصحابة المقربين من شيعة الرسول صلى الله عليه وآله وذريته المجاهدين لهم بالنصرة، وتقريب أعوانهم والطلقاء كسعيد بن أبي سفيان ومعاوية أخيه وخالد بن الوليد وأمثالهم، وزجّوا ما استطاعوا بالصحابة المقربين إلى حروب الشرق والغرب، حتىٰ إذا قضىٰ أبو بكر وأولىٰ بها لعمر اتبع اثره بتقوية آل أمية وانصاره مثل عمرو بن العاص والمغيرة بن شعبة وهم لا يهمهم من أمر الدين إلّا مظهره، ولا يهمهم إلّا ارضاء الخليفة مهما حصل حتىٰ إذا تطرق زمن عمر بدأ بانتهاج سياسته

بصورة أكثر صرامة ، ومخالفته للنصوص صراحة ، كما مر في الكتاب الرابع من الموسوعة ، وبدأ يفضل العرب على العجم ، وبعض القبائل على أخرى ، وبعض الأفراد على البعض ، أفعالاً تناقض الأقوال .

فهو بينما يقول بالفضل على الأسبقية والايمان وتقديم البدريين ثم الأحديين ثم الأحزاب والذين ابدوا جدارة وخدمة واصلاحاً أكثر للدين الاسلامي في عهد رسول اللهﷺ وابعاد الطلقاء وابنائهم والداخلين في الاسلام اكراهاً ، نراه عملاً يقدم هؤلاء على اولئك ، حتى بلغ به الحال أن يقول في معاوية : كسرى العرب ، ويقدم المغيرة الزاني ، فيعطيه امارة الكوفة العظيمة عوض البصرة ، لأنه من اوتاد انصاره الذين اعانوه على نقل الخلافة وغصبها .

ورغم ذلك فلا ترى أبا بكر وعمر يستأثر الأول ببني تيم في الأمور على ادارة الدولة أو تقديم الأموال ، ولا الثاني يستأثر على تقديم بني عدي ، مهما كانت الأسباب والظروف ، الأنهم عصبة ضئيلة أو ما كان الخليفتين يجدون فيهم الأهلية ووضع الثقة ، وهي الحقيقة ، بل كلما نجده انهم قدموا أشد انداد بني هاشم وهم بني أمية والبوهم وسلطوهم وجهزوهم للمستقبل ، وكل ذلك بصورة حكيمة مدبرة ، وهم لهم القدرة على المبادرة والقبض على زمام الأمور في حياتهم .

حتى إذا جاء عثمان وحفته بنو أمية ، ظهرت جميع النوايا والخبايا التي وضع أساسها الأول والثاني ، وأتت كلها في عهد عثمان ، وعوض أن يتقلد عثمان الأمور بحكمة وصلابة وسهر ، وإذا به العوبة بيد مروان وأبيه وبني معيط وبني أمية ومسيّر لأبي سفيان وابنه ، وإذا به يجاهر بمخالفته أحكام الله وسنن نبيه ، ولا يرعوي للبقية الباقية من اوتاد الاسلام وصحابة رسول اللّه وعترته ، وحتى للرجل الأول بعد رسول اللهﷺ علي بن أبي طالب ، الذي جاهر كراراً عمر بفضله وقوله : عجزت النساء أن يلدن مثل ابن أبي طالب ، ولولا علي لهلك عمر ،

واعترف ان رسول اللّٰه اراد أن يدلي بالعهد لعلي ومنعه .

راجع بذلك الجزء الرابع من الموسوعة ، ولا يأبه عثمان من نفي وتسفير أعظم الصحابة ، حتىٰ بلغ به إلى تسيير علي من المدينة ، ووصمه بما شاء والاعراض عن نصائحه وارشاداته ، واني سأقدم لك بعضها :

كما جاء في الرياض النضرة ج ٢ ص ١٢٩ ، أخرجه ابن السمان من طريق عطاء : ان عثمان دعا علياً فقال : يا أبا الحسن انك لو شئت لاستقامت عليّ هذه الأمة فلم يخالفني واحد ، فقال علي : **لو كانت لي أموال الدنيا وزخرفها ما استطعت أن ادفع عنك أكف الناس ، ولكني سادلك علىٰ أمرٍ هو أفضل مما سألتني : تعمل بعمل أخويك أبي بكر وعمر وأنا لك بالناس لا يخالفك أحد .**

كما أخرج الطبري ج ٥ ص ٩٦ ، وابن كثير ج ٧ ص ١٦٨ ، والبلاذري في الأنساب ج ٥ ص ٦ ، وابن الأثير في الكامل ج ٣ ص ٦٣ ، وفي نهج البلاغة من كلام لعلي عليه السلام لعثمان لما اجتمع الناس إليه وشكوا له ما نقموه علىٰ عثمان ، وقد دخل علىٰ عثمان وقال : **ان الناس ورائي وقد استفسروني بينك وبينهم ، وواللّٰه ما أدري ما أقول لك ، ما أعرف شيئاً تجهله ، ولا أدلك علىٰ أمر لا تعرفه ، انك لتعلم ما نعلم ، ما سبقناك إلى شيء فنخبرك عنه ، ولا خلونا بشيء فنبلغكه ، وقد رأيت كما رأينا ، وسمعت كما سمعنا ، وصحبت رسول اللّٰه كما صحبنا ، وما ابن أبي قحافة ولا ابن الخطاب باولىٰ بعمل الحق منك ، وأنت أقرب إلى رسول اللّٰه وشيجة رحم منهما ، وقد نلت من صهره ما لم ينالا ، فاللّٰه اللّٰه في نفسك ، فانك واللّٰه ما تبصر من عمىً ، ولا تعلم من جهل ، وان الطرق لواضحة .**

وإذ اعلام الدين لقائمة ، فاعلم أن افضل عباد اللّٰه عند اللّٰه امام عادل ، هُدي وهَدىٰ ، فاقام سنّة معلومة ، وأمات بدعة مجهولة ، وان السنن لنيرة لها اعلام ، وان البدع لظاهرة لها اعلام ، وان شر الناس عند اللّٰه امام جائر ، ضلّ وضُلّ به ، فأمات سنّة

مأخوذة وأحيى بدعة متروكة ، وإني سمعت رسول الله ﷺ يقول : يؤتى يوم القيامة بالامام الجائر وليس معه نصير ولا عاذر فيلقى في نار جهنم فيدور فيها كما تدور الرحى ثم يرتبط في قعرها ، وإني انشدك الله أن تكون امام هذه الأمة المقتول فانه كان يقال : يقتل في هذه الأمة امام يفتح عليها القتل والقتال إلى يوم القيامة ، ويلبس امورها عليها ، ويثبت الفتن فيها ، فلا يبصرون الحق من الباطل ، يموجون فيها موجاً ويمرحون فيها مرحاً ، فلا تكونن لمروان سيّقة يسوقك حيث شاء بعد جُلال السنّ وتقضّ العمر ، فقال له عثمان : كلّم الناس في أن يؤجلوني حتى أخرج إليهم من مظالمهم . فقال ﷺ : ما كان بالمدينة فلا أجل فيه ، وما غاب فأجله وصول أمرك إليه .

ترى كيف بين الامام علي ﷺ له أثر الامام الجائر في حياته ومماته ؟ وكيف انه يجور في حكمه ؟ وكيف يعرف الحق ويحيد عنه ؟ وانه فاقد الارادة ، ومسيّر بيد مروان . حتى نراه بسكوته وعدم اعتراضه وقبوله ما قال فيه الامام علي ﷺ وانه سيرد ظلامة الناس فليكلمهم ، بيد لم تمر مدة حتى يعيده مروان وآل أمية إلى غيه وهذا الذي لم نجده عند عمر وأبي بكر ، من عدم الرضوخ إلى آراء آلهم وبني عمومتهم ، وانهم ساروا على سياسة وان حادوا بها عن الشرع بنقض نص أو سنّة ، إلّا انهم اصلحوا أمراً آخراً وتظاهروا بالاصلاح الآجل ، وهذا فات عثمان فهو لم يصلح اجلاً ولا انفاً أو مستقبلاً .

أما رأي الامام علي ﷺ في عثمان فهو رأي شابه بانه امام جائر حاد عن جادة الصواب ، وعاند واتبع أهواء أفراداً أمثال مروان ومعاوية وخالد وسعيد والحكم وأبا سفيان وابن أبي سرح واضرابهم ، يستشيره ويتبع آرائهم ، مخالفاً بها نصوص الكتاب وسنن النبي الأكرم ﷺ . وقد انذروه ووعظوه ونصحوه فنراه عندما يداهمه الخطر ينقاد وينصاع للحقيقة ويرضخ لها ، بيد سرعان ما يعود بتأثير مروان وأقرانه حتى قتله عمله .

ومن اعلم وادرىٰ وانصح من امام الهدىٰ وعلم التقىٰ أبو الائمة عليﷺ وصي رسول اللهﷺ وباب مدينة علمه حين كتب إلى أهل مصر لما ولي عليهم الاشتر قائلاً:

من عبدالله علي أميرالمؤمنين: إلى القوم الذين غضبوا لله حين عصي في ارضه، وذهب بحقّه فضرب الجور سرادقه على البرّ والفاجر، والمقيم والظاعن، فلا معروف يستراح إليه، ولا منكر يتناهىٰ عنه. راجع تاريخ الطبري ج ٦ ص ٥٥، وشرح ابن أبي الحديد ج ٢ ص ٢٩، ونهج البلاغة ج ٢ ص ٦٣.

ترىٰ أية صراحة هذه من الامام عليﷺ أميرالمؤمنين في عثمان وعمله وولادته.

وأما خطبته الشقشقية فحدث عنها ولا حرج، ويا لها من خطبة يتعرض لها لما قاساه وكيف غصبوه حقه منذ مات رسول اللهﷺ وكيف تقمصها ابن أبي قحافة وابن الخطاب وهما يعلمان انه قطب رحاها ينحدر عنه السيل ولا يرقىٰ إليه الطير، حتىٰ يقول في عثمان: **إلى أن قام ثالث القوم نافجاً حضنيه بين نثيله ومعتلفه، وقام معه بنو أبيه يخضمون مال الله خضمة الابل نبتة الربيع، إلى أن انكث قتله، وأجهز عليه عمله، وكبت به بطنته.**

ما أعظم هذه البلاغة والفصاحة والكلام المستدل القليل الجامع الذي يتعرض به الامام بوجز نبذة مختصرة من الحياة المريرة التي مرت بها الأمة الاسلامية، وظلت تتخبط بنكباتها علىٰ اثر ذلك الغصب الأول، وتوال الغصب والقتل الذي أدلىٰ به أميرالمؤمنين عليﷺ علىٰ أثر قتل عثمان.

ولم يكن أميرالمؤمنين علياًﷺ رغم ما مرت به من المزعجات ورأىٰ عثمان وغصبته وتحديهم نصوص القرآن وسنن الرسول الأعظم سوىٰ اسداء النصيحة والارشاد واصلاح ما استطاع اصلاحه دون أن يقتحم حرباً أو يثير ثورة، وهو يعلم عواقبها، كما حذر بها عثمان ما سمعه من رسول اللهﷺ، وهذا ما صرح به،

وحاشاه ما اتهموه به اعداؤه المنافقين .

وقد جاء في نهج البلاغة ج ١ ص ٧٦ انه قال عن قتل عثمان : **لو أمرت به لكنت قاتلاً ، أو نهيت عنه لكنت ناصراً ، غير أن من نصره لا يستطيع أن يقول : خذله من أنا خير منه ، ومن خذله لا يستطيع أن يقول : نصره من هو خير مني ، وأنا جامع لكم أمره استأثر فأساء الأثرة ، وجزعتم فأسأتم الجزع ، ولله حكم واقع في المستأثر والجازع .**

وقد فسره ابن أبي الحديد في شرحه ج ١ ص ١٥٨ قوله : غير أن من نصره . معناه ان خاذليه كانوا خير من ناصريه ، لأن الذين نصروه كان أكثرهم فساقاً كمروان بن الحكم واضرابه ، وخذله المهاجرون والأنصار .

وقد صرح عليّ كراراً أن عثمان انحرف ومن ولاهم حادوا عن الكتاب والسنّة ، **وأنهم كفروا بعد ايمانهم واتبعوا أهوائهم .**

كما جاء في شرح ابن أبي الحديد ج ١ ص ١٧٩ ما رواه الاعمش عن الحكم ابن عيينة عن قيس بن أبي حازم قال : سمعت علياً علىٰ منبر الكوفة وهو يقول : **يا أبناء المهاجرين ! انفروا إلى ائمة الكفر وبقية الأحزاب واولياء الشيطان ، انفروا إلى من يقاتل علىٰ دم حمّال الخطايا ، فو الله الذي فلق الحبة وبرئ النسمة انه ليحمل خطاياهم إلى يوم القيامة ، لا ينقص عن أوزارهم شيئاً .**

وقيل أن قيساً بن أبي حازم قال انه بغض علياً لما سمعه قال ذلك ، ولما علم وضع تسلط بني أمية بعد مقتل الامام علي عليه السلام كان يعذره تخلصاً من جور بني أمية .

وقد وثقه ابن خراش وابن معين وابن حبان وابن حجر .

فمن هو حمّال الخطايا الذي يقاتلون علىٰ دمه ؟ والذي يحمل خطاياهم إلى يوم القيامة ، ولا ينقص من أوزارهم شيئاً ، غير عثمان ؟

وأما علي عليه السلام فهو رغم أفعال وأقوال عثمان وبني أمية ، فهو البريء المنزه عن

قتل ابن عفان أو التحريض عليه وهو الصادق الأمين . جاء في العقد الفريد ج ٢ ص ٢٢٣ من كتاب لأمير المؤمنين علي إلى معاوية : **أما بعد فو الله ما قتل ابن عمّك غيرك ، واني لأرجو أن الحقك به عليٰ مثل ذنبه وأعظم من خطيئته .**

فتريٰ هنا انه يشهد أن معاوية هو القاتل . لماذا ؟ نعم لأنه أغريٰ عثمان بالمخالفات وخانه عن مساعدته حين تأزم الوضع ، وانه أعظم جناية وأبعد عن حدود الله وسنته وأكثر نفاقاً وفسقاً من عثمان .

وقد كان ثابتاً لأميرالمؤمنين عليعليه السلام ان كل قطيعة ومال أعطاه عثمان هو مخالف لدين الاسلام ونصوصه ، حينما قال في خطبته في اليوم الثاني من بيعته : **«ألا ان كل قطيعة أقطعها عثمان وكل مال أعطاه من مال الله فهو مردود في بيت المال ، فان الحق القديم لا يبطله شيء ، ولو وجدته قد تزوج بالنساء وفرّق في البلدان ، لرددته إلى حاله ، فان في العدل سعة ومن ضاق عنه الحق فالجور عنه أضيق»** . نهج البلاغة ج ١ ص ٤٦ ، وشرح ابن أبي الحديد ج ١ ص ٩٠ .

ولولا الخيانة من الناكثين في حرب الجمل والقاسطين في حرب صفين والمارقين في حرب النهروان ، وقبلها لولا أم الفتن في السقيفة ، والفتنة الكبريٰ في الشوريٰ ، لكان وجه الأرض مليء من فضائل الشريعة الاسلامية والعدالة والمساواة والمحبة والتآخي والسلام ، بامارة أميرالمؤمنين وولي المتقين عليعليه السلام والأئمة الميامينعليهم السلام من ذرية رسول اللهصلى الله عليه وآله وذريته .

٢ ـ عبد الرحمن بن عوف :

مر وذكرنا ان عبد الرحمن بن عوف الزهري من الصحابة ، ومن العشرة المبشرة وصهر عثمان ، والذي جعله عمر بن الخطاب الخليفة الثاني أحد أعضاء الشوريٰ المبرزين يوم قال : إذا تساويٰ أعضاء الشوريٰ لانتخاب الخليفة فالثلاثة الذين معهم عبد الرحمن بن عوف هو الخليفة ، ومن خالف فاقتلوه .

ولم يعر بذلك عمر أهمية بما أدلته وأوصته نصوص الكتاب الواردة في علي وحده والبالغة ثلاثمئة آية ونيف في عليٍّ بالذات ، منها خاصة بالولاية على المسلمين بعد الله ورسوله في آية الولاية قوله تعالىٰ : **﴿إنما وليكم الله ورسوله والذين آمنوا الذين يقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة وهم راكعون﴾** . الآية (٥٥) من سورة المائدة .

وآية الابلاغ ، وآية الاكمال النازلة في يوم غدير خم ، والذي أمر الله رسوله أن يبلغ المسلمين بخلافة وامارة وولاية عليٍّ بعده ، وأمره أن يصرح ويأمر أن يبلّغ الشاهد الغائب .

وهنّأه المسلمون جميعاً أخص منهم أبو بكر وعمر ، نعم عمر نفسه ، واللذان قالا له : بخ بخ لك يا علي لقد اصبحت ولي كل مؤمن ومؤمنة ، بعد أن خطب رسول اللهﷺ وهو رافع بذراع عليٍّ علىٰ رؤوس الاشهاد ، وبعد مقدمة مسهبة استشهد بها المسلمون ، قال :

ألم أكن أولىٰ بالمسلمين من أنفسهم ؟ قالوا : بلىٰ . قال : من كنت مولاه فهذا علي مولاه . اللّهم وال من والاه وعاد من عاداه وانصر من نصره واخذل من خذله ، وحضر ذلك الجمع الغفير الحاشد جميع المهاجرين والأنصار وما يفوق علىٰ مئة ألف من المسلمين كانوا شهوداً رجالاً ونساءً .

وهناك الآيات الجمة في فضل عليٍّ عليه السلام وعترته ، وهناك وصايا رسول اللهﷺ الصريحة وأوامره ، وهناك عهده حتىٰ في مرض موته الذي اعترف به عمر نفسه وقد جئنا بها وباسنادها في الأجزاء الأربعة الماضية .

وهناك الأوامر الصارمة في حب عليٍّ ومنع بغضه ، وان مبغضه منافق ، وفي أخرىٰ فاسق ، وفي أخرىٰ كافر ، وان محبه مؤمن ، وان علياً اقضاكم ، وان علياً اعلمكم ، وانه باب مدينة علم رسول اللهﷺ وانه المطهر من الرجس في آية

التطهير ، وانه نفس رسول اللّٰه في آية المباهلة ، وانه أحب خلق اللّٰه للّٰه ورسوله في يوم خيبر ، وحديث الطائر المشوي ، وان لحمه لحم رسول اللّٰه ، ودمه دمه ، وانه وذريته سفينة نجاة الأمة ، وانهم الثقل الأصغر بعد كتاب اللّٰه الذي من تمسك بهم نجا ، ومن خالفهم هوىٰ ، وأمثال هذه النصوص والسنن والأحاديث التي لا تعزب عن أبي بكر وعمر وعثمان وعبد الرحمن وسعد بن أبي وقاص وطلحة والزبير وكل صحابي ، عنهم جميعاً .

ورغم هذا كله ورغم ان عمر طعن بكلٍ من أعضاء الشورىٰ وأخص منهم عثمان حين قال انه سوف يدني بني أمية وآل معيط ويسلمهم مقاليد الأمور ، وان المسلمين وأخص منهم الصحابة سوف تثور ثائرتهم ويقتلوه ، وبالعكس قال في عليﷺ ولو وليها لأقامهم علىٰ الصراط المستقيم ، رغم كل ذلك فقد شكل الشورىٰ بشكل لا يشك انها تؤول إلى عثمان وبعده لآل أمية وأخص منهم معاوية، الذي قال فيه : انه كسرىٰ العرب ، وقد أدلينا باسناد هذه في الجزء الرابع كتاب عمر .

أما عبد الرحمن هذا والذي حابا عثمان بها ، رغم ما حذره بها الصحابة المقربين ، وأخص منهم علياً ، وشرح له ما سوف يقوم به من الاسراف بأموال المسلمين والبذخ علىٰ من شاء من آل أمية وشيعتهم ، وانه سوف يسلطهم علىٰ رقاب المسلمين ويتخذهم خولاً ، وانهم سوف يتخذون دين اللّٰه دغلاً وأمواله دولاً ، ويبعدون الصلحاء وينكبوهم ، ويقربون الطلحاء ، ولما رأىٰ عبد الرحمن وسعداً يتبعه ، فهو صهر عبد الرحمن وعبد الرحمن هذا رغم قرابته من عثمان ومطامعه المادية والمعنوية تلك التي لا يجدها عند علي ، وكيف يجد عند عثمان ذلك البذخ بأموال المسلمين ، وتقديمه له الذهب الذي تجمع عنده بعد مماته ، والذي كان يكسر بالفؤوس كما مر ذكره في اسراف عثمان في العطايا ، وإلى

جانب ذلك فانه يحابيه اليوم طمعاً أن يحابيه عثمان بالخلافة ، كما عمل صاحباه من قبل أبو بكر بعدها لعمر الذي حاباه ، وعمر لعثمان الذي كتب له العهد كاملاً ، وأبو بكر مغميّ عليه ، حتىٰ إذا وقعت الواقعة وتمت المكيدة وتسنم عثمان رغم معارضة المهاجرين والأنصار وباقي الصحابة كرسي الخلافة وتوالت الأيام ، وإذا بعبد الرحمن يرىٰ ما كان يرنو إليه ، الا ان عثمان يبتعد عنه ، وان عثمان الذي يغدق عليه بالمال يغدق علىٰ آل أمية وبني معيط الأضعاف المضاعفة ، وإذا بصبيان آل بني معيط وسفهائهم وفساقهم يتسنمون الولايات والحكم علىٰ رقاب الناس ، وإذا بشوكتهم تقوىٰ ، وإذا به يحيك خلافة آل أمية وملكهم ويقوي عناصرهم ، وإذا بالصحابة المقربين في المدينة وخارجها في شتىٰ أقطار البلاد الاسلامية يصيحون واغوثاه ، من ظلم واستبداد هؤلاء الأوغاد ، وكلما بلغوا الخليفة عنهم عوض أن يسمع ويصغي ، وإذا به ينكل بالبررة الأخيار ويحابي آل أمية الأشرار ، وإذا بعبد الرحمن بن عوف تنهال عليه اللوائم ، وتوجه إليه الصيحات والصرخات .

وكلما عاد إلى عثمان بلائمة غضب عليه ، وإذا به يتهمه بالنفاق . ويقول له : انك لمنافق . وإذا به يطرده ، وإذا به يمنع التحدّث إليه ، ويهجره ، وإذا بعبد الرحمن يريد التخلص من شره وشر بني عمومته ، ولكن خانته الفرصة ، وإذا بعبد الرحمن يطلب من علي عليه السلام أن يجرد سيفه وهو أول تابع له علىٰ عثمان ، وإذا به يقول : عجلوا بمبادرته قبل أن يستفحل أمره .

ولكن هيهات هيهات فقد استفحل أمره ، وإذا بصاحبه الذي عاضده في اثبات الخلافة وهو سعد بن أبي وقاص ، وهو الآخر من العشرة المبشرة الذي فتحت علىٰ يده شرق البلاد الاسلامية من العراق وايران وبعدها ، وهو الوالي في زمن عمر بن الخطاب ، فإذا بعثمان يعزله ، ويولي بعده الوليد الفاسق الفاجر ، مدمن

الخمور والفجور ، وما كاد يعزله حتىٰ يدليها إلى صبي من بني أمية هو سعيد ، وإذا بالآية تصدق : **﴿الأخلاء يومئذ بعضهم لبعض عدو إلّا المتقين﴾** . الآية (٦٧) من سورة الزخرف .

والآن تعال معي إلى ندم عبد الرحمن بن عوف هذا لما توفي أبو ذر بالربذة ، وتذاكر معه عليّ في فعل عثمان قائلاً له : هذا عملك ، فيجيبه عبد الرحمن : إذا شئت فخذ سيفك وآخذ سيفي ، انه خالف ما أعطاني .

وأنا اتساءل : ما كنت تعني من كلمة خالف ما أعطاني ؟ ألم يقل لك أن يتبع سياسة وسيرة الشيخين أبي بكر وعمر ، وقد سار عليها . إذ كل منهما سار برأيه واستبد باجتهاده ، وهكذا عمل عثمان . أم كان أعطاك عهداً غير هذا ؟ أو انه وعدك بالخلافة ؟ وادناك كما ادنىٰ أبا بكر وعمر ، ولم يفعل ، وهذا هو الأصح .

راجع اسناد الخبر في انساب البلاذري عن سعد حول ذلك ، وراجعه عن طريق عثمان بن الشريد ، قال : ذكر عثمان عند عبد الرحمن في مرضه الذي مات فيه فقال عبد الرحمن : عاجلوه قبل أن يتمادى في ملكه ، فبلغ ذلك عثمان فبعث إلى بئر كان يسقىٰ منها نعم عبد الرحمن فمنعه إياها .

وعن سعد أيضاً : ان عبد الرحمن أوصىٰ أن لا يصلّي عليه عثمان .

وأخرج البلاذري عن عبدالله بن ثعلبة ، كما أخرج ابن عبد ربه في العقد الفريد : بعد اعتراض عبد الرحمن علىٰ عثمان فيما فعله ، وقام به خلاف ما عاهده عليه أقسم أن لا يكلمه . وان عبد الرحمن بدأ يقاوم أقوال وأفعال عثمان ولا يأبه ، من الطعن فيه والتحريض عليه ، ومقاومته قولاً وفعلاً ، وظلا متخاصمين ومتهاجرين حتىٰ مات عبد الرحمن .

راجع تفاصيل ذلك في كتاب الأوائل لأبي هلال العسكري ، والكامل لابن الأثير ج ٣ ص ٧٠ ، وتاريخ الطبري ج ٥ ص ١١٣ ، وتاريخ أبي الفداء ج ١

ص ١٦٦، والعقد الفريد ج ٢ ص ٢٥٨ إلى ٢٧٢، والبلاذري ج ٥ ص ٥٧، وشرح ابن أبي الحديد ج ١ ص ١٦٥ و ج ١ ص ٦٥ و ٦٦.

ولقد جاء في شرح ابن أبي الحديد ج ١ ص ٦٣ قول أميرالمؤمنين علي عليه السلام لعبد الرحمن يوم بايع عثمان: والله ما فعلتها إلّا لأنك رجوت منه مارجا صاحبكما من صاحبه دق الله بينكما عطر منشم. وهو مثل في هذا الدعاء ان الله سيلقىٰ بينكما من العداء ما تجيب رأيك فيه وقد كان، ولم يكتف عثمان انه حرم عبد الرحمن من ادلاء العهد إليه، بل حرمه وحرم صهره سعد بن أبي وقاص، حتىٰ من ولايته، وفضل عليهما صبيان بني أمية وفساقها والملعونين علىٰ لسان الله ورسوله صلى الله عليه وآله.

ترىٰ هذا عبد الرحمن وهو يعلم ما يعلم من مقام الامام علي عليه السلام وفضله وكراماته، وانه صارحه انه سيقيم كتاب الله وسنن رسوله، بيد نرىٰ عبد الرحمن لا يأبه بذلك ويرمي إلى غير ذلك، فهو يريد سيرة الشيخين، ويريد ادلاء العهد له كما حاباه، وكما فعله أبو بكر مع عمر، وعمر مع عثمان فخاب أمله وبطل كيده.

وقد صدق الله عزوجل في كتابه المجيد حين قال: ﴿**الأخلاء يومئذ بعضهم لبعض عدو إلّا المتقين**﴾. الآية (٦٧) من سورة الزخرف.

والحقيقة ما كان لله ينمو وما كان لغير الله فلابد من الخيبة والخسران، وذلك جزاء الظالمين.

ولم يأل كل منهما من قذف الآخر حتىٰ طرد عثمان عبد الرحمن، ورماه بالنفاق. راجع في ذلك الصواعق المحرقة لابن حجر ص ٦٨، وابن أبي الحديد في شرحه ج ١ ص ٦٥ و ٦٦.

كما رأيت من قبل ندم عبد الرحمن وطلبه الثورة علىٰ عثمان وتوقيفه عند

غيه ، وهو يرىٰ ويسمع محاباة عثمان لبني أمية وآل أبي معيط ،دون رعاية كتاب ولا سنّة ولا اصغاء لصحابي من المهاجرين والأنصار ، وذرية رسول اللّٰهﷺ وأي فرد آخر ، بل قد اعطىٰ زمام أموره كلها بيد الفاجر الفاسق طريد رسول اللّٰهﷺ مروان والحكم أبيه ، فكان في ذلك بلاء وشقاء الأمة . وشقائه وبلائه وقتله .

٣ـ طلحة :

وقد مر ذكره، وهو ابن عبداللّٰه التيمي ابن عم عائشة بنت أبي بكر ، وهو كما جاء في الرواية الموضوعة والتي سوف نناقشها ونفندها انه من العشرة المبشرة ، وهو أحد أعضاء الشورىٰ الستة ، الذين مر ذكرهم في كتاب عمر ، الكتاب الرابع من الموسوعة ، هذا طلحة الذي اعترض أبا بكر علىٰ عهده لعمر بن الخطاب ، كما مر بقوله : ماذا تقول للّٰه يوم القيامة وقد وليت علىٰ رقاب المسلمين هـذا الفـظ الغليظ ، وكان قد حاول هو وعائشة بشتىٰ الوسائل أن تكون له ، بيد قد كان أبو بكر الذي ظل عمر ملازماً له منذ أن دخل الاسلام ، يماشيه ويسايره حذو النعل بالنعل وكأنه ظله ، وله الفضل في نصبه وخلافته كما مر .

كما ظل يدور حوله مسدداً ومحافظاً ومقيداً ، سراً وجهراً ، وله مواقفه المشهودة والمشكورة لأبي بكر ، والتي لا يمكن لمثل أبي بكر أن يغفل ، كما غفل عثمان ، ويجلب عليه الطعن والنقمة ، وقد عرف عمر كيف يسايس طلحة ويرضخه بعد تولي الأمور ، طمعاً مرة ، وترهيباً أخرىٰ .

ولا تنس يوم خاطب أعضاء الشورىٰ كيف وجه النقد اللاذع لطلحة . وما كان ليدخل طلحة وهو جاهل أمره ، ولكنه ما أدخله إلّا وهو يعلم عدة أمور : أولها أن طلحة ليس له خط قط بين أعضاء الشورىٰ لينتخب بعد أن تأكد أن عثمان وصهره عبد الرحمن بن عوف وصهر عبد الرحمن هو سعد بن أبي وقاص ، هؤلاء الثلاثة هم الكتلة القوية المتينة التي لا تنفك تدور حول محور واحد هو عثمان ورجا ـ

كما مر ـ عبد الرحمن بعد كل ذلك ان هو حابا عثمان فان عثمان سوف يحابيه ، وليس له أقل من تلك الصلات والروابط والرجاء بعلي ولا طلحة ولا الزبير ، وان كان يريد أن يبايع بعد عثمان فلابد وان يبايع علياً ، سيد المهاجرين والأنصار ذو المناقب ورئيس بني هاشم ، فمن هو طلحة ؟ ومن هو الزبير في الأنصار ؟

ولو كان لهما قدر لما تجاوزهما أبو بكر إلى عمر وطلحة ابن عمه والزبير زوج ابنته ، ولعمر كان هناك من هو أعظم شأناً في الاسلام وبين الصحابة المقربين من اعمام رسول الله ﷺ وبني هاشم والمهاجرين والأنصار بيد كما مر ان هي إلّا فتنة توخاها الخليفة الثاني ليوجد فيها خصوماً لعلي وليعتد كل واحد بنفسه وكل قبيلة بعضوها ، وهذا ما كان ، فهذا طلحة لم يأل جهداً أن يبتز عثمان ما أمكنه من بيت مال المسلمين ومثله بقية أعضاء الشورىٰ عدا علي ، ولكنهم لم يرضهم ويسد مطامعهم ذلك ، وهم الذين أصبحوا بعد ادخالهم عمر بالشورىٰ يحلمون باليوم الذي تكون لكل منهم الخلافة وعلىٰ أقل تقدير الولاية العظمىٰ لأحد الأقطار الاسلامية ، مثل سعد .

وكل من طلحة والزبير يشعران انهما أعظم مقاماً وأرقىٰ نسباً من ولاة عمر ، أمثال معاوية وعمرو بن العاص والمغيرة بن شعبة ، وأمثالهم ، ولشد ما كان غيظ الواحد علىٰ عثمان حينما وجدوه وهو يعزل سعداً ليوليها للوليد ، ولم يكن ذلك حباً لسعد بن أبي وقاص فحسب ، بل وجدا ان عثمان يقدم علىٰ كل منهما الطلقاء المنبوذين والطرداء الملاعين المستحقرين من الأمة الاسلامية وأعلام المهاجرين والأنصار ولا يعير لأقوالهم وارشاداتهم واعتراضاتهم أهمية ، بل وانه لا يأبه أن يكيل لهم التهم ويزري بهم ويعيبهم .

ولم يكن عثمان ذو ارادة قوية وشديد الحذر ، بل بعد قليل أصبح العوبة بيد مروان والحكم ومعاوية والوليد وسعيد وابن أبي سرح وأبي سفيان ، ذلك المنافق

الفاجر الفاسق، بل قل الكافر الذي مازح عثمان مستهتراً بالخلافة والرسالة قائلاً: إنما هو الملك فاياك أن تتركها تخرج من بيت آل أمية.

وهكذا كان، ولما لم يعر عثمان أهمية لأموال المسلمين، لا هو ولا بقية آل أمية فقد كان يكيل لهؤلاء الذين لا يسد نهمهم وجشعهم المال مهما بلغ، فقدم ما أمكن تقديمه لطلحة والزبير وعبد الرحمن من الذهب والمال والأراضي وغيرها، بدون حساب كما مر حتىٰ أثروا، بيد كل ذلك لم يقف سداً من طمعهم بل زاده تجرياً سوء تصرفاته حتىٰ وجدنا طلحة والزبير وأعوانهما لا يألون جهداً من اثارة الفتن والقلاقل بين المهاجرين والأنصار في مختلف الأقطار الاسلامية، وكل يجر النار إلى قرصه، واتخذوا عائشة أم المؤمنين مطية لأغراضهم دون أن يمنعهم أو يمنعها صلتها من رسول اللهﷺ رادع ومانع.

وهكذا نجدهم يقيمون الفتن ويثيرون الأحقاد، وقد وجدوا من أعمال وأفعال وأقوال عثمان مسوغاً وموجهاً حقيقياً، ويا ليت طلحة والزبير قصدا بذلك وجه الله وكان رائدهما الحق لا مطامعهما، اذن كانا قد فازا بالدنيا والآخرة، وكانت أقوالهما وأفعالهما مشكورة، بيد في الوقت الذي يعترفان بذنبهما وقتلهما بالنتيجة عثمان بدءاً، والعالم الاسلامي يعلم ما قاما به تجاه عثمان يعترفان بقتله خطأً، ويقولان: إنما نريد أن نلقي الحوبة بالتوبة، فأي توبة هذه، بعد أن عرفتما أنه خالف عهد رسول اللهﷺ ونقض أحكامه وسننه، وارهق المسلمين من سلب حقوقهم وغصب أموالهم وهتكهم وضربهم ونفيهم حتى مات من مات منهم بسبب ذلك، أمثال أبي ذر، وابن مسعود وغيرهما، وابعاد الصلحاء، وتقريب الكفرة الفجرة الملاعين من آل أمية.

وبعد أن اشهروا به هما وعائشة انه كان نعثلاً، وقولهم: اقتلوا نعثلاً، قتله الله، وبعد حبسه ومنع الماء عنه وقتله واستمرارهم بالنكاية يمنع دفنه ورمي من يريد

دفنه بالحجارة ، ومنع البكاء عليه حتى يدفن بمقابر اليهود ، كل ذلك مع سابق الاصرار والعمد والاستمرار في الغي ، وبعدها البيعة المختارة الصريحة الطائعة لعليٍّ ﷺ واعلانهما صراحة ان علياً لم يعطهما الحق من الملك ، هنا ظهرت النوايا الخبيثة وانهم خانوا ضمائرهم وازدادوا خيانة ونفاقاً يوم طالبوا بدم عثمان وهما الذين قتلاه وعائشة ، وهما اللذان ألّبا عليه ، ومن ثم توجها لمطالبة علي بدمه ، وبرآ أنفسهما من الجناية التي ان صحت على حد قولهم فقد احتملوا بهتاناً واثماً عظيماً على حد قول الله في الآية : ﴿ومن يكسب خطيئة أو إثماً ثم يرمي به بريئاً فقد احتمل بهتاناً وإثماً مبيناً﴾ . الآية (١١٢) من سورة النساء .

هذا طلحة كان كأحد المهاجرين الذين توجهوا آمرين بالمعروف وناهين عن المنكر ، طالبين العدالة واقامة حدود الله ورسولهﷺ من الخليفة وإذ كانت نياتهم وضمائرهم محشوة بغير ما نطقوا فقد قالوا كلمة الحق في عثمان ولكنهم أرادوا بذلك الباطل ، كما ظهر من نتيجة أعمالهم وعندها خسروا الدنيا والآخرة وذلك هو الخسران المبين . ومن كان يعترضهم أو يوصمهم بشيء لو ساروا بعد بيعتهم لأمير المؤمنين عليﷺ وهم يعلمون انه الامام التقي البر والوفي وصي وأخو رسول اللهﷺ فلو انهم ساندوه وعاضدوه ولم ينكثوا البيعة ولم يخونوا الله ورسوله ويلقون الفتنة بين المسلمين ويسببوا تلك الفتن والمجازر ، لما استطاع معاوية اقامة تلك الحرب في صفين ، ولا كانت بعدها حرب النهروان وازهاق أرواح عشرات الألوف من المسلمين ، وبالتالي قتل الامام عليﷺ على يد الشقي ابن ملجم .

نعم كان عثمان مقتولاً بيد خيرة المسلمين ، وكان الذين ناصروه من اشرار المنافقين المبغضوين من الله ورسولهﷺ ، من أمثال مروان ، وكان طلحة باعتباره صحابياً مهاجراً لم يأل جهداً من المطالبة بعزله ، وبعدها قتله .

وكان طلحة والزبير إلى الساعة التي جاهدا عثمان وطالباه وقتلاه لهما الحجة البالغة في أعمالهما بين المهاجرين والأنصار والمسلمين علىٰ عثمان وبني أمية ، ولم يستطع آل أمية أن يحتجوا علىٰ عمل طلحة والزبير وعائشة بـبراءة أعـمال عثمان وأعمالهم الدنيئة ، بل لا زال طلحة والزبير محقين إلى اليوم الذي بـايعا علياً ، ولم يخزيا أنفسهما إلّا بالنكث واعلامهما الحرب علىٰ عليٍّ عليه السلام ولم تكـن هذه الحرب إلّا مثلاً من عواقب سيرة عثمان الذي قصد بالعهد له الخليفة الثاني تعمداً لابعاد الهاشميين ونصب كسرىٰ العرب ويزيد ومروان وبنيه ، وعمر قد تنبأ بالمجازر ، وقبله أبو بكر باستبداده دون مشورة المسلمين والعهد إلي عمر وإعطاء ولاية الشام لمعاوية وخالد بن الوليد وأمـثالهما . ورفـع كـفة الطـلقاء وضـرب الصلحاء من بني هاشم والمهاجرين والأنصار .

وهاك صفحات من أعمال طلحة وتكتله مع المهاجرين والأنـصار لايـقاف وابطال اندفاع عثمان في أعماله غير المشروعة ، وعماله غير الشرعيين وتسلّطهم علىٰ أموال المسلمين ونفوسهم وتلاعبهم بدين اللّٰه .

قال حكيم بن جابر : قال علي لطلحة وعثمان محصور : انشدك اللّٰه إلّا رددت الناس عن عثمان . قال : لا واللّٰه حتىٰ تعطي بنوا أمية الحق من نفسها . أخرج ذلك الطبري في تاريخه ج ٥ ص ١٣٩ ، وابن أبي الحديد في شرحه ج ١ ص ١٦٨ .

فكان علي يقول : **لحا اللّٰه ابن الصعبة ، اعطاه عثمان ما اعطاه وفعل به ما فعل .**

لأن علياً لا يخفىٰ عليه نوايا عثمان وبني أمية ، كما لم يخف عليه نوايا طلحة والزبير . لذا قال عليه السلام : في طلحة في نهج البلاغة ج ١ ص ٣٢٣ حينما بدأ طـلحة يطالب بدم عثمان بهتاناً وزوراً وهو قاتله . قائلاً : «**واللّٰه ما استعجل (يقصد طلحة) متجرداً للطلب بدم عثمان إلّا خوفاً من أن يطالب بدمه لأنه مظنته ولم يكن في القوم أحرص عليه منه فأراد أن يغالط بما اجلب فيه ليلبس الأمر ويقع الشك واللّٰه ما صنع**

في أمر عثمان واحدة من ثلاث . لأن كان ابن عفان ظالماً ـ كما كان يزعم ـ لقد كان ينبغي له أن يؤازر قاتليه أو ينابذ ناصريه ، ولأن كان مظلوماً ، لقد كان ينبغي له أن يكون من المنهنهين عنه والمعذرين فيه ، ولأن كان في شك من الخصلتين لقد كان ينبغي له أن يعتزله ويركد جانباً ويدع الناس معه . فما فعل واحدة من الثلاث ، وجاء بأمر لم يعرف بابه ولم تسلم معاذيره» .

ولقد كان عثمان يشعر بتحريض طلحة عليه ويدعو الله أن يكفيه شره . فقد قال بشر بن سعيد كما جاء عن الطبري : حدثني عبدالله بن عباس بن أبي ربيعة قال : دخلت علىٰ عثمان فتحدث عنه ساعة فقال : يابن عباس : تعال فاخذ بيدي فاسمعني كلام من علىٰ باب عثمان فسمعنا كلاماً . منهم من يقول : ما تنتظرون به ، ومنهم من يقول : انظروا عسىٰ أن يراجع ، فبينا أنا وهو واقفان إذ مر طلحة بن عبدالله فوقف فقال : اين ابن عديس : فقيل : ها هو ذا !! فجاء ابن عديس فناجاه بشيء ثم رجع ابن عديس فقال لأصحابه : لا تتركوا أحد يدخل علىٰ هذا الرجل ولا يخرج من عنده ، قال : فقال عثمان : هذا ما أمر به طلحة بن عبدالله ، ثم قال عثمان : اللّهم اكفني طلحة بن عبدالله ، فانه حمل عليّ هؤلاء والّبهم ، والله أني لأرجو أن يكون منها صفراً وأن يسفك دمه .

وكان عثمان لا ينفك يقدم الأموال إلى طلحة فيها ، ومرة كان له علىٰ طلحة خمسون ألفاً فخرج عثمان يوماً إلى المسجد فقال له طلحة : قد تهيأ مالك فاقبضه فقال : هو لك يا أبا محمد معونة لك علىٰ مروءتك . وبينما كان طلحة أشد الناس عليه ، حتىٰ كان يقول عثمان عن طلحة : ويلي علىٰ ابن الحضرمية ، اعطيه كذا وكذا ذهباً وهو يروم دمي ، يحرض علىٰ نفسي ، وكان يدعو علىٰ طلحة بقوله : اللّهم لا تمتعه به ولقه عواقب بغيه . راجع الطبري ج ٥ ص ١٣٩ .

وجاء في شرح ابن أبي الحديد ج ٢ ص ٤٠٤ : أن طلحة يوم قتل عثمان كان مقنعاً بثوب قد استتر به عن أعين الناس يرمي الدار بالسهام ، وانه لما امتنع علىٰ الذين حصروه الدخول من باب الدار حملهم طلحة إلى دار لبعض الأنصار فاصعدهم إلى سطحها وتسوروا منه علىٰ عثمان داره فقتلوه ، وان طلحة منع من دفنه ثلاثة أيام ، بينما بايع الناس علياً بعد خمسة أيام من قتل عثمان ، وان علياً ساعد علىٰ دفنه ، ورغم ذلك اقعد طلحة اناساً يرمون من أراد دفنه بالحجارة ، ورجم سريره في الوقت الذي اريد دفنه إلى حائط بحش كوكب .

وانه دفن في وقت بين المغرب والعتمة ، ولم يشهد جنازته سوىٰ مروان وأبنه وثلاث من مواليه ، وقد اكمن طلحة هناك ناساً رموه بالحجارة وهم يصيحون : نعثل نعثل .

راجع كتاب فضل عثمان للمدائني . وان الذي أمر بدفنه في مقابر اليهود انما هو طلحة ، كما ذكره الطبري في تاريخه ج ٥ ص ١٤٣ والواقدي .

وقد بدأ في أواخر الحصار يمنع طلحة من ايصال الماء إلى عثمان ، كما ذكر ذلك البلاذري في الأنساب ج ٥ ص ٧١ و ٩٠ ، بيد أن علياً اسعفه بذلك بينما كان يحاول طلحة منع الماء والطعام عنه ، كما جاء في الامامة والسياسة ج ١ ص ٣٤ . وجاء في الأنساب ج ٥ ص ٧٧ عن أبي مخنف والبلاذري عن طريق ابن سعيد ، قال : كان طلحة قد استولىٰ علىٰ أمر الناس في الحصار فبعث عثمان عبدالله بن الحارث بن نوفل بن الحارث بن عبد المطلب إلى علي بهذا البيت :

وان كنت مأكولاً فكن أنت آكلي ... وإلّا فـادركني ولمّـا افـرّق

ففرق علي الناس عن طلحة فلما رأىٰ ذلك طلحة دخل علىٰ عثمان ، فاعتذر فقال له عثمان : يا ابن الحضرمية الّبت عليَّ الناس ودعوتهم إلى قتلي ، حتىٰ إذا فاتك ما تريد جئت معتذراً ، لا قبل الله ممن قبل عذرك .

وقد كانت بنو أمية وجميع الصحابة يعلمون أن طلحة اشد الناس علىٰ عثمان ، وانه في مقدمة القاتلين . وقد أيدت ذلك الأخبار ، ولذا لما سارت العصبة الضالة من مكة إلى البصرة وفيهم طلحة والزبير وابنائهم وعائشة وهم في مقدمة المحرضين والمنفذين قتل عثمان وقد اتحد معهم بنو أمية أخص مروان . وفي الطريق قالوا لهم : أين تذهبون ؟ فأجابوا : إنما نذهب للأخذ بثأر عثمان ، فأشار من أشار وسوف ندلي بهم ان ثاركم علىٰ أعجاز الابل معكم يعنون طلحة والزبير وعائشة .

وهكذا كان فقد رمىٰ يوم حرب الجمل مروان طلحة بسهم فقتله ، وقالَ لابان كفيتك شر أحد القاتلين . راجع بذلك تاريخ ابن عساكر ج ٧ ص ٨٤.

كما جاء في الاستيعاب من عدة طرق عن طريق ابن أبي سبره ، ومن طريق قيس نقلاً عن ابن أبي شيبة ، وعن طريق وكيع واحمد بن زهير ، عن قيس بن أبي حازم وابن عساكر من طرق متعددة ، وابن حجر في الاصابة ج ٢ ص ٢٣٠ ، والحاكم في مستدركه ج ٣ ص ٣٧٠ ، والطبراني ، ومحب الدين الطبري في الرياض ج ٢ ص ٢٥٩ ، والبلاذري في الانساب ص ١٣٥ ، عن روح ابن زنباع ، ومروج الذهب للمسعودي ج ٢ ص ١١ ، والعقد الفريد ج ٢ ص ٢٧٩ ، والكامل لابن الأثير ج ٣ ص ١٠٤ ، وصفوة الصفوة لابن الجوزي ج ١ ص ١٣٢ ، وأسد الغابة ج ٣ ص ٦١ ، ودول الاسلام للذهبي ، وتهذيب التهذيب ج ٥ ص ٢١ ، ومرآة الجنان لليافعي ج ١ ص ٩٧ .

وقد اثبت طلحة والزبير بنفاقهما يوم جاءا البصرة يحرضان الناس للأخذ بالثأر من قتلة عثمان وقد اعترفا بذلك ، وإذا كان حقاً ندما كان عليهما أن يسلما أمرهما لخليفة المسلمين لتنفيذ الحكم عليهما بعد الاعتراف بالجريمة التي اعتقدا بها ، أو لولي عثمان الشرعي ليقتص منهما ، لا أن يقيماها فتنة يفتكان بالمسلمين ، وبينهم

نخبة من صحابة رسول الله ﷺ .

فقد أخرج الطبري حديثاً ، قال : فقام طلحة والزبير خطيبين (في البصرة) فقالا : يا أهل البصرة توبة بحوبة . إنما أردنا أن يستعتب أميرالمؤمنين عثمان ولم نرد قتله . فغلب سفهاء الناس الحلماء حتىٰ قتلوه . فقال الناس لطلحة : يا أبا محمد قد كانت كتبك تأتينا بغير هذا . راجع تاريخ الطبري ج ٥ ص ١٧٩ ، كما أتاهما عبدالله بن الحكيم التميمي لكتب كانا كتباها إليه فقال لطلحة : يا أبا محمد اما هذه كتبك إلينا ؟ قال : بلىٰ ، قال : فكتبت أمس تدعونا لخلع عثمان وقتله حتىٰ إذا قتلته اتيتنا ثائراً بدمه ، فلعمري ما هذا رأيك ! لا تريد إلّا هذه الدنيا ، مهلاً إذا كان هذا رأيك فلم قبلت من علي ما عرض عليك من البيعة ؟ فبايعته طائعاً راضياً ثم نكثت بيعتك ثم جئت لتدخلنا في فتنتك . راجع شرح ابن أبي الحديد ج ٢ ص ٥٠٠ .

كما جاء في الامامة والسياسة ج ١ ص ٦٠ اعتراضات الناس علىٰ عائشة وطلحة والزبير حيث حرضوا علىٰ قتلة عثمان وقتلوه والآن جاءوا يريدون الفتنة.

وجاء في شرح ابن أبي الحديد ج ١ ص ١٠١ عن أبي مخنف عن مسافر بن عفيف : ان أميرالمؤمنين علي ﷺ خطب الناس قائلاً : **اللّهم إن طلحة نكث بيعتي والّب علىٰ عثمان حتىٰ قتله ثم عضهني به ورماني . اللّهم فلا تمهله . اللّهم ان الزبير قطع رحمي ونكث بيعتي وظاهر عليَّ عدوي فاكفنيه اليوم بما شئت .**

وإليك ماجاء في الاستيعاب من تذمر الامام علي ﷺ من طلحة ومن عاضده علىٰ قتل عثمان ، ثم اقامة الفتنة والحرب الطاحنة بين المسلمين ، ونفاقهم فيما يدعون وبهتانهم وكذبهم بما اقترفت أيديهم علىٰ غيرهم . قوله : **إني منيت بأربعة : أدهىٰ الناس وأسخاهم طلحة ، وأشجع الناس الزبير وأطوع الناس في الناس عائشة ، وأسرع الناس إلى الفتنة يعلىٰ بن منية ، والله ما انكروا عليَّ شيئاً منكراً ، ولا استأثرت بمال ، ولا ملت بهوى ، وأنهم ليطلبون حقاً تركوه ، ودماً سفكوه ، ولقد دلوه**

دوني ، وإن كنت شريكهم في الافكار لما انكروه ، وما تبعة عثمان إلاّ عندهم ، وأنهم لهم الفئة الباغية ، إلى قوله ﷺ والله ان طلحة والزبير وعائشة ليعلمون اني على الحق وانهم مبطلون .

فترىٰ هنا كيف يصرح أميرالمؤمنين علي ﷺ وهو الصادق نفاق هؤلاء وسيرتهم ، وانهم ليعلمون ببطلانهم وأحقية علي ، وأن بني أمية ليدرون وليعلمون حق العلم كبيرهم وصغيرهم ونساءهم ورجالهم إنما طلحة والزبير وعائشة كانوا أشد الناس علىٰ عثمان ، وان علياً بريء من دمه ، بيد لا يستقيم ملكهم بدون توجيه مثل هذه التهم .

جاء في انساب البلاذري ج ٥ ص ١٠٥ : قوله : حدثني المدائني عن ابن الجعدية قال : مر عليّ بدار بعض آل بني سفيان فسمع بعض بناته تضرب بدف وتقول :

ظلامة عثمان عند الزبير ... واوتر منه لنا طلحةٌ
هما سعراها باجذالها ... وكانا حقيقين بالفضحة

فقال علي : **قاتلها الله ، ما أعلمها بموضع ثأرها .**

وهذا سعيد بن العاص يلقىٰ مروان بن الحكم وأصحابه بذات عرق فيقول له : اين تذهبون ؟ وثاركم علىٰ أعجاز الابل أقتلوهم ، ثم ارجعوا إلى منازلكم ، لا تقتلوا أنفسكم ، قالوا : بل نسير فلعلنا نقتل قتلة عثمان جميعاً . فخلا سعيد بطلحة والزبير فقال : ان ظفرتما لمن تجعلان الأمر ؟ اصدقاني ، قالا : لأحدنا اينا اختاره الناس . قال : بل اجعلوها لولد عثمان فانكم خرجتم تطلبون بدمه . قالا : ندع شيوخ المهاجرين ونجعلها لابنائهم ؟ قال : أفلا أراني اسعىٰ لاخرجها من بني عبد مناف ؟ فرجع ورجع عبدالله بن خالد بن اسيد ، فقال المغيرة بن شعبة : الرأي ما رأىٰ سعيد ، من كان ها هنا من ثقيف فليرجع ، فرجع .

راجع تاريخ الطبري ج ٥ ص ١٦٨ ، وهنا ترىٰ عدة أمور واضحة ، ألا وهو ان القوم جميعاً إنما يتكالبون علىٰ الملك فهذا سعيد يصرح بسؤاله : ان ظفرتما لمن تجعلان الأمر ؟ ثم يردف بعد اجابته : بل اجعلوه لولد عثمان فانكم خرجتم تطلبون بدمه . وبالتالي قوله : أراني أسعىٰ لاخرجها من بني عبد مناف ، تلك هي النعرة الجاهلية الباقية عندهم ، وذلك هو الملك الذي يتكالبون عليه ، كما تجد ذلك نفسه من فحوىٰ أقوال وأفعال طلحة والزبير وابنائهما وتشاجرهم للتقدم والصلاة بالناس ، كما مر وكما سيأتي في حرب الجمل .

وإليك ما صرح به طلحة : إنما هموا الآخرين الذين إنما يحاربون للملك لا الدين . راجع بذلك الامامة والسياسة ج ١ ص ٥٦ : انه لما نزل طلحة والزبير البصرة قال عثمان بن حنيف : نعذّر إليهما برجلين فدعا عمران بن حصين صاحب رسول الله وأبا الأسود الدؤلي ، فارسلهما إلى الرجلين ، فذهبا إليهما فناديا : يا طلحة ! فأجابهما فتكلم أبو الأسود الدؤلي فقال : يا أبا محمد ! انكم قتلتم عثمان غير مؤامرين لنا في قتله . وبايعتم علياً غير مؤامرين لنا في بيعته ، فلم نغضب لعثمان إذ قتل ، ولم نغضب لعلي إذ بويع ، ثم بدا لكم فاردتم خلع عليّ ونحن علىٰ الأمر الأول ، فعليكم المخرج مما دخلتم فيه . ثم تكلم عمران فقال : يا طلحة ، انكم قتلتم عثمان ولم نغضب له إذ لم تغضبوا ، ثم بايعتم علياً وبايعنا من بايعتم ، فان كان قتل عثمان صواباً فمسيركم لماذا ؟ وان كان خطأ ؟ فحظكم منه الأوفر ونصيبكم منه الأوفىٰ ، فقال طلحة : يا هذان ان صاحبكما لا يرىٰ انّ معه في هذا الأمر غيره وليس علىٰ هذا بايعناه ، وأيم الله ليسفكن دمه ، فقال أبو الأسود : يا عمران ! أما هذا فقد صرّح انه إنما غضب للملك ، ثم اتيا الزبير فقالا : يا أبا عبدالله ، إنا اتينا طلحة . فقال الزبير : ان طلحة وإياي كروح في جسدين ، وانه والله يا هذان ! قد كانت منّا في عثمان فلتات احتجنا فيها إلى المعاذير ، ولو

استقبلنا من أمرنا ما استدبرنا نصرناه .

هكذا نرىٰ في جميع ما مر أن عثمان وآل أمية وطلحة والزبير وعائشة واشياعهم إنما الدين لهم كما قال الامام السبط الحسينعليه السلام الشهيد سيد شباب أهل الجنة وريحانة رسول اللّهصلى الله عليه وآله : **«الدين لعلق علىٰ ألسنتهم يدورونه أينما درت معائشهم ، فإذا محّصوا قل الديّانون»** .

٤ ـ الزبير :

وقد مر ذكره ، هذا هو الزبير بن العوام أحد العشرة المبشرة وأحد أعضاء الشورىٰ الستة ، وزوج اسماء أخت عائشة ، بنت أبي بكر ، وابن عمة أميرالمؤمنينعليه السلام ، هذا الزبير الذي كان في بادئ أيامه مع علي ، وجرد سيفه دفاعاً عن حق عليٍّ يوم جاء عمر بن الخطاب وجماعته إلى دار الامام علي وفيها الصحابة مجتمعين ، وفيهم الزبير لأخذهم وارغامهم للبيعة ، فكان الزبير من المدافعين عن حق علي المغصوب والناقمين علىٰ الغاصبين حق آل بيت الرسالة .

هذا الزبير الذي قال فيه رسول اللّهصلى الله عليه وآله لعلي يوم وجده يطريه انه سيقاتله مع الفئة الباغية وهو ظالم له ، هذا الحديث هو الذي ذكّره به الامام علي يوم التقىٰ الجيشان في حرب الجمل وتجنب الحرب .

هذا الزبير الذي ظل موالياً لعلي حتىٰ شب ابنه عبداللّه بن الزبير ونشأ تحت تأثير خالته عائشة التي ظلت من ألد أعداء آل البيت ، وغذته تلك العداوة والبغض لعلي وبنيه حتىٰ قال الامام عليعليه السلام : **لقد كان الزبير موالياً لنا حتىٰ شب ابنه عبداللّه** واستحوذ علىٰ افكاره وعقائده فأماله من المحبة إلى الخصومة ، وانقاد لابنه ولعائشة وطلحة واعلن بعد الولاء العصيان ، وأصبح من خصوم علي الأشداء ، وكان عاقبة أمره خسرىٰ .

ولسوف ترىٰ عنه وعن خصومته لعلي في حرب الجمل ، وقبل أن يذكّره

الامام بحديث رسول اللهﷺ الذي قبله وترك الحرب ، ستجده كيف اشترك مع طلحة وعائشة في اثارة الفتنة العظيمة والحرب الطاحنة في البصرة ، وكيف قتل علىٰ يده ويد أعوانه العشرات بل المئات من خيرة الصحابة والمسلمين غدراً ، وقتلوهم صبراً دون ذنب أذنبوه ، أو جناية جنوها سوىٰ أنهم لم ينصاعوا لأقوال الفئة الباغية المنكرة ولمحض اتبعوا الحق .

وقد كان الزبير ممن افتىٰ بقتل عثمان بقوله : اقتلوه فقد بدّل دينكم . فقالوا له : ان ابنك يحامي عنه بالباب فقال : ما أكره أن يقتل عثمان ولو بدأ بابني ان عثمان لجيفة علىٰ الصراط غداً . رواه ابن أبي الحديد في شرحه ج ٢ ص ٤٠٤ .

وجاء في حديث وقعة الجمل لجمع من الحفاظ ، وما أخرجه الطبري ج ٥ ص ٢٠٤ ، والمسعودي في مروج الذهب ج ٢ ص ١٠ ، وابن الأثير في كامله ج ٣ ص ١٠٢ : ان علياً خرج علىٰ فرسه فدعا الزبير فتوافقا فقال علي للزبير : **ما جاء بك ؟** قال : انت ! ولا أراك لهذا الأمر أهلاً ، ولا أولىٰ به منّا . فقال عليّ : **لست له أهلاً بعد عثمان** . وعن المسعودي أجاب الزبير : أخرجني دم عثمان ، فأجابه علي : **قتل الله أولانا بدم عثمان** . وفي قول آخر : **أتطلب مني دم عثمان وأنت قتلته** ، كما أخرجه الحافظ العاصمي في زين الفتىٰ .

وفي حديث الطبري وابن الأثير قول عليٍّ للزبير : **قد كنا نعدّك من بني عبد المطلب حتىٰ بلغ ابنك ابن السوء ففرّق بيننا وبينك** ، وعظم عليه أشياء فذكر أن النبيﷺ مر عليها فقال لعليٍّ : **ما يقول ابن عمتك ؟ ليقاتلنّك وهو لك ظالم** . فانصرف عنه الزبير وقال : فاني لا أقاتلك ، فرجع إلى ابنه عبدالله ، فقال : مالي في هذه الحرب بصيرة . فقال له ابنه : انك قد خرجت علىٰ بصيرة ، ولكنك رأيت رايات ابن أبي طالب ، وعرفت ان تحتها الموت فجبنت ، فاحفظه حتىٰ أرعد وغضب وقال : ويحك اني قد حلفت له ألّا أقاتله . فقال له ابنه : كفّر عن يمينك

بعتق غلامك (سرجيس) فاعتقه وقام في الصف معهم .

وفي رواية أن علياً قال للزبير : **أتطلب مني دم عثمان ؟ وأنت قتلته . سلط الله على أشدنا عليه اليوم ما يكره . فاستجاب الله دعاء الامام فقتل هو وطلحة .**

وجاء عن المسعودي في ج ٢ ص ١١ : ان مروان بن الحكم قال يوم الجمل : رجع الزبير ، يرجع طلحة ، ما ابالي رميت ها هنا أم ها هنا ، فرماه في اكحله فقتله.

وبالامكان تفسير الرواية لقول مروان : رميت ها هنا أم ها هنا عن الزبير أم طلحة . أم هؤلاء ؟ أم جيش علي ؟

وأما ما مر من حديث عتق الزبير ليكفر عن قسمه لعلي فان كان مسلماً ومؤمناً فان مخالفة علي كفر ، وهو ان كان يؤمن بذلك لما حاربه ، فكيف يؤمن بالعتق والتكفير عن القسم ولا يخشى مخالفة امام زمانه وقتل الأبرياء ؟ قبلها وبعدها ، واقامة هذه الفتنة العظمى بين المسلمين ، فهنا ترى النفاق حتى بين الأب وابنه ، وخداع المرء حتى لنفسه ، وهذا أمرُّ النفاق واشقاه ، وأعظم الفسق والكفر .

واقول الكفر لأن علياً عليه السلام نفس محمد ﷺ وحسب ما مر في الجزأين الأوليين : مبغض علي فاسق وكافر ، وإذا عدنا إلى آية الولاية ، قوله : ﴿**إنما وليكم الله ورسوله والذين آمنوا الذين يقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة وهم راكعون**﴾ . الآية (٥٥) من سورة المائدة ، وان نص الآية بالولاية لله وللرسول ولعليٍّ ومخالفة علي عليه السلام هي مخالفة للنبي ﷺ ومخالفة النبي مخالفة الله ، وهو الكفر ، فأين من يعتقد بأن من أقسم وخالف فعليه الكفارة ، وهو يقوم بأعظم جناية بمخالفة ولي الله وقتل الأبرياء من المسلمين ، ومحاربة البررة الأتقياء من أحباء الله وأوليائه إلى خائب الفسقة الباغين وهو وطلحة وعائشة وبنو أمية ومن والاهم يعلمون حق العلم ، ان الامام علياً على الحق وهم على باطل ، ولكنه الملك .

جاء في نهج البلاغة ج ١ ص ٢٥٤ لأمير المؤمنين علي عليه السلام في الزبير وطلحة :

والله ما نكروا عليّ منكراً ولا جعلوا بيني وبينهم نصفاً وانهم ليطلبون حقاً هم تركوه، ودماً هم سفكوه، فان كنت شريكهم فيه فان لهم نصيبهم منه، وان كانوا ولوه دوني فما الطلبة إلّا قبلهم. وان أول عدلهم للحكم علىٰ أنفسهم، وان معي لبصيرتي، ما لبّست ولا لبّس علي، وانها للفئة الباغية فيها الحما والحمة[1].

وهذا كتاب ابن عباس حبر الأمة جواباً لمعاوية: وأما طلحة والزبير فانهما اجلبا عليه وضيّقا خناقه ثم خرجا ينقضان البيعة، ويطلبان الملك، فقاتلناهما علىٰ النكث، كما قاتلناك علىٰ البغي. راجع في ذلك شرح ابن أبي الحديد ج ٢ ص ٢٨٩، وكتاب نصر بن مزاحم ص ٤٧٢، وجاء في الامامة والسياسة ج ١ ص ٧٤، وكتاب صفين لابن مزاحم ص ٧٢، وغيرها.

قدم علىٰ حابس بن سعد سيد طي بالشام ابن عمه وأخبره انه شهد قتل عثمان بالمدينة، وانه سار مع علي إلى الكوفة، وكان له لسانٌ وهيبة، فغدا به حابس إلى معاوية، فقال: هذا ابن عمي قدم من الكوفة، وكان مع علي وشهد قتل عثمان بالمدينة وهو ثقة، فقال معاوية: حدثنا عن أمر عثمان، قال: نعم. وليه محمد بن أبي بكر وعمار بن ياسر وتجرد في أمره ثلاث نفر: عدي بن حاتم والأشتر النخعي وعمرو بن الحمق، ودب في أمره رجلان طلحة والزبير، وأبرأ الناس منه علي بن أبي طالب، ثم تهافت الناس علىٰ عليّ بالبيعة تهافت الفراش، حتى ضلّت النعل وسقط الرداء، ووطئ الشيخ، ولم يذكر عثمان ولم يذكروه.

وهاك الصحابي العظيم عمار بن ياسر، وهو من الخيرة الأبرار الأشداء في ذات الله من الآمرين بالمعروف والناهين عن المنكر. يعرفك مقام عثمان وصنعه وطلحة والزبير ونواياهما من خطبة خطبها في الكوفة قال: ياأهل الكوفة ان غاب

---

(١) الحما: مثل لغير الصافي وغير الطيب. والحمة هي سم العقرب كنىٰ بها الزوجة.

عنكم ابناؤنا فقد انتهت إليكم أمورنا ، ان قتلة عثمان لا يعتذرون من قتله إلى الناس ولا ينكرون ذلك وقد جعلوا كتاب الله بينهم وبين محاجيهم فيه أحيا الله من أحيا وأمات من أمات ، وان طلحة والزبير كانا أول من طعن وآخر من أمر ، وكانا أول من بايع علياً ، فلما اخطأهما ما امّلاه نكثا بيعتهما من غير حدث . راجع الامامة والسياسة ج ١ ص ٥٩ .

٥ ـ سعد بن أبي وقاص :

مر ذكره فهو أحد العشرة المبشرة ، وأحد أعضاء الشورىٰ وصهر عبد الرحمن ابن عوف اللذان أثارتهم العصبية الرحمية والمطامع الشخصية لانتخاب عثمان ، وسعد بن أبي وقاص هذا والي عمر بن الخطاب علىٰ الكوفة ولا تعزب عنه حقيقة من الحقائق من ذوي الحق ، ومن هو أولىٰ بالخلافة علماً وسابقة وتقوىٰ وشجاعة واجتهاد وادارة وطهارة وقرباً لله ولرسوله ﷺ ، ومن نزلت فيه الآيات ومن هو أخو رسول الله ، ووصيه بل نفسه ، والمنصوص عليه بالولاية ومن بغضه ومناوأته نفاق ، وحبه ايمان ، لا أبداً لا يجهل سعد كل ذلك ، ويعرف ان عثمان أموي متعصب لبني عمومته وذويه ، بيد حب الملك وحب الجاه والبقاء علىٰ الولاية والتقرب إليه ولعبد الرحمن ، كل ذلك ادناه من عثمان وبعدّه عن علي عليه السلام الذي يعرفه انه سوف يسير بالمسلمين سيرة المساواة وليس له فيه مطمع مال أو جاه أكثر ممن هو أكثر سابقة منه وأوسع علماً وتقوىٰ واجتهاد واخلاص وبر واحسان ، وقد وجدنا ان عثمان قد خيّب آماله ، كما خيب آمال عبد الرحمن بن عوف ، فعوض ان يضم لسعد ولاية أخرىٰ كما فعل لمعاوية ، وإذا به ينزعه من الكوفة ليولي عليها الوليد ، ذلك الفاسق الفاجر الخبيث السكير .

وبعدها سعداً ذلك الصبي الأرعن مما أثارت ثائرة الصحابة جمعاء ، وأخص منهم عبد الرحمن وسعداً . وليته أعاض عن سعدٍ من هو خير منه سابقة وعلماً

وتضحية واخلاصاً وتجربة وسناً وفضائل وكرامات ، لا أبداً ، تلك كانت خيبة الأمل التي انهال بها الصحابة باللوم على عبد الرحمن بن عوف ، ذلك الرجل الضعيف الذي خان ضميره وخان الأمة الاسلامية ، وخان الله ورسوله ووصيه وأخاه وذريته ، وتابعه على تلك الخيانة العظمى سعد ، وما أحسن قول الشاعر :

ومن يصنع المعروف في غير أهله يكن حمده ذماً عليه فيندم

وهذا سعد الثاني الذي خسر الدنيا والآخرة ، وهذا سعد الذي رفعه عمر بن الخطاب من الصحابي العادي إلى أن جعله من الستّة أهل الشورى ، قريناً لعليٍّ عليه السلام ذلك الامام الأوحد والولي المنصوص عليه في الكتاب والسنّة ، فلقى من عثمان ما لقى ، وإذ كان عبد الرحمن يطلب من الناس الاسراع بخلع عثمان وايقافه عند حده ، ويطلب من عليٍّ عليه السلام أن يعاضده بالسيف على عثمان ، فان أحد أعوانه إنما هو سعد ، فهذا سعد إذ يكره عثماناً وفعاله لا يرضى أن يتولى الخلافة علياً ، الذي خاصمه من قبل .

وإذ هو يوجه التهمة الصارمة لقاتليه لا يريد أن يبرئ علياً منها في الوقت الذي تعترف بني أمية ، كما مر وكما يلي ، ببراءة علي على لسان مروان[١] وغيره ، ولكنهم يصرحون انه لا تقوم لهم قائمة إلّا باتهام أبي الحسن عليه السلام .

فنرى سعد يخلط في قوله ويدس ويزيف بدون أن يعلم ان ما يقوله يشهد عليه العارفون ببراءة علي ونفاقه هو وحسده وبغضه لأبي الحسن ، وقد شهد على نفسه انه خذل عثمان ، في حين كان بامكانه أن ينصره ، وانه يوم أجمع المهاجرون والأنصار وكافة المسلمين على البيعة لعلي عليه السلام كان اعتزل ذلك هو وشرذمة شاء

---

(١) راجع صواعق ابن حجر ص ٣٣ وكيف يعترف مروان بدفاع علي عن عثمان ويبرؤه بيد يقول لا يستقيم ملكنا بدون توجيه التهمة له .

اللّٰه عزوجل أن يخسروا الدنيا والآخرة .

واني اسوق لك حديث سعدٍ وطعنه بالمؤمن والفاجر والبر والفاسق والمظلوم والظالم ، ورغم ذلك لم يستطع أن ينقذ نفسه ، كما جاء علىٰ سره ابنه عمر بن سعد يوم ترأس جيش ابن زياد لقتل الحسين عليه السلام وهو يعلم أي رذيلة وجناية يقدم عليها ، ولكنه الخبيث يمني نفسه بملك الري الذي أوعده به ابن زياد فحرمه اللّٰه منه ، وحسب انه سوف يتوب ويغفر اللّٰه له وهو يتمثل بالأبيات الشعرية التي منها :

ءأترك ملك الري والري منيتي أم أصبح مأثوماً بقتل حسين

ولكنه قتل الحسين ولم يجده تأنيب الضمير ولوم المسلمين البررة ، كل ذلك ليفوز بملك الري ، بيد عدىٰ انه لم يحصل علىٰ ملك الري اصبح تحت رحمة المختار فقتله شر وأرذل قتله علىٰ فراشه وخسر الدنيا والآخرة ، وهكذا عمل أبوه من قبل . وإليك جوابه لعمرو بن العاص ، وهو المنافق الفاجر الانتهازي الآخر ، الذي كان يترنح انه من أقطاب المؤامرة التي أدت لقتل عثمان ، كما يأتي شرحه .

أخرج ابن قتيبة في الامامة والسياسة ج ١ ص ٤٣ : ان عمرو بن العاص كتب إلى سعد بن أبي وقاص يسأله عن قتل عثمان ، ومن قتله ، ومن تولىٰ كيده ، فكتب إليه سعد :

انك سألتني من قتل عثمان ؟ واني اخبرك انه قتل بسيف سلته عائشة ، وصقله طلحة وسمه ابن أبي طالب ، وسكت الزبير وأشار بيده وأمسكنا نحن ولو شئنا لرفعناه عنه ، ولكن عثمان غير وتغير وأحسن وأساء ، فان كنا احسنّا فقد احسنّا وان كنا أسأنا فنستغفر اللّٰه .

وسيأتي حديث عمرو بن العاص وانه أدرىٰ بمن قتل عثمان وانه هو الذي افتخر بانه دبّر قتله ، وانه الثاني الذي آلّب علىٰ عثمان يوم خلعه من ولاية مصر ، وولاها لابن أبي سرح الذي لا يعده كفئاً له ، وكم حاجج عثمان حياً وطعن فيه ،

فما باله اليوم يسأل سعداً وهو يعرف سعداً موتور من عثمان وأحد أعضاء الشورىٰ وصهر عبد الرحمن وقرينه . ومثله مما نزل به من عثمان وآل أمية واليوم جاءا يتساءلان عن قاتليه ، وهما أشد عليه ولا يترقبان من اللّٰه ومن الناس إلاّ ولا ذمة باتهام الأبرياء حينما يقول سمّه ابن أبي طالب ، وماذا يعمل ابن أبي طالب وقد دافع عنه حتىٰ بات يخاف اللّٰه وبات يستحي من المسلمين المضطهدين ان يضعوه في صف الظلمة إذ يدافع عنهم .

نعم عثمان يعرف ، وآل أمية تعرف حق المعرفة والجميع يعرفون علياً لا تأخذه في اللّٰه لومة لائم ، وانه اقضىٰ الأمة ، وانه يعرف أعمال عثمان المنكرة التي هي أشد من القتل ، بيد يعرف ما تقوم علىٰ أثرها من الفتن .

وأعود لاعلن عن نفاق هذا المنافق الفاجر عمرو بن العاص الذي وجد بغيته عند معاوية ، وان الطيور علىٰ أمثالها تقع ، فأين هو من العادل التقي البر الرؤوف ، وان يجد عنده مطامعه وقد انهىٰ بغيته بقتل عثمان ، واليوم يريد أن يشيد ملكاً لا يجده عند عليٍّ وآل الرسول ، بل تلك انما هي عند معاوية الكافر الفاسق الفاجر ، وآل أمية الاراذل الملاعين والطلقاء المستهترين والذين اتخذوا مال اللّٰه دولاً وعباده خولاً ودينه دغلا .

قال الطبري في تاريخة ج ٥ ص ١٢١ ، عن أبي حبيبة : نظرت إلى سعد بن أبي وقاص يوم قتل عثمان دخل عليه ثم خرج من عنده وهو يسترجع مما يرىٰ علىٰ الباب ، فقال له مروان : الآن تندم ! أنت اشعرته ، فاسمع سعداً يقول : استغفر اللّٰه لم أكن اظنّ الناس يجترؤن هذه الجرأة ، ولا يطلبون دمه ، وقد دخلت عليه الآن فتكلم بكلام لا تحضره أنت ولا أصحابك ، فنزع عن كل ما كُره منه واعطىٰ التوبة . وقال : لا اتمادىٰ في الهلكة ، ان من تمادى في الجور كان أبعد من الطريق ، فانا أتوب وانزع ، فقال مروان : ان كنت تريد أن تذبَّ عنه فعليك بابن أبي طالب فانه

متستر ، وهو لا يحبه . فخرج سعد حتىٰ أتىٰ علياً وهو بين القبر والمنبر فقال : يا أبا الحسن ! قم فداك أبي وأمي ! جئتك والله بخير ما جاء به أحد قط إلى أحد ، تصل رحم ابن عمك وتأخذ بالفضل عليه ، وتحقن دمه ، ويرجع الأمر علىٰ ما تحبّ قد أعطىٰ خليفتك من نفسه الرضىٰ . فقال علي : **تقبل الله منه يا أبا اسحاق ! والله مازلت أذب عنه حتىٰ اني لاستحي ، ولكن مروان ومعاوية وعبدالله بن عامر وسعيد بن العاص هم صنعوا به ما ترىٰ ، فاذا نصحته وأمرته أن ينحيهم استغشني حتىٰ جاء ما ترىٰ** ، قال : فبينا هم كذلك جاء محمد بن أبي بكر فسار علياً فأخذ علي بيدي ونهض عليٌّ وهو يقول : **وأي خير تؤتيه هذه ؟** فو الله ما بلغت داري حتىٰ سمعت الهائعة : ان عثمان قد قتل . فلم نزل والله في شر إلى يومنا هذا .

صدق علي عليه السلام فلقد حاول مراراً اصلاح الأمر وجلب رضا المسلمين واستتاب عثمان واعطاه عهداً ، وإذ عاد للمسلمين واعطاهم عهداً نكث عثمان وأراد ان ارسل للأمصار للفتك بمن تظلم من الرجالات المرموقين من الصحابة ، وزعماء المسلمين ، وقد قبضوا علىٰ رسائله المرسلة واعترف بختمه وغلامه ، وبعد تبرأ ، بل ازاد حينما خاطبه من اذن تتهم ، وإذا به يقول : اتهمك انت ، وهو وبني أمية يعلمون كل العلم ببراءته ، ولو شاء أبو الحسن عليه السلام لتدخل التدخل المسلح في الأيام الأولىٰ من السقيفة والقوم لا زالوا ضعفاء ، لا اليوم واقطار الاسلام تحت زعامة بني أمية وأشياعهم .

نعم كلما يحقدون علىٰ أبي الحسن عليه السلام انه الرجل المرموق بنزاهته في نظر المهاجرين والأنصار ، والرجل الذي تجمعت فيه كل صفة الخلافة من الله ورسوله صلى الله عليه وآله والناس ، كل صفة الخلافة علماً وسابقة وتقوىٰ وتجربة وفطرة ، وبرهن في كل أدوار حياته باخلاصه لدين الله وفي ذات الله ، وبني أمية تعلم ذلك ويعلم عثمان ومروان ، فهم يحنقون عليه ، إذ هو المعتمد الواقعي والملجأ

العامة والخاصة ، ولهم متىٰ ضايقتهم الازم ، ولو أنهم قبلوا نصحه وساروا ، ولو ببعض ما جاء به الاسلام ، لما سار أبو بكر وعمر لما بلغ الأمر إلى قتل عثمان ، ولكنهم نبذوها جميعاً وراء ظهورهم واستخفوا بالكتاب والسنّة والمسلمين ، وبلغت بهم الوقاحة انهم يعيبون ويكيلون التهم لكل آمر بمعروف أو ناهٍ عن منكر انهم يريدون الفتنة ، والله لهم بالمرصاد .

٦ـ عبد الله بن عباس :

الجد الأكبر للخلفاء العباسيين ، وابن عم رسول اللهﷺ وابن عم أميرالمؤمنين علي بن أبي طالبعليه السلام ويطلق عليه حبر الأمة . كان عدىٰ انه من الصحابة الهاشميين ، كان عالماً مجتهداً متبحراً ، ومن ذوي الآراء السديدة ، وأحد الأفراد الذين يومئ إليهم بالبنان ، ولطالما كان يصطحبه الخليفة الثاني في حله وترحاله ، وكان له معه أحاديث وأقوال ، وهو الذي أدلىٰ إليه بحديث القلم والقرطاس الذي طلبه رسول اللهﷺ في مرض موته ، وحال دونه عمر . وهو الذي جادل عمر حينما أراد أن يلوم علياً ، وقد مرت أحاديثها في الموسوعة في الكتاب الرابع للخليفة الثاني عمر بن الخطاب .

وهو من الأفراد القلائل الذين لا يستغنئ عن مشورتهم الخلفاء ؛ عمر وعثمان وعليعليه السلام . ولم يخف علىٰ ابن عباس دقائق الأمور الجارية في البلاد الاسلامية وأعاظمها من زمن رسول اللهﷺ ومن أتىٰ من بعده ، وهو رغم مقامه الشامخ كان ممن حافظ بقدرة بصيرته وسلوكه من أن يكون حلقة الوصل بين آل البيت وانداهم ، ويسايرهم رغم ما يشعر به من هضم الحقوق وابعاد بني هاشم ، ورغم ما يشعرون به من عظم الشكيمة ، والعلم الغزير ، ووسعة الفكر فلم يحظ منهم بالحظوة أكثر من المشاورة والمجاملة ولم يحظ بما حظي به الأذناب والطلقاء أمثال معاوية وأخوه سعيد وعمرو بن العاص والمغيرة بن شعبة ، والولاة الآخرين

الذين لا يعدون شيئاً بالنسبة لسابقة ابن عباس وقربه من رسول اللهﷺ وقدرته الفكرية والادارية والسياسية ويدل علىٰ ذلك ما كنا نرىٰ اهتمام عمر بن الخطاب به، واهتمام عثمان به ايضاً، وقد كان في الأيام الأخيرة التي أصبح عثمان في ضيقه كان يوجه ابن عباس ليكون وسيطاً بينه وبين الامام علي بن أبي طالبؑ.

فمرة نراه يرسل ابن عباس طالباً منه أن يترك علي المدينة والابتعاد منها إلى الينبع، وفي أخرىٰ ان يكون له وسيطاً لابعاد المهاجرين والأنصار وباقي المسلمين، وصدهم لما تجمهروا علىٰ خلعه، وأخيراً نرىٰ عثمان يطلب من ابن عباس أن يكون أمير الحج من المدينة إلى مكة بالمسلمين، وهكذا نراه يتوجه في أشد أيام عثمان العصيبة إلى مكة، وهنا يرسل عثمان نافع بن طريف بكتابه إلى الحجيج يستنجد بهم علىٰ أهل المدينة، ويستغيث بهم في الوقت الذي هو محصور في داره، في هذه اللحظة العصيبة يقوم نافع بن طريف ويتلو كتاب عثمان علىٰ الناس، في الوقت الذي كان ابن عباس يخطب علىٰ الناس، وعندها نجد ابن عباس لم ينبس ببنت شفة تأييداً لعثمان والذب عنه، وهو ابن عم رسول اللهﷺ وذو الكلمة المسموعة.

ذلك الذي نرىٰ عائشة وهي أشد الحانقين علىٰ عثمان والداعية إلى قتله تتوسل إلى ابن عباس أن لا يغيث عثمان أو يدعو الناس لاعانته، ولم يكن ابن عباس من الغباء وهو يرىٰ وقد اجمع المهاجرون والأنصار واقطاب الصحابة بل المسلمون من أقصاهم إلى اقصاهم. ففي الوقت الذي يريد كافة المسلمون خلع الخليفة المنصوب بيد عبد الرحمن بن عوف وسعد بن أبي وقاص، وهم منذ اليوم الأول مقهورون علىٰ أمرهم وغير راضين، حتىٰ بلغ السيل الزبىٰ، ولم يبق في النفوس من مدافع.

في الوقت الذي خرج المسلمون من عالم الظن إلى عالم الحقيقة في عثمان فقد

رفضوه وخشوا نصبه المشؤوم يوم الشورىٰ ، وثـارت ثـائرتهم أخـص مـنهم الصحابة المقربون ، وإذا كان عمر بن الخطاب تنبأ ان عثمان سيولي بني أمية رقاب الناس وأمواله فيتخذون عباد اللّٰه خولاً وماله دولاً ودينه دغلاً ، فـاليوم خـرج الأمر من صيغة النظرية إلى الحقيقة الواقعية .

كل ذلك وابن عباس من اولئك الذين اصيبوا بالمصيبة الأولىٰ يوم السـقيفة ، وبعدها يوم عهد أبو بكر لعمر بالخلافة دون مشورة المسلمين ، وحتىٰ رغم من اعترض منهم أمثال طلحة ، ويوم الشورىٰ وما أدراك ما يوم الشورىٰ ، وهل يروق لابن عباس أن يرىٰ وليداً وسعيداً ومعاوية وعبداللّٰه بن أبي سرح وأمثالهم ، بأمر عثمان يتقلدون أرقىٰ مناصب الدولة في البلاد الاسلامية ، بما هم فيه من الخسة والجريمة والرذيلة ، كما مر ، وعثمان ينكل بأعظم الصحابة المجاهرين له عـن فضاعة أعماله ، وهو يتهمهم بأنهم من أهل الفتنة . وماذا عساه أن يقول حتىٰ إذا غلب عليه الأمر اعترف بذنبه واستغفر مقهوراً وهو يكيل لكـل صـحابي عـظيم ويتهم الجميع بالكفر والردّة لماذا ؟ لأنهم وجدوا فـيه أنـه الرجـل الذي أوقـف الحدود ، وعطل كتاب اللّٰه وسنّة نبيه ، وتجاهر بالجور والظلم ، وعاهدهم بالعدل ثم نكث العهد ، واليوم يستغيث وبمن يستغيث ؟ إلّا برعاع الناس المغلوب علىٰ أمرهم ، وبمن يستنجد ؟ وعلىٰ من يريد الغلبة ؟ وهو يدعي التـوبة وقـد تـاب ونكث ، ويدعي انهم لا يصغون لقوله وحجته ، وهو العكس فهو وحـده الذي لا يصغي لحجتهم وقد اعيتهم الحيلة معه ، وهو العوبة بيد مروان الوزغ ابـن الوزغ اللعين الطريد ابن اللعين الطريد .

نعم هذا هو ابن عباس وقد وصف عثمان للسائل الذي سأله عـن رأيـه فـي الخلفاء وبقوله : الهته نومته عن يقضته ، وهذا ضعف وأقل ما يمكن أن يوصف به عثمان ، وربما كان يوم سأله في ضيق من تأليب بني أمية عليه . فقد جـاء فـي

الاستيعاب مما أخرجه ابو عمر ، قال : جاء ناس إلى ابن عباس فقالوا : جئناك نسألك ، فقال : سلوا عما شئتم ، فقالوا : أي رجل كان أبو بكر ؟ فقال : كالخير كله علىٰ حده كانت فيه . قالوا : فأي رجل كان عمر ؟ قال : كان كالطائر الخور الذي يظن ان له في كل طريق شركاً . قالوا : فأي رجل كان عثمان ؟ قال : رجل الهته نومته عن يقظته . قالوا فأي رجل كان علي ؟ قال : كان قد ملئ جوفه حكماً وعلماً وبأساً ونجدة مع قرابته من رسول اللهﷺ ، وكان يظن ان لا يمد يده إلى شيء إلّا ناله ، فما مد يده إلى شيء فناله .

والذي يهمنا هنا إنما هو نظر ابن عباس المجمل في عثمان دون غيره ، فماذا يقصد عن نومة عثمان سوىٰ غفلته بما جلب له حب آل أمية وآل بني معيط ؟ والحب يعمي ويصم ، فترك كل شيء في أيديهم ونام نومته التي ما كاد ينتبه بها إلّا وعاد وله مروان ومعاوية وسعد والوليد والحكم وأبو سفيان لاغفاله واعراضه ، وتلاعبهم بالأمة الاسلامية والفتك بصلحاء الأمة وتقديم الأشقياء ، مما سبب التفرقة والوهن والضعف المعنوي والخلقي إلى يومنا هذا .

وان من تكن صفته هذه بنظر ابن عباس هل يجوز أن يكون خليفة للمسلمين ؟ واقامة الحدود ونصوص الكتاب والسنّة وولاة الأمر من الفجرة الأذناب والمنافقين المستهترين ؟ وهل تدل سيرة وادارة الخليفة وانتخاب امثال هؤلاء العمال سوىٰ علىٰ صفة الخليفة ؟ فالعمل صفة العامل ، والادارة صفة المدير ، كما الكلام صفة المتكلم ، وإلّا كيف تعبّر عن عثمان صفة تركه خيرة الصحابة وأتقاهم وأنزههم وأعلمهم وأشدهم حرصاً علىٰ سلامة الأمة والدين ، وانحيازه إلى أعداء الاسلام من الطلقاء والملاعين الطرداء من رسول اللهﷺ ، وترك نفسه العوبة بيدهم يفعلون ما يشاؤون ، وويل لمن اعترض عليهم ، حيث وصمه بالفتنة والخيانة ، والكفر والزندقة والارتداد .

إذا عــيّر الطـائي بـالبخل مـادر وعــيّر قســاً بــالفهاهة بــاقل
وقالت سهىٰ للشمس انت ضئيلة وقال الدجىٰ للصبح لونك حــائل
وطالت الأرض السـماء تـفاخراً وفاخرت الشهب الحصىٰ والجنادل
فـيا مـوت زر ان الحـياة ذمـيمة ويا نفس جدي ان دهرك هـازل

فهذا الخليفة مرجع الشكوىٰ ومنه الشكوىٰ :

إلى الماء يسعىٰ من يغص بـلقمة إلى أين يسعىٰ مـن يـغص بـماء

فماذا يعمل المسلمون في الشرق والغـرب ، والكـل يـتضورون مـن خـليفة وخلافة حاكتها له يد الشورىٰ ، بل يد السقيفة لضرب أحباء الله ، وتسليط أعداء الله علىٰ دينه وأمة محمدﷺ ، واقامة الفتن ، فهل ترىٰ من ابن عباس الا أن يوجز باحسن من هذا الايجاز ، وخير الكلام ما قل ودل .

ولم يستطع ابن عباس أن يجاهر لعدم رضاه من الخليفة باعظم من هذا ، عن خليفة غافل عن شؤون الأمة ، ويحكمها كما يحكم النائم ، كـما تـفعل الأهـواء بالنائم أن يعمل طبق غرائزه المجردة عن سلطة العقل والارادة .

ذلك المثل الذي ضربه أفلاطون لأتعس الحكام المسلطون علىٰ رقاب الشعب حين يقول : يعمل في يقظته ما يعمله النائم في رقدته مجرداً من سـلطة العـقل ومتحفزاً تحت تأثير الغرائز المكبوتة ، تـقوده حـيث شـاءت وأنـىٰ ارادت دون يردعه عن طيشه رادع العلم والحكمة والمنطق السليم .

وإليك كلمة أم المؤمنين عائشة التي تقدر مقام ابن عباس العلمي وحـنكته ، فتخاطبه وهو أمير الحج في احدىٰ منازلها قالت : يابن عباس ! ان الله قد اتاك عقلاً وفهماً وبياناً فاياك أن ترد الناس عن هذا الطاغية .

وإليك ما حكاه ابن أبي الحديد في شرحه والطبري في تاريخه : وكـان ابـن عباس من ذوي البصيرة ، ويرىٰ تسلط بني أمية أخصّ منهم معاوية فهو في الوقت

الذي يرىٰ فيه ضعف عثمان يجد تفسخ وتشتت الأمة الاسلامية وضعفها امام هؤلاء الطغاة أخص منهم معاوية الذي استنجد به عثمان في أيام حصاره ، ولكنه تجاهل حتىٰ قتل . ولا يشك أحد ان بني أمية وأخص منهم معاوية كانوا يدبرون الأمر لهم ، كما تنبأ بذلك الخليفة الثاني عمر بن الخطاب يوم أشار إلى معاوية انه كسرىٰ العرب ، وكان يدربه ويقدمه علىٰ غيره من ولاته حتىٰ كان يوم اجتمع عنده اعضاء الشورىٰ المدبرة بمكيدة لنقل السلطة إلى بني أمية بشكل لا تعدو عثمان وان عدته فهناك معاوية بالمرصاد ، ولهذا حذر أفراد الشورىٰ وهددهم بمعاوية وابن العاص من المخالفة ، ولم يكن تهديد عمر إلّا لعليّ بعد أن شد عضد عثمان بعبد الرحمن وسعد بن أبي وقاص والباقين ضد علي وطلحة والزبير كما تشهد بذلك حرب الجمل .

ولم يعزب عن ابن عباس حبر الأمة نفوذ بني أمية فلم يستطع أن يجاهر بأكثر مما جاهر به ، وهو يعلم ان بقي عثمان فبيده الأمر ، وان قتل فمعاوية بالمرصاد . وكان يخشىٰ توليته الأمر ويحذره ، وذلك ظاهر من قوله للامام علي يوم أجمع الكل علىٰ بيعته وأراد أن يرسله إلى معاوية ويوليه ولاية الشام ، حيث قال له أميرالمؤمنين علي عليه السلام : اذهب أنت إلى الشام فقد وليتكها ، فأجاب ابن عباس : اني أخشىٰ معاوية أن يقتلني بعثمان أو يحبسني لقرابتي منك ، ولكن اكتب معي إلى معاوية فمنّه وعده . راجع بذلك تاريخ ابن كثير ج ٧ ص ٢٢٨ ، والكامل لابن الأثير ج ٣ ص ٨٣.

هكذا ترىٰ بعد نظر ابن عباس وسعة بصيرته ، وقد حققت الأحداث ذلك . وثبت بما هدد معاوية ابن عباس بعد تولية الخلافة واتهمه بالاشتراك في قتل عثمان ، كما جاء في شرح ابن أبي الحديد ج ٤ ص ٥٨ . قوله في رسالة ارسلها له : لعمري لو قتلتك بعثمان رجوت أن يكون ذلك للّه رضا ، وأن يكون رأياً صواباً ،

فانك من الساعين عليه ، والخاذلين له ، والسافلين دمه ، وما جرىٰ بيني وبينك صلح فيمنعك عنّي ولا بيدك أمان .

ومعاوية لا يخفىٰ عليه ان علياً وابن عباس اللذين دالت لهم الأمور والبيعة إنما هم من أقطاب الاسلام ومطمح أنظار المسلمين ، وقد انهارت النـهضة الصـالحة وعادت دولة لبني أمية كما شادها أبو بكر وعمر وعثمان ، ولا يخفىٰ علىٰ معاوية حقيقة ابن عباس ، انه ممن لا يرضىٰ بعثمان خليفة ، لأنه غير وبدل وجاء بـبني أمية، فكيف يرضىٰ بمعاوية ؟ وهنا أراد معاوية ان لم يقتله وإلّا ليجعله في حذر دائم ورهبة مستديمة ، ويلقي عليه تبعة قتل عـثمان ، وهـو ان قـال له : أعـان لخذلانه، فقد صدق، فلم يكن ابن عباس شاذاً عن جماعة خيار الأمة والمسلمين ، الذين اجمعوا علىٰ خلع عثمان وعدم صلاحيته للخلافة التي ارغموا عليها ، ودون مشورتهم ، وهذا عثمان الذي غيّر وبدل ثم صعد المنبر واستغفر اللّٰه واعطىٰ عهداً للمسلمين من المهاجرين والأنصار من أهل المدينة ومن حضر من كافة الأقطار علىٰ اقامة حدود اللّٰه وكتابه وسنّة نبيه واعترف بذنوبه ، ثم كتب لهم بعزل صبيان بني أمية الفجرة ، ولكنه في الخفاء ، نكث العهد وابقىٰ من كان ، وما كان ، وأمـر بالفتك بالمتظلمين الشاكين من الصحابة والمسلمين حتىٰ نكث عليه عـمله ولم يأمنوا منه ، ولم يأتمنوا هديته وعهوده ، ولج بالبقاء ، رغم اجماع الأمة علىٰ خلعه، وإذا به يكتب سراً مرة أخرىٰ إلى معاوية وبقية الولاة ويكتب إلى الحجج ويتظلم إليهم خدعة ومكيدة ، ويقول : من عبداللّٰه عثمان أميرالمؤمنين إلى من حضر الحج من المسلمين . أما بعد : فاني كتبت إليكم كتابي هذا وأنا محصور أشرب من بئر القصر ولا آكل من الطعام ما يكفني خيفة ان تنفد ذخيرتي فأموت جوعاً ، أنا ومن معي ، لا ادعىٰ إلى توبة أقبلها ، ولا تسمع مني حجة أقولها فانشد اللّٰه رجلاً من المسلمين بلغه كتابي إلّا قدم عليَّ فاخذ الحق فيَّ ومنعني من الظلم والباطل .

راجع بذلك ابن قتيبة ، وعندما تتحقق الأمر تجد ان من كتب الكتاب انما هو مروان بعلم منه ، وهم إنما يريدون وينتظرون امداداً لولاة من آل أمية للوقيعة بالصحابة والمؤمنين . ولذا نرىٰ ابن عباس وهو يسمع رسالة عثمان كما سمعها المسلمون لم ينبس أحدهم بكلمة معونة لعثمان ، بل يزداد حنق الجميع لما وجدوا تحت هذه الكلمات من الغدر والخيانة والكذب والمراء والبهتان .

وانظر إلى كتابه لمعاوية بن أبي سفيان ، قوله : أما بعد ، فان أهل المدينة قد كفروا واخلفوا الطاعة ونكثوا البيعة ، فابعث إليّ من قبلك من مقاتلة أهل الشام علىٰ كل صعب وذلول .

راجع تاريخ الطبري والانساب للبلاذري ، وعندها ترىٰ ان عثمان يتهم جميع المهاجرين والأنصار والصحابة والمؤمنين دون استثناء بالكفر ويتظلم إلى الطليق الفاجر الكافر ابن أبي سفيان لينقذه ويهلك الصلحاء والاتقياء لادامة ملك بني أمية . فخسر بذلك الدنيا وعند الله حسابه يوم الجزاء لما فعل بني أمية بعده من الفضائع والمجازر . كما كتب نفس كتابه المرسل لمعاوية إلى عبدالله بن عامر بن كريز في البصرة .

٧ ـ عمرو بن العاص :

عمرو بن العاص هو من الصحابة الذين برهنوا أنهم رجال انتهازيون متلونون حسب الظروف ، وعلىٰ حد قول رجال اليوم انه رجل سياسي ، لا رجل دين ويكيف نفسه حسب الظروف ، وليس الدين عنده سوىٰ مطية لبلوغ أهدافه ومراميه ، فهو ان وجد من يحاسبه كيّف نفسه بالشكل واللون الذي يسترضي أميره، وكيفما كان هذا الأمير صادق اللهجة، أو متظاهراً أو منافقاً أو فاجراً .

فقد عيّنه الخليفة الثاني عمر بن الخطاب علىٰ ولاية مصر ، وكان ابن العاص من الأذكياء الذين يعرف عمر حق المعرفة ويدرك أهدافه ومراميه وميوله ،

فسايره مسايرة المرؤس لرئيسه ، وتحمل منه ما كان يتفجر منه عند بعض خواصه متذمراً اقدار الزمان أن يكون أميره عمر بن الخطاب الذي كان في جاهليته لا يعد له شرف المحتد بالنسبة لأبيه ، ولطالما لعن الزمان ان جعله يصانع من لا يفتأ يتذكر أبوه الخطاب الذي كان يحتطب ويعيش على ذلك .

وقد اظهر كفاءة في ادارته تحت رقابة ابن الخطاب الحذر الغليظ أخص على عماله والذي كان يشاطرهم أموالهم ، كما مر في الجزء الرابع ، ماذكرناه أعلاه ، وأما في زمن عثمان فقد ابقاه عثمان ردحاً من الزمن كما كان في ولاية مصر ، بيد سرعان ما ترى ابن العاص يغتنم فرصة نوم عثمان عن يقظته تلك التي وصفه بها ابن عباس ، كما مر حينما ذكرنا ابن عباس ، فبدأ عمرو بن العاص في تغيير سلوكه تجاه الأفراد المولي عليهم والقيام باعمال ما كان يعملها في عهد بن الخطاب ، فاعطى فرصة لأعدائه والطامعين بولاية مصر ، أخص منهم بني أمية وآل معيط ، وإذا بعثمان يخص عبدالله بن أبي السرح في الأموال وجباية الخراج ، وترك ابن العاص للصلاة والامامة .

ولم يطل العهد حتى أفرد ابن أبي سرح بكلتاها وسلبها من عمرو بن العاص ، ومهما كان ابن العاص من الانحراف والنفاق والتلون بيد لم يكن يوماً ما بغيظاً من رسول اللهﷺ والصحابة ، كابن أبي السرح ، ولا كان لابن أبي سرح اللياقة السياسية والمداهنة والادارة كابن العاص ، ولم يكن ابن العاص ليسكت من عثمان لما أصابه من الاهانة والحيف . فجاء المدينة وأهاب بمن وجدهم من المسلمين والصحابة بما يفضح به بني أمية وعثمان والفضائع التي يقومون بها ، ولم يترك فرصة في المدينة أو خارجها إلّا ألّبها على الخليفة ، وحتى كان يشرح ترك عثمان للحدود والنصوص أمام كبار أهل البيت مثل عليعليه السلام وكبار الصحابة مثل طلحة والزبير ، وأمهات المؤمنين مثل عائشة ، وخارج المدينة ، حتى أرسل عليه

عثمان وهدده ، ولم يسكت عمرو من أن يجيب عثمان وظـل يـحرض عـليه ، وأخص فيما يخص مصر ، وهناك في مصر ولابن العاص أعوانه ومساعديه الذين اثاروا ما أثاروا علىٰ عثمان ، ولم يكن قولهم وانتقادهم في عثمان وظلم عماله وسوء سلوكهم وادارتهم واتباعهم الهوىٰ وتركهم كتاب اللّـه وسـنّة نـبيهﷺ إلّا حقيقة ، كأن لم يكن تهديد وتنديد عثمان بابن العاص من أنه لم يعامله بـالشدة والحذر كابن الخطاب ، حتىٰ تمادىٰ ابن العاص في الظلم وكثرت الشكاوىٰ عليه. فقد اصاب كل واحد الحقيقة في صاحبه ، كما دلت علىٰ ذلك النتائج والأخـبار والحوادث .

ولم ينكر ابن العاص انه اشد المثيرين علىٰ عثمان وانه من الداعين إلى قتله حتى قتل . وهذا ابن العاص الذي لم يترك خطيئة إلّا نسبها لعثمان ، مـن تـركه الحدود واعماله الظالمة وانتقاده المر له ، وإذا به يبيع دنياه لمعاوية الفاجر الكافر المنافق، مقابل حصوله علىٰ ولاية مصر . وهذا ابن العاص نفسه الذي يطري علياً ، ولكنه في الوقت نفسه يظهر له الحقد والحسد والبـغض، ويـميل عـنه إلى الفـئة الباغية، فئة معاوية وبني أمية . وهذا ابن العاص يهاجم معاوية يوم توليه الحكم واعتراضه عليه لقصديته الجلجلية فيهتك بها نفسه وبني أمية .

ونحن اليوم إذا وقفنا أمام المذياع لدولتين مـتعاديتين نـجد كـل دولة تـقدم نواقص الدولة الأخرىٰ وتدلي بالاسناد والبراهين ، وأنت إذا أردت الوصول إلى الحقائق فما عليك إلّا الاصغاء إلى المذياعين . كلما تجد ذلك فـي اذاعـة ابـن العاص وتشنيعه علىٰ عثمان ، وهو يظهر الحق امام المسلمين ، ولكنه في الوقت يقوم وقام بأعمال يخجل من فضاعتها ذوي الضمائر والوجدان .

واني الآن أقدم لك المصادر والاسناد لترىٰ هذا الصحابي كيف لا يأبه أن يطعن بعثمان ويتهم نفسه ويطري اعداءه . وتقدم الحقائق التي برهنت علىٰ سوء سيرة

عثمان بالمسلمين وترك الكتاب والسنّة وتسليطه اراذل بني أمية علىٰ أموالهم ورقابهم، وشهادة ابن النابغة عمرو بن العاص بمن أحق علىٰ تسيير دفة الحكم، وهو علي بن أبي طالب عليه السلام الذي كان ابن العاص في مقدمة الأنداد والمحاربين له مع الفئة الضالة الباغية.

وأنت إذا ما راجعت التواريخ لابن خلدون ج ٢ ص ٣٩٦، وابن كثير ج ٧ ص ١٧٠ و ١٧٥، والطبري ج ٥ ص ١٠٨ و ١١٠ و ١١٤ و ٢٠٣، والفائق للزمخشري ج ٢ ص ٢٩٦، وانساب البلاذري ج ٥ ص ٧٤، وابن قتيبة، ولسان العرب ج ٧ ص ٩٨ وتاج العروس ج ٣ ص ٥٩٢، وشرح ابن أبي الحديد ج ٢ ص ١١٣ و ج ١ ص ٦٣، والامامة والسياسة ج ١ ص ٤٢، والاستيعاب ترجمة عبدالله بن سعد بن أبي سرح.

فقد أخرج الطبري في تاريخه ج ٥ ص ٢٣٤: انه لما بلغ عمراً قتل عثمان قال: انا أبو عبدالله قتلته وأنا بوادي السباع، ثم قال: من يلي هذا الأمر من بعده؟ ان يله طلحة فهو فتىٰ العرب، وان يله ابن أبي طالب فلا أراه إلّا سيستنظف الحق، وهو أكره من يليه إليّ.

وإذا راجعت الكتابين الأول والثاني من موسوعتنا هذه لرأيت ان من يكره علي منافق وفاسق، بل كافر، وقد اعترف عمرو بن العاص قولاً، وجرىٰ عليه عملاً حين قاتله في صفين واتهمه بقتل عثمان وهو الذي اعترف بقتله. وقد أيد أبو عمر في الاستيعاب عند ترجمة عبدالله بن سعد بن أبي سرح ان عمرو بن العاص يطعن علىٰ عثمان ويؤلب عليه ويسعىٰ في افساد أمره. فلما بلغه قتل عثمان وهو معتزل بفلسطين في قصره بوادي السباع قال: إني إذا نكأت قرحة أدميتها. وأيد ذلك ما جاء في الاصابة ج ٣ ص ٣٨١.

هذا اعتراف عمرو بما قام به تجاه عثمان من التأليب عليه حتى قتله، ويدعو

إلى الجهاد ضده، ويخوفه بالله، وإذا به مع الفئة الباغية للأخذ بدم عثمان من أبرئ الناس من دمه، والذي جاهد ما استطاع للدفاع عن قتله ذلك علي بن أبي طالب عليه السلام.

فقد ذكر ابن قتيبة: ذكروا أن رجلاً من همدان يقال له «يرد» قدم علىٰ معاوية فسمع عمراً يقع في علي فقال له: يا عمرو أن أشياخنا سمعوا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول: من كنت مولاه فعلي مولاه، فحق ذلك أم باطل؟ فقال عمرو: حق وأنا أزيدك انه ليس احد من صحابة رسول الله له مناقب مثل مناقب علي، فقال عمرو: انه أفسدها بأمره في عثمان فقال يرد: هل أمر أو قتل؟ قال: لا! ولكنه اوىٰ ومنع! قال له: وأنت أيضاً قد اتهمت، قال: صدقت فيها، خرجت إلى فلسطين. فرجع الفتىٰ إلى قومه فقال: انا اتينا قوماً أخذنا الحجة عليهم من أفواههم، علي عليه السلام علىٰ الحق فاتبعوه.

وهذا ما جاء في الامامة والسياسة ج ١ ص ٩٣.

ولقد أعلن ابن العاص جهاراً لعثمان انحرافه يوم قام عثمان خطيباً بتحريض مروان بن الحكم بعد الحصار الأول، ودفع علي لاهل مصر وأخذ العهد من عثمان علىٰ اقامة الحدود ورفع الظلم وتبديل صبيان بني أمية عن كاهل الناس.

وعودتهم من المدينة لطرق مصر أهاب مروان بعثمان أن يقوم خطيباً ويعلن انه علىٰ حق، وان من جاء من الأمصار كانوا علىٰ خطأ، فجلس علىٰ المنبر، فحمد الله وأثنىٰ عليه ثم قال: أما بعد: ان هؤلاء القوم من أهل مصر كان قد بلغهم عن امامهم أمر فلما تيقّنوا انه باطل ما بلغهم عنه رجعوا إلى بلادهم. فناداه عمرو بن العاص من ناحية المسجد اتق الله يا عثمان فانك قد ركبت تهايير (أي مهالك) وركبناها معك فتب إلى الله نتب، فناداه عثمان: وانك هناك يابن النابغة! حمّلت والله خبيتك منذ تركتك في العمل، فنودي من ناحية أخرىٰ، تب إلى الله، وأظهر

التوبة يكف الناس عنك ، فرفع عثمان يديه مداً واستقبل القبلة فقال : اللّهم إني أول تائب تاب إليك ورجع إلى منزله . وخرج عمرو من المدينة إلى قصره بفلسطين ، وكان يقول : واللّه ان كنت لألقىٰ الراعي فاحرّضه عليه . وفي لفظ عثمان : ركبت بهذه الأمة نهاية من الأمر وزغت فزاغوا . فاعتدل أو اعتزل .

كما نقل الطبري في تاريخه ج ٥ ص ١٠٨ ، ٢٠٣ من طريق أبي عون مولىٰ المسوّر : عن حال عمرو بن العاص زمن عمر ثم زمن عثمان حتى عزله وجاء المدينة يطعن فيه ، فقابله وهدده ، وقابله عمرو بقوله : اتق اللّه في رعيتك ، ووجه كل للآخر التهم ، وعاد يشمخان بعهد الجاهلية وذكر الآباء ، وخرج عمرو يحرض من يجده في المدينة علىٰ عثمان ، ثم ترك المدينة في حصار عثمان الأول إلى قصره بفلسطين المسمىٰ بالعجلان ، ويتربص المارة ويسألهم عن عثمان حتىٰ علم بقتله ومعه ابناه محمد وعبداللّه وسلامة بن روح الجذامي وعندها قال : أنا أبو عبداللّه إذا حككت قرحة نكأتها ، ان كنت لاحرض عليه حتىٰ إني لاحرض عليه الراعي في غنمه في رأس الجبل .

فلم عمل عمرو ذلك ؟ كيف اتصل بمعاوية وهو الثاني من الخاذلين والمانعين عن عثمان وبعدها من المطالبين بدمه ، وهذا عمرو يعرف علياً ويعرف حقه وفضله وكراماته ويعرف براءته من دم عثمان ، وإذا به يؤلب عليه ويشنع كما فعل طلحة والزبير وعائشة ، التي سوف يرد ذكرها ، وفي حرب الجمل وكيف حرضوا علىٰ قتل عثمان ثم قام الجميع للمطالبة بدمه من الرجل البريء ، أخي رسول اللّه وأول المسلمين وأميرالمؤمنين وأعلم وأتقىٰ وأبر وأعدل وأشجع الأمة ، حسداً وحقداً . وان خسر عثمان نفسه فقد بلغ هدفه يوم اصبحت مقاليد الأمور بيد اشقىٰ الأمة معاوية ، ثم انتقلت إلى ابنه الفاجر وبعدها لمروان المنافق اللعين وأبنائه الفجرة الفاسقين عدىٰ عمر بن عبد العزيز ، فعاثوا بهذه الأمة ما شاءوا وقتلوا من

شاءوا من الأبرياء البررة من الصحابة والتابعين، وساروا بها حتىٰ حين وكأنها لحظات حتىٰ انهارت بهم فلم تغن عنهم شيئاً، وظلت مساؤهم ومخازيهم إلى أبد الآبدين، والله فوقهم، ولهم يوم عدله يوم الحساب سوء المعاد.

٨ـ معاوية بن أبي سفيان

وأما معاوية بن أبي سفيان، ذلك الفاجر الفاسق المنافق المكار الطليق ابن الطليق المخادع الكذاب الباغي الذي لم يأل جهداً عثمان ابن عمه، من اسداء الجميل له والاغداق عليه، وترك الحرية في تصرفاته وأعماله وان يقم له في ولايته المحدودة باقي ولايات الشام، ويشاوره في مقدمة من يشاور من سعد والوليد بن عقبة، وعبدالله بن سعد بن أبي سرح وأضرابهم، وقد وجد الفرصة سانحة كل السنوح بعد أن قوىٰ ملكه بالشام وخدع رؤسائها وأوباشها وأغفل عامتها في أواخر أيام عثمان، فقرر أن يستغل قتله وهو يرىٰ اجماع الأمة علىٰ عزله، فهو ان عزل ربما احالها لمن لا قدرة له علىٰ دحض حجته، فلم يجد بداً إلّا لخلق عذر لتسنم أمر الخلافة وضرب من تحال إليه بتهمته بالقتل والخذلان، وهو المتربص لذلك وأول الخاذلين لعثمان علىٰ بصيرة من أمره وسابقة اصرار علىٰ ارتكاب هذه الجريمة النكران في خذلان ابن عمه في نصائحه وارشاداته هو وبقية افراد الأمويين، ومن جهة ثانية وهي البلوغ إلى النتيجة، وهو ترك عثمان منتظراً ومتحفزاً الوصول للامدادات والمعونة العسكرية وضرب من في المدينة، التي أشار في رسالته لمعاوية بان أهل المدينة بما فيهم من ائمة المسلمين وخيرة الصحابة والمسلمين انهم قد كفروا.

نعم يوصمهم بالكفر لأنهم اظهروا له حقيقة أمره من تجاوز الحدود وانكارهم عليه من ترك نصوص الكتاب وسنن الرسول الأعظمﷺ وتسليط بني أمية والفجرة الفسقة من عماله علىٰ رقاب الأمة يستبيحون النفوس البريئة بالنكاية

والتعذيب والظلم والقتل وأموال العامة لارضاء شهواتهم وأهوائهم وهو من ورائهم.

وقد كان بامكان معاوية وهو العارف بضعف عثمان وبامكانه اصلاح سيرته علىٰ أقل تقدير، وهو العارف من أين تؤكل الكتف، إذ قد استطاع من ضرب أخلص الصحابة وطردهم من مناطق ولايته، وتبعيدهم واسترضاء السفلة من أهل الشام وارضائهم، والاستحواذ علىٰ العامة بشتىٰ وسائل الخداع، وما كانت الشكاية إلّا من الصحابة القائمين في المدينة ومصر والعراق، وكان بامكانه ان يرشد عثمان بتقصير ولاته في مصر والعراق دون أن يتأثر هو في الشام، بيد أن ما يرنوا إليه من الملك لا يتم إلّا بقتل عثمان الضعيف، المعزول حتماً، ان لم يقتل لأن الأمة قد اجمعت علىٰ عزله بعد أن اعياها اصلاحه فهبت هبة واحدة، وقد ادرك معاوية ذلك وانه ان عزل فوضعه في الشام تحت رعاية من يتولىٰ الأمر بعده، وليس له أمل بعد عثمان، وتولي المهاجرين والأنصار وتغلبهم إلّا وابعاد جميع الطلقاء والأمويين من الحكم واعاضتهم بالصلحاء في الوقت الذي يريد أن يثبت الملك في بني أمية كما طلب أبوه أبو سفيان من عثمان، وان يجعلها كرة لا تخرج من أيديهم.

وان قتل الخليفة عثمان خير وسيلة يتشبث بها ويتظلم لاغفال العامة وجلب العصبيات الباغية إلى خيبة من اولئك الغادرين الباغين المنافقين الذين لا يهمهم من الاسلام سوىٰ السلطة الزمنية ولا يؤمنون بدين وآخرة، وإذا به يتظاهر بامداد الخليفة وارسال الجيش لحماية الخليفة بعد علمه بذلك من قبول اعتزال الخلافة، وعندها الاسراع من المتجمهرين من قتله، وعندها بلوغه الغاية فاعلان قتله مظلوماً للأخذ بثأره ممن قتل وخذل وألّب واوىٰ وبسط نفوذه علىٰ الأمة، وإذا به يجمع حوله أشد الخونة من اشرارها الذين كانوا السبب للوثبة علىٰ عثمان من آل

أمية واشدهم الذين حرضوا علىٰ قتله وأهابوا بالناس لذلك، مثل ابن العاص، وأم المؤمنين عائشة، بعد مقتل طلحة والزبير.

وإليك أهم الاسناد علىٰ أن معاوية في مقدمة المتربصين للفتك بالخليفة وخذلانه وخديعته، حتى قتل، لا كالصلحاء من الأمة الذين اجمعوا علىٰ قتله، بل غدراً ومكيدة لاتخاذ وسيلة يتشبث بها لبلوغ مآربه ووسيلة يتوصل بها لاثبات ملكه وجمع شتات الخائنين الطامحين حوله وهكذا كان، كما جاء في شرح ابن أبي الحديد ج ٤ ص ٥٧.

وأخرج البلاذري في أنسابه: انه لما أرسل عثمان إلى معاوية يستمده (بقوله أن اهل المدينة كفروا وانهم يريدون عزله وقتله ويستنجد به ان يمده علىٰ جناح السرعة بجيش يقضي به علىٰ وثبتهم) بعث معاوية يزيد بن أسد القسري، وقال له: إذا أتيت ذا خشب فاقم بها ولا تتجاوزها ولا تقل: الشاهد يرىٰ ما لا يرىٰ الغائب، فانني أنا الشاهد وأنت الغائب، قال: فاقام بذي خشب حتىٰ قتل عثمان، فاستقدمه حينئذ معاوية فعاد إلى الشام بالجيش الذي كان ارسل معه، وإنما صنع ذلك معاوية ليقتل عثمان فيدعو إلى نفسه.

ترىٰ هنا معاوية ادرك أمرين في انّ واحد لبلوغ هدفه بارساله هذا الجيش.

١ ـ انه ترك عثمان يصمم علىٰ عدم الاعتزال املاً بورود الجيش وانقاذه.

٢ ـ اسراع الواثبين عليه لقتله حذراً من تدخل معاوية وغيره.

وهاك الدليل الثاني علىٰ صنع معاوية وخذلانه عثمان ما ورد في كتاب صفين لابن مزاحم ص ٢١٠، وماتقله ابن أبي الحديد في شرحه ج ١ ص ٣٤٢، وابن الأثير في كامله ج ٣ ص ١٢٣، والطبري في تاريخه ج ٥ ص ٢٤٣.

ان شبث بن ربعي خاطب معاوية: انه واللّٰه لا يخفىٰ علينا ما تقرر وما تطلب، انك لم تجد شيئاً تستغوي به الناس، وتستميل به اهوائهم وتستخلص به طاعتهم،

إلّا قولك : قتل امامكم مظلوماً ، فنحن نطلب بدمه ، فاستجاب له سفهاء طغام ، وقد علمنا ان قد ابطأت عنه بالنصر وأحببت له القتل بهذه المنزلة التي اصبحت تطلب .

وهذا معاوية يدعو ابن عباس إلى بيعته عند صلح الامام الحسن﵇ مع معاوية فبه يهدده ويتهمه بالشركة في قتل عثمان فيجيبه ابن عباس ومما قال : فاقسم بالله لأنت المتربص بقتله ، والمحب لهلاكه ، والحابس الناس قبلك عنه علىٰ بصيرة من أمره ، ولقد أتاك كتابه ، يستغيث بك ويستصرخ فما حفلت به حتىٰ بعثت إليه معذراً باجرة أنت تعلم انهم لن يتركوه حتىٰ يقتل ، فقتل مما كنت اردت ثم علمت عند ذلك ان الناس لن يعدلوا بيننا وبينك فطفقت تنعى عثمان وتلزمنا دمه ، وتقول : قتل مظلوماً ، فان يكن قتل مظلوماً فأنت أظلم الظالمين ، ثم لم تزل مصوباً ومصعداً وجاثماً ورابضاً تستغوي الجهال وتنازعنا حقّنا بالسفهاء حتىٰ ادركت ما طلبت وان ادري لعله فتنة ومتاع إلى حين . راجع بذلك شرح ابن أبي الحديد ج ٤ ص ٥٨ .

وكتاب آخر من ابن عباس لمعاوية قوله : أما ماذكرت من سرعتنا إليك بالمساءة إلىٰ انصار ابن عفان ، وكراهتنا لسلطان بني أمية ، فلعمري لقد ادركت في عثمان حاجتك حين استنصرك فلم تنصره ، حين صرت إلى ما صرت إليه وبيني وبينك في ذلك ابن عمك وأخو عثمان الوليد بن عقبة . أخرجه ابن أبي الحديد في ج ٢ ص ٢٨٩ . كما جاء في الامامة والسياسة ج ١ ص ٩٦ وكتاب نصر ص ٤٧٢ .

ترىٰ ابن عباس في احرج أوقاته مع معاوية المتغلب علىٰ أمر الخلافة بعد قتل أميرالمؤمنين علي﵇ والساعي لأخذ البيعة لنفسه بالتهديد والتنكيل كيف يقابله ابن عباس ؟ وإذا بمعاوية أخذ الداعين لمقتل عثمان والخاذلين له ، وهو يعلم أن لا مناص لعثمان وسياسته . أماأن يجبر علىٰ الاعتزال أمام وثبة المسلمين ، أو يقتل فيفضل قتله ليتخذ منها ذريعة للأخذ بثأره ، للوصول إلى هدفه من الخلافة . وقد

فعل ووصل إلى بغيته ، وفي هذا نرىٰ ان ابن عفان قد خسر ثقة المسلمين في عدالته ولم يفته أقرب الناس إليه بالمشورة الصالحة مثل مروان ولا بسرعة الاغاثة مثل معاوية ، فكان أمره خسراً في الدنيا وأما آخرته مع مخالفته الحدود والنصوص وسيرته بضرب الصلحاء وتقديم الطلحاء وترك أمر الأمة ونفوسها وأموالها عرضة للأهواء والشهوات له ولآل أمية ، فلا أشك في أن تكون عاقبته وهو يخالف كتاب الله وسنن نبيه إلّا أكثر خسراناً من دنياه .

وإذا ما راجعت إلى المناقب المنسوبة له ، والتي وضعتها أيدي الدساسين الوضاعين زمن بني أمية ، فقد برهنت علىٰ كذبها سوابقه وعواقبه كما مر ذكره .

وإليك كلمة أعظم رجل بعد رسول الله فيه هو أميرالمؤمنين علياً في خطبته الشقشقية وغيرها ، التي مر ذكرها عند ذكر نبذة من رأي الامام علي عليه السلام في عثمان .

وأما معاوية المكار الفاسق فإليك رأي الامام علي عليه السلام فيه وصنيعه مع عثمان في جواب رسالة أرسلها لمعاوية قوله : **قد اسهبت في ذكر عثمان ، ولعمري ما قتله غيرك ، ولا خذله سواك ، ولقد تربصت به الدوائر ، وغيلت له الأماني ،طمعاً فيما ظهر منك ودلّ عليه فعلك** . شرح ابن أبي الحديد ج ٣ ص ٤١١ .

فذاك رأي ابن عباس الصحابي الثقة العدل ، وهذا رأي الامام أميرالمؤمنين في فعل معاوية قبل عثمان ، والجميع اجمعوا علىٰ قتله ، والمسلمين جميعاً وجدوا فيه الامام الغاصب الظالم التارك لكتاب الله وسنن نبيه وسيرة الصالحين والمبعد للصالحين والمقرب الفجرة المنافقين من آل أمية وآل بني معيط ليتخذوا عباد الله خولاً وماله دولاً ودينه دغلاً ، ثم اقاموا عليه الحجة واستتابوه فتاب ونكث واشتد وتربص بالمسلمين الدوائر واتهمهم جميعاً بالكفر عن طاعته العمياء ، وفساد سلوكه وأعماله واقامة عليه الحجة ، وطلبوا منه الاعتزال فأقر بذنبه وابىٰ الاعتزال بل أبىٰ القصاص من نفسه أو تسليم الخونة من بني أمية وابعادهم ، مثل مروان ،

حتىٰ اجمعوا انه ممن يحارب المسلمين ويقيم الفساد والمنكر ، ويأبىٰ الصلاح والمعروف ، ولابد بعد ذلك ممن يحارب اللّٰه ورسوله ويفشي في الأرض الفساد إلّا قتله وابعاده ، ففعلوا ، وقد جاء بأمر الشورىٰ وبرغم اجماع الأمة ، وراح باجماعهم.

٩ ـ عائشة :

عائشة : أم المؤمنين وبنت أبي بكر بن أبي قحافة الخليفة الأول ، وهي التي اطرت عثمان أوائل خلافته بعدة روايات وصعدت به الى القمة بحيث قدمته في كراماته وقربه من اللّٰه ورسوله لدرجة فاق بها أباها الخليفة الأول ، وعمر بن الخطاب الخليفة الثاني ، بيد نراها تنقلب عليه تدريجياً وبلغت أشدها أواخر أيامه، وقد وجدت لذلك علل وأسباب أهمها :

انها كانت ترأس حزباً قوياً من النساء في عهد رسول اللّٰه ﷺ وتقيم الفتن والقلاقل بدرجة في عهده ، وستأتيك كثير من أحداثها في الكتاب الذي يلي هذا ، في حرب الجمل ، وكان لها أحداث وأفعال مع رسول اللّٰه ، كادت أن تجر أمرها إلى الفرقة ، وكثيراً ما توسط أبوها دفعاً لشرها وقطعاً لدابر كيدها فانبها سراً وامام رسول اللّٰه حتىٰ لضربها مرة ، وهي تتطاول علىٰ مقام الرسالة وتطعن بمقام النبي ﷺ حينما تقول له : أعدل أو قل الحق ، وإذا ما تصفحت القرآن والآيات النازلة في نساء النبي والأوامر الصارمة علىٰ أن يقرن في بيوتهن ولا يتبرجن تبرج الجاهلية ، والوصايا لهن من الابتعاد من الحوار مع الرجال ، ومن الرجال من الدنو لهن والسؤال إلّا من وراء الحجاب وأخص منها ما جاء في سورة الأحزاب وأخص منها الآية (٣٠) و (٣١) قوله تعالىٰ :

﴿يا نساء النبي من يأت منكن بفاحشة مبينة يضاعف لها العذاب ضعفين وكان ذلك علىٰ اللّٰه يسيرا﴾ .

﴿ومن يقنت منكن للّٰه ورسوله وتعمل صالحاً نؤتها أجرها مرتين واعتدنا لها

رزقاً كريماً﴾ .

وأصبح لها مكانها السامي يوم أصبح أبوها الخليفة ، وعندها بلغت غاية آمالها، أخص وقد استطاعت من التغلب على أكبر منافسيها من الحزب المخالف وفي مقدمتهم ذرية رسول الله ﷺ وبنته الطاهرة فاطمة الزهراء عليها السلام سيدة نساء العالمين وزوجها أمير المؤمنين عليه السلام أخي ووصي رسول الله ، ومولى كل مؤمن ومؤمنة بعده، والمناقب والكرامات ، والخليفة المنصوص عليه ، كما مر ذكره في الكتاب الأول والثاني من موسوعتنا وابنيه الحسنين عليهما السلام سيدي شباب أهل الجنة ، والتي لم تأل جهداً من مناصبة العداء لكل واحد منهم ، مع اقرارها بفضلهم وان من يبغضهم فقد باء بغضب من الله ورسوله .

وأصبحت في عهد أباها ذات الشوكة والسلطان والأمر والنهي حتى فارق الحياة ، وادلى بالعهد لعمر وهذا أكرمها وحفظ مقامها ، وهي بدورها كانت تعرف غلظته وشدته وصرامته . وهكذا سارت على سياسة وخطة نالت فيها رضاه إذ كان يجلها أكثر من غيرها ، ويكرمها أكثر ، وكانت حفصة بنت عمر منذ اليوم الأول صاحبة سرها وعضدها ، سراً وجهراً ، حتى إذا هلك ودالت لبني أمية ، وحسبت أن أيادي أباها على عثمان وبني أمية ان لم يزد على ما كان على عمر ، وإلا مثلها ، وهذا عثمان كاتب أبيها وصاحبه وأمين سره ، وهؤلاء بني أمية أعوانها وأعوانه ، وقد وجدت تساهل عثمان . أخص في المال فكال لها في البدء حتى انتهت الفترة الاولى والنصف الأول من عهد خلافته وظهرت نساء بني أمية ورجالهم يتفوقون ويوسعون ، وأخذت أمرتها تتقلص ، وهي وان فقدت البنين بيد انها لها صلتها من ابن عمها طلحة ، التي أحبته حباً جماً ، وتمنت من أعماق قلبها لو عادت الخلافة في بني تيم ولها علاقتها بزوج اختها الزبير وأولاده ، حتى استطاعت أن تجر عبدالله بن الزبير لحزبها ، بما اغدقت له من الجميل ، ومثله محمد بن طلحة ، حتى

أصبح عبدالله من أكبر انداد من تعادي ، من علي وأولاده ، وبلغت بالزبير ان انقلب من حبه لعلي إلى مناوئ له بتأثير عائشة وابنه عبدالله ، وبعد أن كان الأيام الاولىٰ لوفاة رسول اللهﷺ وقيام السقيفة وغصب الخلافة من عليؑ في صفه ، والمدافعين عن ذلك ، وإذا به بتأثير عائشة من ألد خصوم عليؑ وفي مقدمة من يحاربه يوم الجمل .

ولم يرق لعائشة ما رأت من تقلص نفوذها ونفوذ ذويها بتفوق الأمويين نساءً ورجالاً واختصاصهم بمال المسلمين والامارات والمناصب السامية ، وقد كانت تأمل أن تعود الزعامة والخلافة مرة أخرىٰ تيمية بزعامة طلحة ، هذا الذي رفعه عمر حين جعله قريناً لعلي في يوم الشورىٰ ، وهي اليوم تحوك لاعادة الخلافة إلى بني تيم ، كما وضعتها وحاكتها في عهد رسول الله لأبيها ، ناسية انها وأبوها قد شدوا ازر هذه الفئة الباغية من آل أمية واشياعهم لدرجة فلتت من أيديها ، وانها اليوم غيرها بالأمس ، علىٰ حد الآية الشريفة : ﴿ولا يحيق المكر السيء إلّا بأهله﴾ أو المثل القائل : «من أعان ظالماً سلطه الله عليه» .

فبدأت وقد وجدت صد عثمان عن الكتاب والسنّة وتصدقه بأموال ونفوس المسلمين وظلمه وانكار الصحابة ، وقيام المسلمين ضده واستنجادهم بعضهم ببعض ، ووجدت أن بيتها بدأ يعود مرجعاً للشكاوىٰ من المتظلمين ، وقد اتخذ طلحة والزبير وابنائهما المجال واسعاً لبناء المستقبل لهم ، فبدأ الواحد يشد اصر الآخر ، وبدأوا يألبون علىٰ عثمان ، ويساندون المهاجرين والأنصار ، وبدأت حملتها في شن الهجوم علىٰ أعمال عثمان الوضيعة ، وبدأت تجاهر بشتمه ، حتىٰ إذا بلغه ذلك قصر من امدادها بالمال الذي اغدق عليها في بدء خلافته ، ولم يكن يهمها ذلك ، وهي اليوم لها ثرائها ويساندها اثري الصحابة ، مثل طلحة والزبير ، اللذان مدهما عثمان بأموال المسلمين واغدق عليهما الذهب والفضة . وصح قول

القائل :

من يصنع المعروف في غير أهله   يكـن حـمده ذمـاً عـليه فـيندم

«ومن أعان ظالماً سلّطه اللّه عليه» . والآية الشريفة : ﴿الاخلاء يومئذ بعضهم لبعض عدو إلّا المتقين﴾ . الآية (٦٧) من سورة الزخرف .

إذ ان الكل لم تكن غايتهم ودافعهم سوىٰ مصالح شخصية ، لذا تراهـم وقـد انقلبت صداقتهم تلك إلى عداء . ولو انهم صدقوا اللّٰه واحسنوا النية لما كانت هذه عواقبهم ، وتلك نتائجهم .

وقد وجدت أم المؤمنين تألب المسلمين خير فرصة لرد الأمر إلى تيم ، وهي تكاد لا تشك وان طلحة سيتولىٰ الأمر ان قتل عثمان ، والحب يعمي ويصم ، حتىٰ إذا رأت أهل المدينة والمسلمين من جميع الأصقاع والبقاع اجمعوا عـلىٰ نـزع الخلافة من عثمان وان أبىٰ قتلوه ، وقد أبىٰ فلابد من قتله ، فتوجهت ، وهذه أيام الحج إلى المكة وهي تسأل القادمين من المدينة عن نتيجة الحصار الثاني بعد أن نكث عثمان بعهده الذي عاهده للمسلمين وبعد أن بدل العهد بالأوامر المشـددة للفتك بالمتظلمين . وهي اليوم وقد تركت ابن عمها طلحة وقد استولىٰ علىٰ بيوت مال المسلمين في المدينة ومنع الماء والطعام من الخليفة المحاصر وفي أشد ما يكون عليه لخلعه ، أو قتله ، ولابد من أحدهما . ولا تجد في نفسها من هو أحق من طلحة ابن عمها وأقرب الناس لأبي بكر ، وأحد أعضاء الشورىٰ . وتحرض كل من تجده علىٰ تحويل الناس عن عثمان وتأييد طلحة ، حتىٰ لتطلب من ابن عباس ذلك وهو أمير الحاج . وقبيل مغادرتها المدينة فقد افتت بقتل عثمان ، وقـالت : اقتلوا نعثلاً قتله اللّٰه .

وهكذا تشبه عثمان بيهودي اسمه نعثلاً ، وتقول انه عثمان قـد غـير وبـدل ، وبالوقت نفسه تقول أيةً ذو الأصيبع ايةً بابن عم ، حتىٰ إذا علمت ان عثمان قتل

وان طلحة قد حرم منها وأن كيدها أصبح في نحرها وان المسلمين بايعوا صاحبها الشرعي قالت : ليت السماء انطبقت علىٰ الأرض ، ثم أردفت : لقد قتل عثمان مظلوماً ، وحرضت علىٰ الأخذ بثأره ، تريد بذلك تبرئة نفسها وذويها والقاء التبعة علىٰ عليٍّ ومن بايعه ، واقامة فتنة جديدة .

تلك الفتنة العظمىٰ التي قامت بها في حرب الجمل ، وانتهت بقتل عشرات الألوف من الأبرياء من المسلمين الأخيار ، وانتهت بقتل أعز الناس لها من طلحة والزبير وانتصر علي عليه السلام بيد كانت في الحقيقة هذه الحرب نتيجة حتمية لانتصار بني أمية بعد أن اتعبت المسلمين في الكوفة والبصرة والمدينة وتركت معاوية يجمع الجموع ويحشدها ، ويرشي السفهاء والانتهازيين ، وكانت بعدها الويلات والخذلان ، تلك التي سادت لبني أمية كما شاءوا .

وحقاً غيروا دين الاسلام وأحكامه ، وحقاً فتكوا بالصالحين ، وسلطوا اشقىٰ الناس وفتكوا بالأبرياء ، وساروا كيفما شاءت أهوائهم ، ولو عدنا القهقرى لوجدناها بدأت منذ أم الفتن تلك هي السقيفة ، والفتنة الكبرىٰ هي الشورىٰ .

والآن أقدم للقارئ الكريم الأسناد التي أبرزها ليطالعها ، فيرىٰ ما ذكرته حقيقة صادقة ، ثم اذكر نبذاً منها كما جاءت وذكرها المؤرخون والكتاب أمثال : ابن عبد ربه في العقد الفريد ج ٢ ص ٢٦٧ و ٢٧٢ ، والطبري في تاريخه ج ٥ ص ١٤٠ ـ ١٧٦ ، وابن سعد في الطبقات ج ٥ ص ٢٥ ، وابن الأثير في الكامل ، والبلاذري في الأنساب ج ٥ ص ٧٠ ـ ٩١ ، وابن عساكر في تاريخه ج ٧ ص ٣١٩ ، وما ورد في تاج العروس ج ٨ ص ١٤١ ، والامامة والسياسة ج ١ ص ٤٣ ـ ٥٧ ، والاستيعاب ترجمة صخر بن قيس ، وأبي الفداء في تاريخه ج ١ ص ١٧٢ ، وابن أبي الحديد في شرحه ج ٢ ص ٧٧ و ٥٠٦ ، والسبط في تذكرته ص ٣٨ ، ونهاية ابن الأثير ج ٤ ص ١٦٦ ، وحياة الحيوان ج ٢ ص ٣٥٩ ، والقاموس ج ٤ ص ٥٩ ،

وغيرهم .

فقد أخرج البلاذري ص ٨٨ من انسابه في لفظ الزهري : انه كان في الخزائن (أي خزائن أموال المسلمين) سفط فيه حلي وأخذ منه عثمان فحلّى به بعض أهله، فاظهروا عند ذلك الطعن عليه وبلغه ذلك فخطب ، وقال : هذا مال اللّٰه اعطيه من شئت وامنعه من شئت فارغم اللّٰه انف من رغم ، فقال عمار : انا واللّٰه أول من رغم أنفه في ذلك ، فقال عثمان : لقد اجترأت عليّ ياابن سمية ! وضربه حتىٰ غشي عليه ، فقال عمار : ما هذا بأول ما اوذيت في اللّٰه . واطلعت عائشة شعراً من رسول اللّٰه ﷺ ونعله وثياباً من ثيابه . ثم قالت : ما أسرع ما تركتم سنّة نبيكم ، وقال عمرو ابن العاص : هذا منبر نبيكم وهذه ثيابه ، وهذا شعره لم يبل فيكم ، وقد بدلتم وغيرتم ، فغضب عثمان حتىٰ لم يدر ما يقول .

هكذا بدأ عثمان بزجر الصحابة البررة المقربين والذين يسبقونه بالاسلام والتقوىٰ والاخلاص لدين اللّٰه ، وهكذا بدأت أم المؤمنين عائشة وشد ازرها طلحة والزبير تثير الناس بكلماتها المثيرة ، وتخرج شعر رسول اللّٰه وثيابه ، وحذائه وتشير إلى منبره ، وقولها : انها لم تبل وقد أبلىٰ عثمان وترك سنّته . وهكذا أخرجه أبو الفداء وأيد ابن أبي الحديد في شرحه ذلك . وان عائشة كانت أشد الناس علىٰ عثمان .

روىٰ ابن عبد ربه عن أبي سعيد الخدري : ان ناساً كانوا عند فسطاط عائشة وأنا معهم بمكة فمرّ بنا عثمان فما بقىٰ أحد من القوم إلّا لعنه غيري ، فكان فيهم رجل من أهل الكوفة فكان عثمان علىٰ الكوفة أجرأ منه علىٰ غيرها فقال : يا كوفي ! أتشتمني ! فلما قدم المدينة كان يهدده ، قال : فقيل له : عليك بطلحة ، قال : فانطلق معه حتىٰ دخل علىٰ عثمان فقال عثمان : واللّٰه لاجلدنه مئة سوط . قال طلحة : واللّٰه لا تجلده مئة إلّا أن يكون زانياً . قال : واللّٰه لاحرمنه عطاءه . قال :

اللّٰه يرزقه .

وهناك حديث طويل لابن الأثير والفيروزآبادي : انه كانوا يشيرون إلى عثمان بكلمة نعثل وهو اسم يطلق علىٰ يهودي . وقيل ان عائشة قالت : اقتلوا نعثلاً قتل اللّٰه نعثلاً ، تعني عثمان ، وكان هذا منها لما غاضبته حتىٰ أصبحت كلمة نعثل تطلق من أعداء عثمان عليه .

وهكذا أصبحت عائشة بعد اسهابها في مديح عثمان واطرائه بالروايات النبوية من أشد الناس عليه وافتت بقتله ، بانه بدل وغير .

وقد حاول آل أمية وفي مقدمتهم مروان ، وهو مستشار عثمان وزوج ابنته وأول الخائنين له بعد معاوية ، لأن المستشار مؤتمن ، وكان يخونه في مشاورته ، حتىٰ قتله بذلك .

وكم جاء عائشة يستدرجها ويستميلها ، كما جاء في انساب البلاذري ، وطبقات ابن سعد : انه لما حوصر عثمان للمرة الأخيرة كان مروان يقاتل دونه أشد القتال ، وأرادت عائشة الحج وعثمان محصور فأتاها مروان وزيد بن ثابت وعبد الرحمن بن عتاب ، فقالوا : يا أم المؤمنين : لو أقمت فان أمير المؤمنين علىٰ ماترين محصور ومقامك ممّا يدفع اللّٰه به عنه . فقالت : قد حليت ظهري ، وعرّيت غرائري ، ولست أقدر علىٰ المقام ، فاعادوا عليها الكلام ، فاعادت عليهم مثل ما قالت لهم . فقام مروان وهو يقول :

وحـرَّق قيس علـيّ البـلا د حتىٰ إذا استعرت اجـذبا

فقالت عائشة : أيها المتمثل عليّ بالأشعار وددت واللّٰه انك وصاحبك هذا الذي يعنيك أمره في رجل كلٍّ واحد منكما رحاً وانكما في البحر . وخرجت إلى مكة .

وكانت عائشة مؤمنة بمقامها في الناس وأثرها في المجتمع وثقتها بعد الشورىٰ

بتقدم طلحة لأن يكون يوماً ما خليفة ، وقد وجدت الجو مساعداً للدعوة إليه حتىٰ بلغت من الاعتماد انها تحرض ابن عباس حبر الأمة ، ومن أقطاب بني هاشم أن يستميل الناس لطلحة ونقلها من أمية إلى تيم .

قال الطبري : لما خرج ابن عباس (وهو أمير الحاج يقصد مكة وعلىٰ بعد نحو سبعة أميال تقريباً) مر بعائشة في الصلصل (وهو موضع من نواحي المدينة) فقالت: ياابن عباس ! انشدك اللّٰه فانك قد اعطيت لساناً ازعيلاً أن تخذّل عن هذا الرجل وان تشكك في الناس ، فقد بانت لهم بصائرهم وانهجت ورفعت لهم المنار ، وتجلبوا من البلدان لأمر قد جم ، وقد رأيت طلحة بن عبداللّٰه قد اتخذ علىٰ بيوت الأموال والخزائن مفاتيح فان يلي يسير بسيرة ابن عمه أبي بكر رضي اللّٰه عنه . قال : قلت : يا امّه ! لو حدث بالرجل حدث ما فزع الناس إلّا إلى صاحبنا . فقالت : ايهاً عنك اني لست اريد مكابرتك ولا مجادلتك .

وورد في شرح النهج نفس المعنىٰ ، وان عائشة يوم وصلت مكة أمرت بقبتها فضربت في المسجد الحرام ، وكانت تؤلب علىٰ عثمان . وقالت : اني أرىٰ عثمان سيشأم قومه كما شأم أبو سفيان قومه في بدر . راجع بذلك أنساب البلاذري .

هذا كله وأم المؤمنين لا تزال تترقب أخبار عثمان وما سيؤول إليه نتيجة الحصر ، حتىٰ إذا علمت قتله ظلت تراقب بحرص شديد خبر تسنم ابن عمها طلحة منبر الخلافة . قال المدائني في كتاب الجمل : لما قتل عثمان كانت عائشة بمكة ، وبلغ قتله إليها وهي بشراق ، فلم تشك في أن طلحة هو صاحب الأمر ، وقالت : بعداً لنعثل وسحقاً . ايه ذا الأصيبع ! (تعني طلحة) ايه أبا شبل ! ايه ياابن عم ! لكأني أنظر إلى اصبعه وهو يبايع له حثوا الأبل ودعدعوها . قال : وكان طلحة حين قتل عثمان أخذ مفاتيح بيت المال وأخذ نجائب كانت لعثمان في داره ، ثم فُسد أمره فدفعها إلى عليّ بن أبي طالب .

وظلت عائشة متعطشة باهتمام فائق إلى النتائج العظيمة المتوقعة بعد قتل عثمان وبلوغها الآمال بمبايعة الناس لطلحة ، واسرعت للذهاب إلى المدينة وهي تتنسم الأخبار وتستوضح الواردين من المدينة .

قال الطبري في تاريخه : ان عائشة رضي اللّٰه عنها لما انتهت إلى سرف (موضع ستة أميال من مكة) راجعة في طريقها إلى المدينة لقيها عبد بن أم كلاب وهو عبد ابن أبي سلمة ينسب إلى أمه . فقالت له : مهيم ؟ قال : قتلوا عثمان رضي اللّٰه عنه ، فمكثوا ثمانيا ، قالت ثم صنعوا ماذا ؟ قال أخذها أهل المدينة بالاجتماع فجازت بهم الأمور إلى خير مجاز ، اجتمعوا علىٰ علي بن أبي طالب ، فقالت : واللّٰه ليت هذه انطبقت علىٰ هذه ان تمّ الأمر لصاحبك . ردوني . ردوني . فانصرفت إلى مكة، وهي تقول : قتل واللّٰه عثمان مظلوماً . واللّٰه لاطلبن بدمه ، فقال لها ابن أم كلاب : ولم ؟ فو اللّٰه ان أول من امال حرفه لأنت ولقد كنت تقولين : اقتلوا نعثلاً فقد كفر . قالت : انهم استتابوه ثم قتلوه ، وقد قلت وقالوا ، وقولي الأخير خير من قولي الأول ، فقال لها ابن أم كلاب :

منكِ البداء ومنكِ الغير ومنكِ الرياح ومنكِ المطر
وانت أمرتِ بقتل الامام وقلت لنا انه قد كفر
فهبنا أطعناكِ في قتله وقاتله عندنا من أمر
ولم يسقط السقف من فوقنا ولم ينكسف شمسنا والقمر
وقد بايع الناس ذا تدرإ يزيل الشبا ويقيم الصَّعَر
ويلبس للحرب اثوابها وما من وفى مثل من قد غدر

فانصرت إلى مكة ، فنزلت علىٰ باب المسجد ، فقصدت للحجر ، فسترت واجتمع إليها الناس . فقالت : يا أيها الناس : ان عثمان رضي اللّٰه عنه قتل مظلوماً وواللّٰه لاطلبن بدمه .

وهكذا قلبت أم المؤمنين ظهر المجن ولا يهمها ان تنعت وتذم وتكفّر وتبرىٰ، كيفما أوحت لها أهوائها وطيشها، غير آبهة بذمة ولا وجدان، وقد بلغ بها الحقد والحسد لآل البيت وامامها علي بن أبي طالب وهي تعرف فضله وكراماته وما نزل فيه في الكتاب وما أوصىٰ بهﷺ، غير آبهة، وهي جمعت كل قواها وغرائزها بما فيها قواها العقلية لخدمة شهواتها، فبالأمس عاضدت المسلمين علىٰ ضرب عثمان وآل أمية فاذا بها تبرهن الآن لم يكن ذلك لله ولا للدين بل بغية لبلوغ اغراضها الخاصة، ومطامعها، واعادة الخلافة لتيم لابن عمها، وحينما وجدت انها حرمت منها وانها انتقلت لحبيب اللّٰه وحبيب رسوله من حقدت منذ صغره عليه وكرهته وهي تعلم ان مبغض علي منافق وفاسق وكافر كما مر، فلم ترعو بحكم المنطق والعقل والدين وهبت تحت تأثير الحقد المكنون والحسد المشحون في قلبها تريد اطفاء نور اللّٰه، ويأبىٰ اللّٰه إلّا أن يتم نوره ولو كره الكافرون.

أما أبو مخنف لوط بن يحيىٰ الازدي فجاء في كتاب نفس المعنىٰ إلّا انه فيه بعض التغيير في اللفظ قوله: ان عائشة لما بلغها قتل عثمان وهي بمكة اقبلت مسرعة وهي تقول: ايهٍ ذا الأصيبع لله أبوك، أما انهم وجدوا طلحة لها كفواً فلما انتهت إلى شراق استقبلها عبيد بن أبي سلمة فقالت له: ما عندك؟ قال: قتل عثمان قالت: ثم ماذا؟ قال: ثم حارت بهم الأمور إلى خير محار، بايعوا علياً. فقالت: لوددت أن السماء انطبقت علىٰ الأرض ان تم هذا، ويحك انظر ماذا تقول، قال: هو ما قلت لك يا أم المؤمنين. فولولت، فقال لها: ما شأنك يا أم المؤمنين، واللّٰه لا اعرف بين لابتيها أحد اولىٰ بها منه، ولا أحق. ولا أرىٰ له نظيراً في جميع حالاته. فلماذا تكرهين ولايته، فما ردت عليه جواباً.

وورد عن طرق اخرىٰ انها لما بلغها قتل عثمان قالت: ابعده اللّٰه. ذلك ما قدمت يداه، وما اللّٰه بظلام للعبيد.

وروىٰ نفس المعنىٰ قيس بن أبي حازم ، وغيره : انه لما سمعت بقتل عثمان قالت ابعده الله قتله ذنبه وأثاره الله بعمله ، يا معشر قريش ! لا يسومنكم قتل عثمان لما سام احمر ثمود قومه ، ان أحق الناس بهذا الأمر ذو الأصبع ، فلما وردتها الاخبار ببيعة علي قالت تعسوا لا يردون الأمر في تيم أبداً .

وهكذا اخذت تحيك وتدبر فتنة أخرىٰ يعينها علىٰ ذلك طلحة والزبير واولادهما ومروان علىٰ الذهاب إلى البصرة مطالبين بدم عثمان ، كلمة حق يراد بها باطل .

أخرج أبو مخنف أيضاً ان عائشة جاءت إلى أم سلمة تخادعها علىٰ الخروج للطلب بدم عثمان فقالت لها : يا بنت أبي أمية أنت أول مهاجرة من ازواج رسول الله وأنت كبيرة أمهات المؤمنين ، وكان رسول الله يقسم لنا من بيتك ، وكان جبريل أكثر ما يكون في منزلك . فقالت أم سلمة : لأمر ما قلت هذه المقالة ! فقالت عائشة : ان عبدالله اخبرني ان القوم استتابوا عثمان فلما تاب قتلوه صائماً في شهر حرام وقد عزمت علىٰ الخروج إلى البصرة ومعي الزبير وطلحة فاخرجي معنا لعل الله أن يصلح هذا الأمر علىٰ أيدينا وبنا ، فقالت أم سلمة : انك كنت بالأمس تحرضين علىٰ عثمان وتقولين فيه أخبث القول . وما كان اسمه عندك إلّا نعثلاً ، وانك لتعرفين منزلة علي بن أبي طالب عند رسول الله ﷺ .

ولسوف يرد عن عائشة تفصيل في حرب الجمل في الكتاب السادس ان شاء الله فترىٰ أن أم سلمة ذكرتها بأن رسول الله حذر عائشة من مقاتلة علي وعن حرب الجمل، وانها تمر بماء تنبحها كلاب حوأب كما نبحتها .

وهذا سعد بن أبي وقاص يصرح في جواب أرسله لعمرو بن العاص : ان عثمان قتل بسيف سلته عائشة ، حتىٰ يقول : ان عثمان غير وتغير . راجع بذلك الامامة والسياسة .

وأخرج الطبري وابن قتيبة : ان غلاماً من جهينة جاء محمد بن طلحة (يوم الجمل) وكان محمد رجلاً عابداً فقال : اخبرني عن قتلة عثمان . فقال : نعم دم عثمان ثلاث أثلاث ، ثلث علىٰ صاحبة الهودج ، يعني عائشة ، وثلث علىٰ صاحب الجمل الأحمر ، يعني طلحة ، وثلث علىٰ علي بن أبي طالب ، وضحك الغلام وقال : الا أراني علىٰ ضلال ولحق بعلي وقال :

سألت ابن طلحة عن هالك ... بجوف المدينة لم يقبر
فقال ثلاثة رهط هم ... اماتوا ابن عفان واستعبر
فثلث علىٰ تلك في خدرها ... وثلث علىٰ راكب الأحمر
وثلث علىٰ ابن أبي طالب ... ونحن بدويّةٍ قرقر
فقلت صدقت علىٰ الأولين ... واخطأت في الثالث الازهر

تلك حقائق مؤلمة في عثمان ، وأم المؤمنين عائشة تستثيرها الأهواء والأغراض ولا تأبه بمنطق أو تأنيب ضمير أو وجدان فتراها تكذب طوراً علىٰ رسول الله فتنسب له مديحاً للرجل وتعود لتفتن بقتله ، وتعود تطلب بدمه عداءً لنفس رسول الله واخيه وخليفته ووصيه وتلقي الفتن ، وتدخل المعامع غير آبهة بكتاب الله وأوامر زوجها وهي تقيم الحجة الدامغة وتبطلها في عثمان حقداً لآل بيت الرسالة وطمعاً بالدنيا ، وانحيازاً لطلحة تارة ، أو لبغض علي المرتضىٰ أخرىٰ .

١٠ ـ قيس بن سعد بن عبادة :

وهو بدري ، سيد الخزرج ، وهو يعترف بكتابه جواباً لمعاوية قوله : وذكرت عظم عشيرتي ، لم تسلم من دم عثمان فأول الناس كان قياماً عشيرتي ولهم اسوة . ذكره الطبري في تاريخه ج ٥ ص ٢٢٧ ، وابن الأثير في كامله ج ٣ ص ١١٦ ، وابن أبي الحديد في شرحه ج ٢ ص ٢٣ ، وغيرهم .

ولقيس محاورة مع النعمان بن بشير في صفين جواباً يرويه نعمان قوله :

أما ذكر عثمان فان كان الايجاز يكفيك فخذه : قتل عثمان من لست خيراً منه وخذله من هو خير منك ، وأما اصحاب الجمل فقاتلناهم على النكث ، وأما معاوية فلو اجتمعت العرب على بيعته لقاتلتهم الأنصار . وأما قولك : أنا لست كالناس فنحن في هذه الحرب كما كنا مع رسول الله ﷺ نلقى السيوف بوجوهنا ، والرماح بنحورنا ، حتى جاء الحق وظهر أمر الله وهم كارهون ، ولكن انظر يا نعمان هل ترى مع معاوية إلّا طليقاً اعرابياً أو يمانياً مستدرجاً ، وانظر أين المهاجرين والأنصار والتابعون باحسان الذين رضي الله عنهم ورضوا عنه ؟ ثم انظر هل ترى مع معاوية غيرك ؟ وهو يحبك ولستما والله بدريين ولا عقبيين ، ولا لكما سابقة في الاسلام ، ولا آية في القرآن .

أخرجه ابن مزاحم في كتاب صفين ص ٥١١ ، وابن قتيبة في الامامة والسياسة ج ١ ص ٩٤ ، وشرح ابن أبي الحديد ج ٢ ص ٢٩٨ وجمهرة الخطباء .

وإنما نحن ندلي بهذا الحديث لنعرّف القارئ الكريم من ان كافة الصحابة وأخص منهم البدريون وأهل بيعة العقبة هم الذين قتلوا عثمان ، وافتوا بكفره وعزله وقتله ، ومنع دفنه في مقابر المسلمين ، وجاهدوا ضد معاوية وبني أمية ، وهذا قيس بن سعد رئيس الخزرج ، نرى كيف يقر ذلك ، ويكشف صراحة لا شك فيها ؟

١١ ـ ابو أيوب الأنصاري :

وهو بدري ، صحابي عظيم ، اختار الله داره منزلاً ، ولياً لرسوله ﷺ وله بذلك الشرف العظيم ، وقد شهد جميع الغزوات والحروب ودعا له رسول الله ﷺ هو الآخر يشهد على عهد عثمان بالجور والظلم في خطبة خطبها في عهد أميرالمؤمنين عليه السلام ليحرض الناس على الجهاد في قوله : أليس إنما عهدكم بالجور

والعدوان بالأمس ! وقد شمل العباد وشاع في الاسلام ، فذو حق محروم مشتوم عرضه ، ومضروب ظهره ، وملطوم وجهه ، وموطؤ بطنه ، وملقىٰ بالعراء ، (يقصد عهد عثمان) فلما جاءكم أميرالمؤمنين (يقصد علياً) صدع بالحق ونشر العدل ، وعمل بالكتاب فاشكروا نعمة الله عليكم ولا تتولوا مجرمين ... الخ ، أخرجه ابن قتيبة في الامامة والسياسة وجمهرة الخطب .

١٢ ـ جابر بن عبد الله الأنصاري :

وهو الصحابي العظيم الذي عاش حتىٰ عهد عبد الملك بن مروان ، وأصبح الحجاج والياً علىٰ المدينة ، بعد ضرب مكة وقتل ابن الزبير فختم يد جابر بن عبدالله الأنصاري بالرصاص ، وفعل بآخرين ، باعتبارهم من قتلة عثمان وقد استخف بجميع أهل المدينة باعتبارهم قتلوا عثمان .

راجع بذلك انساب البلاذري ، وتاريخ الطبري ، وكامل ابن الأثير .

وإذا ما راجعنا تاريخ الطبري ، والكامل لابن الأثير ، وتاريخ ابن كثير ج ٧ ، والاستيعاب ج ٥ ، وأسد الغابة ج ٤ ، والاصابة ج ٣ ، وشرح الموطأ للزرقاني ج ١ ص ١٥٢ ، والامامة والسياسة ج ٣ ، ومروج الذهب ج ٢ ، وتاريخ ابن عساكر ج ٧ ، وتاريخ الخلفاء للسيوطي ، لوجدنا فيه الصحابة البدريين أمثال فروة بن عمرو بن ورقة البياض الأنصاري ، ومحمد بن عمر ، وابن حزم أبي سليمان الأنصاري ، وجبلة بن عمرو بن ساعدة الساعدي الأنصاري البدري ، ومحمد بن مسلمة أبي عبد الرحمن الأنصاري البدري ، وأبي الطفيل الصحابي الكبير ، وما صرح لمعاوية من قيام المهاجرين والأنصار ضد عثمان وأفعاله ، وعبدالله بن عكيم الصحابي ، والصحابي محمد بن أبي حذيفة ، والصحابي عمرو بن زرارة .

اجماع الأمة بزعامة المهاجرين والأنصار :

إنّ موقف المهاجرين والأنصار والمسلمين من عثمان نراه إذا بدأنا منذ عـهد رسول اللّهﷺ ونرىٰ مقام عثمان بين الصحابة ، حيث ان عثمان من آل أمية ، من الفئة الباغية المناوئة لرسول اللّٰه ، بيد انه آمن ودخل في زمرة الصحابة وتقرب إلى رسول اللّٰه بزواجه من ابنتيه رقية وأم كلثوم اللتين تـوفيتا ولم تـعقبا له عـقباً ، وتزوج بعدها ولم نجد لعثمان منقبة[١] تقربه إلى رسول اللّٰه دون بقية الصحابة في شجاعة أو علم أو سابقة علىٰ غيره ، وان ما وضعوه له من الفضائل فكلها وضعت له وللخليفتين اللذين سبقاه ، في عهد بني أمية ، وقد ابطلها الثقات من الكتاب والممحصين ، حتىٰ ثبت كذبها ، وانها دست لهم من قبل وضّاعين دساسين علىٰ اللّٰه وعلىٰ رسوله .

واني اختصر قولي بمراجعة بعض المصادر مما ذكر ذلك ، كما جاء في كتاب سفر السعادة[٢] .

ولمن أراد التفصيل فليراجع عبقات الأنوار للسيد حـامد ، والغـدير للـعلامة

---

(١) راجع الكشاف ٣ : ١٤٦، وتفسير القرطبي ١٧ : ١١١، وتفسير الشربيني ١٢٨:٤، وتفسير النيسابوري هامش الطبري ٢٧ : ٥٠٠ ، وأخـرج الواحـدي فـي أسـباب النـزول : ٢٩٨ والثعالبي عن ابن عباس والكليني والمسيب بن شريك أن الآية ٣٣ و ٣٤ و ٣٥ من سورة النجم، وهي ﴿افرأيت الذي تولّىٰ * وأعطىٰ قليلاً واكدىٰ * أعنده علم الغيب فهو يرىٰ﴾ نزلت في عثمان حينما تصدّق قليلاً ثم انقطع بقول واشارة لبغيض رسول اللّٰهﷺ وعدوه الكافر المنافق أخو عثمان من الرضاعة عبداللّٰه بن أبي السرح، وذكر النيسابوري وغيره في تفسيره القصد من تولّى هو ترك مركزه يوم أحد.

(٢) الشيخ مجد الدين الفيروزآبادي صاحب قاموس اللغة، قوله ما ورد في فضائل أبي بكر من المفتريات التي تشهد بديهية العقل بكذبها.

الشيخ عبدالحسين الأميني اللذين جمعا المصادر المستدلة علىٰ كـذب مـا ورد فيهم من الكرامات ، ونسب لهم من الأحاديث النبوية ، أو نزول الآيات .

وقد مر بنا تفصيل ذلك في الجزء الثالث والرابع من موسوعتنا عند التحدث عن الخليفة الأول أبي بكر والخليفة الثاني عـمر بـن الخـطاب ، كـما اسـهبنا بـعض الاسهاب في ادلاء الدلائل العقلية والنقلية منذ السقيفة حتىٰ الشورىٰ .

ان انتخاب أبي بكر انما كان فلتة قام بها بين ثلاثة إلى خمسة في السقيفة وقىٰ الله المسلمين شرها ، ثم تلتها البيعة بين استغفال وعصبية الأوس للخزرج وهرج ومرج وخمط وتهريج وتهديد ووعيد ووعد وترغيب وتطميع وقسر وظلم ونكاية ومكيدة وخداع حتىٰ هلك أبو بكر ، وقد شهد علىٰ خلافة ابن خطاب ، ان خلافة أبي بكر فلتة وقىٰ الله المسلمين شرها .

وإذا بأبي بكر يعهد بالخلافة إلى عمر دون مشورة الصحابة بل رغم أنفهم أمثال طلحة الذي صارحه واستنكر عهده وقد اتخذ عثمان كـاتباً ، وإذا بـعثمان وقـد خارت قوىٰ أبي بكر حين كتابة العهد واغمى عليه ، وإذا بـعثمان يـتم الكـتابة ويسندها لعمر ، حتىٰ إذا أفاق أقر ما كتبه عثمان ، وقد مر بنا تفصيل ذلك .

وهكذا نرىٰ عمر وقد وافاه الأجل قبل اتمام ما كان يروم القيام به ، وإذا بـه يسندها لبني أمية اسناداً مع سابق اصرار وتثبيت أقدام أشد بأضعاف ما عهد أبي بكر لعمر ، فقد قوي معاوية في الشام وسماه كسرىٰ العرب ، وعمرو بن العاص بمصر ، وأقصىٰ كل هاشمي أو مشايع لهم ، وقدم عثمان وكل مناصر له ، وقـدم جماعة سماهم بأهل الشورىٰ ، فيها أقر عهده لعثمان اقراراً غير منفصم مؤيداً منه قولاً وعملاً .

وتستطيع قارئي الكريم مراجعة الشورىٰ في كتاب عمر ، الكتاب الرابع مـن هذه الموسوعة ، وهكذا نرىٰ ان عثمان فرض علىٰ المسلمين فرضاً كما فرض عمر

بالعهد ، وبعد ان أخضع الجميع بدرته وصلابته ، وقد ساعدته علىٰ ذلك الفتوحات والغنائم والتوسع وانشغال الصحابة من مهاجرين وأنصار ، وقد عمل الخليفة الأول والثاني كما وجدنا كثيراً من الأخطاء بيد أن الأمر المهم انهما حافظا امام المسلمين علىٰ الظواهر ، فلم يقدم الأول طائفته علىٰ الأغيار ، فهو وان كانت تيم لا تعد في العدة والعدد كبني عبد مناف ، بيد كان فيهم أمثال طلحة الذي كان بامكانه أن يسند له مقاماً مرموقاً يؤهله للمستقبل ولكننا نراه يجمع حوله مجموعة من الانتهازيين ، أمثال بني أمية وعمرو بن العاص وخالد بن الوليد واضرابهم ، الذين يهمهم أمر الدنيا أضعاف مضاعفة ما يهمهم أمر هذا الدين .

وأما عمر فسار علىٰ اثره وتابع الخطىٰ وأضاف صرامته وحذره .

أما عثمان وقد تنبأ عمر انه سيقدم بني أمية وآل معيط ، وعندها يسخط عليه المسلمون ويقتلوه . فقد كان أشد مما تنبأ ، فقد بدأ عثمان بادخال بني أمية وبني معيط ، اولئك الطلقاء المنبوذين الطرداء الملاعين ، وتقديم أموال المسلمين لهم ، وتسليطهم علىٰ رقاب المسلمين ، وأخص علىٰ المهاجرين والأنصار ، اولئك الذين فيهم من هو أقرب إلى رسول اللّٰه من عثمان نفسه ، وأكثر سابقة وأعلم وأتقىٰ وأشجع وزاد هؤلاء ارهاقهم للمسلمين ، وكلما تظلموا لعثمان نقم علىٰ المتظلم وحفز الظالم علىٰ تعذيبه وتأنيبه وضربه وحرمانه ونفيه ، وربما قتله .

هذا الذي لم يسبق للأمة الاسلامية مثيله في عهد الخليفتين ، ولكما ضج صحابي كبير مهما كان مقامه ومهما بلغت درجته ، فلا نرىٰ من عثمان سوىٰ زجره وتهديده وشتمه ونفيه .

وقد مر بنا ما جرىٰ لأبي ذر وعبداللّٰه بن مسعود وعمار من الصحابة ، وحتىٰ لاعضاء الشورىٰ ، وحتىٰ لعبد الرحمن بن عوف ، الذي هو الفرد الأوحد الذي اسند له الخلافة وهدد علياً بالقتل إن لم يبايع عثماناً ، حتىٰ ندم وحث المسلمين

على عزله وقتاله كما مر ، وكما مرت آراء الامام علي‌ﷺ وطلحة والزبير ، وحتىٰ نساء النبي وأمهات المؤمنين وفي مقدمتهم عائشة .

قلنا ان خيرة الصحابة هم البدريون وأهل بيعة الشجرة وبنو هاشم من المهاجرين والأنصار وغيرهم ، ومن دخل بعد ذلك ، ونرىٰ ان الجميع سواءً من كان في المدينة ومن انتقل للجهاد إلى الأقطار ، أجمع الكل علىٰ أن عثمان غيّر وبدّل ، وانه قسىٰ وظلم ، وانه يجب عزله واستتابته وقصاصه في أعماله .

وهكذا قدم أهل المدينة من المهاجرين والأنصار إلى جميع المسلمين في البلاد الاسلامية ، وأخص منهم الصحابة بأنهم إنما ذهبوا للجهاد ومحاربة أعداء الله واقامة دينه ونشر الشريعة المقدسة وها ان الدين والشريعة دبّ إلى اصلها الفساد بيد الخليفة المؤتمن ، فعليهم الاسراع لاصلاح هذه المفاسد والضرب علىٰ يده من السير في محو الآثار الاسلامية ، وتعديل ما اعوج ، وتوقيفه عند حده أو ارغامه للاعتزال واسناد الخلافة إلى من هو أجمع لشروطها ، ومن سيقيم فيهم العدل من كتاب الله وسنّة رسوله .

وإذا كان أهل المدينة يجاورون عثمان ويرونه من قريب ويرون أعماله في صرف أموال المسلمين علىٰ غير مستحقيها من آله وأعوانه وانه يقول بصراحة : ان هذه الأموال تحت تصرفي أعطيها من شئت وارغم انف من خالف ، وهؤلاء اعضاء الشورىٰ وامهات المؤمنين وفي مقدمتهن أم المؤمنين عائشة ، وهؤلاء صحابة رسول الله‌ﷺ البدريون وغير البدريين ، الذين لا يقلون عن عثمان شأناً ، بل ربما زادوا عليه علماً وشجاعة وتقوىٰ وسابقة ، مثل أمير المؤمنين علي‌ﷺ ، كلهم ناقمين علىٰ عثمان ويقدمون له الوعظ والارشاد ، وينهونه عن تقديمه الطلقاء والمنبوذين من رسول الله والخلفاء من قبله .

وإذا به لا يأبه ولا يتعظ ، وإذا به يقاتل من يعظه ، فيتهمه باقامة الفتن ويكيل له

التهم، ولا يأبه أن يشتم أكبر الصحابة وان يهينهم، ويوجعهم ضرباً حتىٰ الموت، وينفيهم، كما عمل مع أبي ذر وعمار بن ياسر وعبدالله بن مسعود وعبدالرحمن بن عوف وأعظم الكل ابعاده علياً مراراً إلى الينبع وتهديده بالتقل كما مرّ.

كل ذلك بمرأىٰ ومسمع من الصحابة الآخرين، وكم في هذا من الألم المحض أن يقوم بالظلم مرجع التظلم باسم العدالة والدين ويجلبب نفسه بجلباب الدين والعفة والتقوىٰ، ويقول: إنما أصل رحمي وأقرب بعيداً منبوذاً ـ يقصد الحكم وأولاده طريد رسول الله ولعينه ـ وأشبع جائعاً واسدي المعروف إلى القريب، كلمة حق يريد بها باطل. وهناك من يجيبه: كان ذلك قد غاب عن سيد الرسل وعن الخليفتين أبي بكر وعمر؟ هذا ما يجري في المدينة علىٰ مرأىٰ ومسع من أقرب الصحابة، وأما ما يجري في أقطار البلاد الاسلامية علىٰ يد عماله الفجرة الفسقة، أمثال الوليد وسعد ومعاوية وعبدالله بن سعد بن أبي سرح، من النفي والهتك والحبس والزجر والضرب والقتل وأخص بالصحابة المقربين والتابعين البررة الأخيار والآمرين بالمعروف.

وكلهم يرىٰ ان مثل خالد الفاسق ومعاوية الفاجر وابن أبي السرح ومروان وأبو سفيان كيف يسيرون بالأمة إلى الحضيض، ويفسدون علىٰ الخليفة النائم الغافل أراءه ويتلاعبون بمقدرات الأمة بأموالها ونفوسها وأعراضها وبالدين والعودة إلى الجاهلية. والجميع يخالفون باسم الدين نصوص القرآن وسنّة نبيه دون خوف ولا حذر، ويصرحون لمن يعترض إنما يريدون أن يفسدوا علينا ملكنا. ويصرح الخليفة انه تقمص ذلك الكساء كساء الخلافة من الله وانه له حق السلطة المطلقة علىٰ الأموال والنفوس، ولا يرضخ لمنطق أو يصغي لدليل وحجّة ولا يعتبر قول أحد إلّا تحدياً، حتىٰ إذا وقع في مشاكل واجمعت الأمة عليه ليعتزل استغفر الله وأقر بذنبه وتاب أن لا يعود، وعاهد الله أن يعمل بالعدل والكتاب والسنّة، وعاد

ونكث تحت أهواء وشهوات مروان ومعاوية الفسقة الفجرة ، والوليد الفاجر السكير وسعد الصعلوك المتمرد ، وعبدالله بن أبي سرح بغيض رسول الله ﷺ وأبو سفيان المنافق البغيض .

هؤلاء ارحامه الذين يغصب أموال الأمة ليقدمها لهم ليخزنوها ذهباً وفضة . وتقديم فدك فيء رسول الله ﷺ وتركته للصديقة الطاهرة بضعته ﷺ ، التي سلبوها منها ، يقدمها إلى مروان بن الحكم . وتقديم خمس الأموال والغنائم إلى ابن أبي سرح . ولا يأبه أن ينكث عهده ويعود إلى خيانته للفتك بالأبرار المتظلمين ، حتىٰ إذا نكس عليه عمله استغفر الله وتجرد من التهمة ، بيد لسرعان ما يطلب منه أن يقدم من قام بالجريمة (مروان) لمحاكمته فيأبىٰ .

وهكذا نرىٰ أن أقطاب المسلمين بعد أن أعياهم الدواء والاصلاح يترقبون للاجتماع في مكة أيام الحج ويتفاوضون في الأمور ويقومون بعدها للم شعثهم والقدوم بقيادات منظمة من مكة للمدينة لمقابلة عثمان واصلاح الحال ومحاججته للرجوع إلى كتاب الله وسنّة رسوله ﷺ ، وانصاف المسلمين واقامة العدل وتقريب الصالحين والسماع لارشادهم ووعظهم ، وابعاد بني أمية الطلقاء والمنبوذين من آل معيط والحكم واولاده وابن أبي سرح والوليد وسعيد وأبو سفيان ومعاوية ، الفاسق المنافق ابن المنافق الكافر ، أعداء الله وأعداء رسوله .

فيمد يد المعونة إلى أقطاب الصحابة واعضاء الشورىٰ ويأخذون العهد عليه ويتوسطون بينه وبين المتظلمين ويتوب ويعطيهم العهد والميثاق ، فيرجعون بعد التوثق من توسط أميرالمؤمنين علي ﷺ ، والعودة ، وسرعان ما ينكث ويرسل الرسل والرسائل علىٰ أثرهم لتميزهم بين مقتول ومسجون ومجلود ومهان ، والقضاء المبرم عليهم ، حتىٰ إذا انكشفت المؤامرة والمكر السيء من عثمان والعثور علىٰ رسالته المرسولة بيد مملوكه وعلىٰ ناقته ، عادوا هذه المرة بصورة

أشد يريدون خلعه عن الخلافة ونصب خليفة يعيد لهم حقوقهم المهضومة والعدالة المحطمة وكتاب الله الذي تركت أحكامه وراء ظهره ، وسنن نبيه المنبوذة ، واقصاء عماله وولاته الطغاة المردة .

وهو بالوقت نفسه يرسل مكاتيبه إلى ولاته لتجييش الجيوش واغاثته مستصرخاً يريد اطفاء نور الله باسم الدين والقضاء على الصالحين بالطالحين ، ويحاول اقناعهم بالرضا ريثما تصله الامدادات والعدد ، حتىٰ إذا بلغ المتظلمين قرب وصول النجدة وان الخليفة يأبىٰ التنازل ، لا من نفسه ، ولا من أحد من بني أمية ، وحتىٰ من عبد من عبيده الذي رمىٰ صحابياً عظيماً يريد وعظه فقتله ، وحيث وصل مروان وبنو أمية قرب وصول النجدة ، وهم الذين استمهلوا علىٰ لسان عثمان أهل المدينة والمحاصرين ثلاثة أيام للايفاء بالوعد ، بيد انما كانت هذه خدعة جمعوا بها عدتهم وعددهم من ارقاء الخمس وبني أمية الملتفين حول عثمان والأذناب الذين جرهم طمع الدنيا ومالها للالتفاف حوله ، الظانين بوصول الامدادات وبدأوا القوة بالقوة والكلام بالسب والشتم وأبىٰ عثمان العودة إلى نصحهم والابتعاد عن بني أمية ، وإذ وجد الصحابة والمتظلمون في المدينة والقادمون الخطر الداهم لم يجدوا بداً إلّا بالاسراع إلى تنفيذ خطة تخلصهم من هذا الكيد المحدق بهم ، فكسروا باب بيته واحرقوها ، وفتحوا باب أحد مجاوري داره وتسلقوا عليه الدار ، بعد أن وقعت المعركة ، بين بني أمية والناس وقتل من خيرة المناضلين ، وفرّ بنو أمية ، هاربين تاركين عثمان ونسوته ، وظل رغم كل ذلك لا ينفك عن سيرته ، بعد أن ألقىٰ الفتنة، بل الفتن ، وظلم واقسىٰ وقتل من قتل، وانهىٰ الأمر جماعة يقودهم محمد بن أبي بكر ابن الخليفة الأول ، ذلك الذي رضي به أهل مصر والياً ، واضطر عثمان ليكتب له بذلك ونكث عهده بارسال رسالة سرية مع عبده ليصل قبل المصريين لابن أبي سرح ويقضي عليهم إذا عادوا إلى مصر ، وعندها لم يجدوا بداً وقد بلغ السيل الزبىٰ ، فلابد من قتل الرجل الذي

استبد أشد استبداد بأتقىٰ وأبر الصحابة ، وبأموال المسلمين ، وتولية الأشرار عليهم ، وتعذيب من فاه منهم بأشد العذاب .

وبعد أن أقر بكل ذلك لا يريد أن يعتزل الأمر ويبعد الخونة من الأمويين ، أو يسلم من حرض علىٰ القتل والفتك ، لا مروان ولا حتىٰ عبده ، وعندها قتلوه واجمعوا انه قد كفر فلا يدفن في مقابر المسلمين ، وتولىٰ طلحة ذلك حتىٰ اجمعت أقطاب الصحابة والمسلمون علىٰ انتخاب الخليفة اجماعاً قاطعاً ، لا كالسقيفة ، ولا كالعهد الذي أدلىٰ به أبو بكر لعمر ، ولا كالشورىٰ ، بل باجماع الأمة وصلحائها ، وتوجهوا إلى عليعليه‌السلام أبو الحسنين سيدي شباب أهل الجنة وزوج بضعة المصطفىٰ سيدة نساء العالمين فاطمةعليها‌السلام ، وأخو رسول اللهصلى‌الله‌عليه‌وآله ووصيه ومولىٰ كل مؤمن ومؤمنة ، باب علم مدينة رسول اللهصلى‌الله‌عليه‌وآله ، وسفينة النجاة ، وعميد الثقل الأصغر ، وحبيب الله وحبيب رسوله الطاهر الزكي بشهادة القرآن ، ونفس رسول الله في آية المباهلة .

وهنا عاد الحق إلى نصابه ، وتنفس المسلمون الصعداء ، لولا ان الشيطان صرخ يستفز المنافقين والأشرار ، وكان قبلها قد دبر مكيدة السقيفة ، والعهد والشورىٰ لاحباط هذا الدين القويم . واليوم لا يرضيه عودة الحق إلى نصابه ، فهب صارخاً ، فأقام الفتن مذ دعا جماعة فنكثوا بيعة الامام ، وأهاب بآخرين القوا تبعة قتل عثمان (وهم الساعين له) علىٰ الامام الطاهر البريء علي بن أبي طالبعليه‌السلام ، فاتفق الناكثين طلحة والزبير مع عائشة للقيام بفتنة هلكوا بها وخسروا الدنيا والآخرة ، وذهبت ضحاياها عشرات الألوف من نفوس المسلمين الأبرياء .

وأعطت هذه الفرصة لبني أمية ومعاوية وأذنابه من السفهاء الفسقة الفجرة للالتفاف حوله وقيام حروب القاسطين في صفين والمارقين في النهروان حتىٰ انتهت بقتل أعظم رجل بعد رسول اللهصلى‌الله‌عليه‌وآله مظلوماً في محرابه فخسرت الأمة الاسلامية حريتها ووحدتها نتيجة الفتنة الأولىٰ التي هي أم الفتن ، وهي السقيفة

واغتصاب حق المسلمين من خليفتهم المنصوب من الله ورسوله ﷺ وعندها وقعت الواقعة وفرق الاسلام بالتفرقة ، وعادت ملوكية ، وخلقت المذاهب ، وعادت التعصبات الجاهلية والنعرات القومية .

واني ادناه أقدم أشهر المؤرخين والكتاب والمحدثين في هذه الوقائع ليقف علىٰ نصها القارئ ، ولا يفوته ان تولية الأمر بعده للأمويين الذين حرّفوا وبدّلوا وزيفوا ما شاءوا لصالحهم وصالح شيعتهم ، وبالعكس لتشويه حقائق من فتكوا بهم من الصحابة وآل البيت النبوي ، وظلت هذه المظالم تترا كلما جاء غاصب ظالم وقضى علىٰ غاصب ظالم آخر إلى يومنا هذا . فقد اعقب الأمويين العباسيون، وبعدهم العثمانيون والأمويون في الأندلس وتمزّقت الأمة الاسلامية شر ممزق لما قد دس في أصل الدين وفروعه ، وما زيفه المزيفون والمحرفون بعد أن منع تدوين السنّة والحديث الخليفة الأول والثاني .

وإليك يا قارئي الكريم المصادر التالية :

انساب البلاذري ج ٥ ص ١٩٩ ـ ٢٧٢ ، كتاب صفين ص ٢١٣ ، والامامة والسياسة ج ١ ص ٣٢ و ٣٣ ـ ٣٩ و ٤٠ ـ ٨٧ و ٩٢ ، والعقد الفريد ج ٢ ص ٢٦٢ ـ ٢٨٤ ، كامل المبرد ج ١ ص ١٥٧ ، وابن أبي الحديد ج ١ ص ١٦٦ ـ ٢٥٢ ، وتاريخ الطبري ج ٥ ص ٩٧ و ١١٥ و ١٤٠ ، والكامل لابن الأثير ج ٣ ص ٦٣ و ٦٨ و ٩٦ و ج ٥ ص ٦٧ ـ ٧١ ، وتاريخ أبي الفداء ج ١ ص ١٦٨ ، ١٧٠ ، وتاريخ ابن خلدون ج ٢ ص ٣٩١ ـ ٣٩٧ و ٤٠١ ، وطبقات ابن سعد ج ٣ ص ٤٧ ط ليدن و ٤٩ ـ ٥٥ ، و ج ٥ ص ٢٥ ط ليدن و ٥١ ، والرياض النضرة ج ٢ ص ١٢٣ و ١٢٥ و ١٣٢ وتاريخ ابن كثير ج ٧ ص ١٤٨ و ١٧٠ و ١٨٩ و ١٩١ ، وتاريخ الخميس ج ٢ ص ٢٥٩ و ٢٦٥ ، وتاريخ الخلفاء للسيوطي ص ١٠٦ و ١٠٧ ، والصواعق المحرقة لابن حجر ص ٦٩ ، حياة الحيوان للدميري ج ١ ص ٥٣ و ٥٤ ، الاصابة لابن حجر ج ٢ ص ٤١١ و ٤١٥ و ٢١٥ ، المعارف لابن قتيبة ص ٨٤ ، السيرة

الحلبية ج ٢ ص ٨٤ ـ ٨٧، مروج الذهب للمسعودي ج ٢ ص ٤٤٢ و ج ١ ص ٤٤١، تاريخ اليعقوبي ج ٢ ص ١٥٢ و ١٥٣، الفتنة الكبرىٰ ص ٢٢٦ ـ ٢٣١ للدكتور طه حسين نقله عن الطبري عن ابن سيره الوضاع المزيف الكذاب، راجع الغدير ج ٥ سلسلة الوضاعين. راجع أيضاً تاريخ الخطيب ج ١٤ ص ٣٦٧ ـ ٣٧٢، وتهذيب التهذيب ج ١٢ ص ٢٧، و ج ٧ ص ١٤١ و ١٤٢، أسد الغابة لابن الأثير ج ٣ ص ٢٧٣، الاستيعاب ج ٢ ص ٤٧٧، ٤٧٨، ٤٧٩، مجمع الزوائد ج ٧ ص ٢٣٢، وصفوة الصفوة ج ١ ص ١١٧، السيرة الحلبية ص ٨٥، ازالة الخفاء ج ٢ ص ٢٣٩ ـ ٢٤٢، معجم البلدان ج ٣ ص ٢٨١، وفاء الوفاء للسمهودي ج ٢ ص ٩٩، دول الاسلام ج ١ ص ٩، البداية والنهاية ج ٧ ص ١٥١.

وسوف اورد ادناه ما يثبت ان المهاجرين والأنصار الكل اجمعوا علىٰ أن عثمان غيّر وبدّل فيما أمر به اللّٰه ورسوله ﷺ، وانه افسد الدين ونأىٰ عن العدالة، وقسى وظلم وعادى احباء اللّٰه، وجار في سيرته، وقرّب أعداء اللّٰه وقلدهم مقاليد أمور المسلمين، وان أقل ما يمكن العمل من أجله اقصاؤه ومحاكمته علىٰ أعماله وعزله عن منصب الخلافة التي تقلدها رغم أنف المسلمين، عدي عبد الرحمن بن عوف صهره وسعد بن أبي وقاص صهر عبد الرحمن، وتهديد عمر بمعاوية وعمرو بن العاص وهو القتل فيمن تخلف عن بيعته. وقد اعترف سعد بن أبي وقاص وعبد الرحمن بعد حين أن عثمان بدّل وغيّر، وان عبد الرحمن كما مر أتىٰ لمقابلته وعزله، كما مر ذلك باسناده، عند ذكر عبد الرحمن بن عوف.

من المهاجرين والأنصار إلى اخوانهم في الثغور:

جاء في تاريخ الطبري ج ٥ ص ١١٥. عن عبد الرحمن بن يسار قوله: لما رأىٰ الناس ما صنع عثمان كتب من بالمدينة من أصحاب النبي ﷺ إلى من بالآفاق منهم، وكانوا قد تفرّقوا في الثغور: انكم إنما خرجتم ان تجاهدوا في

سبيل الله عزوجل تطلبون دين محمدﷺ ، فان دين محمد قد افسده من خلّفكم وترك فهلموا فاقيموا دين محمدﷺ .

وعن محمد بن مسلمة قوله : لما كانت سنة (٣٤) كتب اصحاب رسول اللهﷺ بعضهم إلى بعض يتشاكون سيرة عثمان وتغييره ، وتبديله ، ويسأل بعضهم بعضاً ان اقدموا ، فان كنتم تريدون الجهاد فعندنا الجهاد ، وكثر الناس على عثمان ونالوا منه اقبح ما نيل من أحد ، واصحاب رسول اللهﷺ يرون ويسمعون وليس فيهم أحد ينهىٰ ولا يذب عدا زيد بن ثابت ، وأبو أسيد الساعدي ، وكعب بن مالك ، وحسان بن ثابت ، فاجتمع المهاجرون وغيرهم إلى علي فسألوه ان يكلم عثمان ويعظه ، فأتىٰ ، فقال له : ان الناس ورائي وقد استفسروني بينك وبينهم ووالله ما أدري ما أقول لك ، ما أعرف شيئاً تجهله ، ولا ادلك علىٰ أمر لا تعرفه ، انك لتعلم ما يعلم ما سبقنا ، لا شيء فتجهرك عنه ولا خلونا بشيء فنبلغكه وقد رأيت كما رأينا وسمعت كما سمعنا وصحبت رسول الله كما صحبنا وما ابن أبي قحافة ولا ابن الخطاب باولى بعمل الحق منك وأنت أقرب إلى رسول اللهﷺ وشيجة رحم منهما وقد نلت من صهره ما لم ينالا فالله الله في نفسك فانك والله ما تبصّر عن عمي ولا تعلم من جهل ، وان الطرق لواضحة ، وان اعلام الدين لقائمة ، فاعلم ان أفضل عباد الله عند الله امام عادل ، هُدي وهَدىٰ ، فاقام سنّة معلومة ، وأمات بدعة مجهولة ، وأن السنن لنيّرة لها اعلام ، وان البدع لظاهرة لها اعلام ، وان شر الناس عند الله امام جائر ضَلّ وضُلّ به ، فامات سنّة مأخوذة واحيىٰ بدعة متروكة ، واني سمعت رسول اللهﷺ يقول : يؤتىٰ يوم القيامة بالامام الجائر وليس معه نصير ولا عاذر فيلقى في نار جهنم فيدور فيها كما تدور الرحىٰ ، ثم يرتبط في قعرها ، واني انشدك الله ان تكون امام هذه الأمة المقتول فانه كان يقال : يقتل في هذه الأمة امام يفتح عليها القتل والقتال إلى يوم القيامة ، ويلبس أمورها عليها ، ويثبت الفتن فيها ، فلا يبصرون الحق من الباطل ، يموجون فيها موجاً ويمرجون فيها مرجاً ، فلا تكوننّ لمروان سيّقة

يسوقك حيث شاء، بعد جلال السن وتقضي العمر. فقال له عثمان: كلم الناس في أن يؤجلوني حتىٰ أخرج إليهم من مظالمهم، فقالﷺ: ما كان بالمدينة فلا أجل فيه، وما غاب فأجله وصول أمرك إليه.

وقد جاء في شرح ابن أبي الحديد ج ١ ص ١٦٥، من دعوة أصحاب الرسول من المدينة للصحابة في الثغور: الدين افسده خليفتكم ... فاختلفت عليه القلوب فاقبلوا عليه من كل أفق حتىٰ قتلوه.

وذكر ابن الأثير في كامله ج ٥ ص ٧٠، ما كتبه الصحابة في المدينة لاخوانهم في الثغور: فان دين محمد قد أفسده خليفتكم.

وأخرج ابن قتيبة في الامامة والسياسة ج ١ ص ٣٢ رسالة من المهاجرين في المدينة إلى مصر:

بسم اللّٰه الرحمن الرحيم

من المهاجرين الأولين وبقية الشورىٰ إلى من بمصر من الصحابة والتابعين: أما بعد، ان تعالوا إلينا وتداركوا خلافة رسول اللّٰهﷺ قبل أن يسلبها أهلها، فان كتاب اللّٰه قد بدّل، وسنّة رسول اللّٰه قد غيّرت، وأحكام الخليفتين قد بدلت، فننشد اللّٰه من قرأ كتابنا من بقية أصحاب رسول اللّٰه والتابعين باحسان إلّا أقبل إلينا وأخذ الحق لنا واعطاناه، فاقبلوا إلينا ان كنتم تؤمنون باللّٰه واليوم الآخر، وأقيموا الحق علىٰ المنهاج الواضح الذي قد فارقتم عليه نبيكم، وفارقتم عليه الخلفاء، غلبنا علىٰ حقنا، واستولىٰ علىٰ فيئنا، وحيل بيننا وبين أمرنا، وكانت الخلافة بعد نبينا خلافة نبوّة ورحمة وهي اليوم ملك ... من غلب علىٰ شيء اكله.

كما كتب أهل المدينة (بما فيهم من مهاجرين وأنصار)، إلى عثمان عن طريق عبداللّٰه بن الزبير عن أبيه قوله:

«كتب أهل المدينة إلى عثمان يدعونه إلى التوبة ويحتجون ويقسمون له باللّٰه لا

يمسكون عنه أبداً حتىٰ يقتلوه، أيعطيهم ما يلزمه من اللّٰه. فلما خاف القتل، شاور نصحاءه وأهل بيته». راجع بذلك تاريخ الطبري ج ٥ ص ١١٦.

فنرىٰ أن عثمان الذي لم ينتخبه المسلمون ولم يستشر في انتخابه المهاجرين ولا الأنصار، ولا ذوي الرأي من المسلمين، بل هي وليدة فكرة الخليفة المنهوك المسجىٰ المشرف علىٰ الموت العليل الجسم والذي اصبحت قواه العقلية تابعة للضعف والانهيار لقواه الجسمية، والذي كان الأجدر به أن يجعل انتخاب الخليفة بعده لصحابة رسول اللّٰهﷺ المحنكين، وهو يعرفهم حق المعرفة، ويعرف النقي من الشقي ويعرف الأسبق منهم من الأحزاب، ويعرف المؤمن من المنافق الفاسق ويعرف وهو يثبت أقدام بني أمية في حياته، وساعة وفاته لاقامة ملوكية لا خلافة، ان هناك علي الذي طالما شهد، لولاه لهلك، وانه يقيمهم علىٰ المحجة البيضاء، ويهديهم السبيل، ويسير بهم إلى الحق، فما حاد به عن جادة الصواب؟ وهو يعرف حق المعرفة ان عثمان يدلي بها لبني أمية ويغضب لها المسلمون ويقتلوه، وعندها الفتنة والشقاق والتفرقة، تلك التي حذر عنها القرآن ونبي الاسلامﷺ.

وهذا عثمان ينفي كل كتاب وسنّة وسيرة، ويتخذها ملوكية، وإذا به يتصرف بأموال المسلمين ورقابهم وأعراضهم تصرف المالك الغالب علىٰ أمرهم فيهب إلى السفهاء والبغضاء والمنبوذين الملاعين علىٰ لسان القرآن ونبي الاسلام أموال المسلمين رغم انف من أبىٰ واعترض، وهو رافع سوطه موجهاً تهمة إلى الأبرياء الاتقياء الآمرين بالمعروف والناهين عن المنكر، من أخلص عباد اللّٰه أمثال عمار وابن مسعود وأبو ذر الغفاري، من الصحابة المقربين وأمثالهم علىٰ مرأىٰ ومسمع من كافة المسلمين في المدينة وخارجها، وازاد في الطنبور نغمة حينما جاء بالحكم وابنائه المنبوذين من اللّٰه ورسولهﷺ والملعونين، أعداء اللّٰه ورسوله والمؤمنين ليجعلهم مشاوريه في أمة الاسلام، ويأتي بالطلقاء من بني

أمية ليودع لهم كنوز الأرض ورقاب المسلمين ، يقيمهم ولاة اولياء علىٰ الخاص والعام ، ويستشيرهم كلما طفىٰ الماء وحمي الوطيس علىٰ الأمة ، وهم يهرعون إلى الخليفة من يد هذه الشرذمة الطغاة وإذا به يـجمع هـذه الشـرذمة المـعتدية ليستشيرهم في أمر المتظلمين ، ولا يأبه كل منهم أن يؤازره علىٰ الظلم وتمزيق الحق وطرد العدالة ، وإذا بذوي الشورىٰ الذين نصبوه ، وفي مقدمتهم عبد الرحمن بن عوف صهره وسعد بن أبي وقاص صهر عبد الرحمن بين مفتٍ بمحاربته وعزله حتىٰ قتله ، وآخر يترأىٰ بالاعتزال وهو من أشد الخاذلين له ، وإذا بطلحة والزبير من أشد الناس عليه ، وإذا بعلي أنصح الناس له ، والذابين عنه يعينه أمره ، كلما انصاع لنصحه عاد غاوياً علىٰ يد مروان وزمرته الشقية . وإذا به العوبة لا يردعه دين ولا ذمة ، ولا خلق ، ولا عهد أن يتوب ، ويتعهد وينكث ويستبد ، ويـعطي لساناً ويمنع يداً ويذرف دموع التماسيح للمسلمين علىٰ ما بدر منه ، ويكيل لهم أشد مما سبق ، وينصاع للمتظلمين كرهاً ويكيد لهم سراً ، يصعد منبر رسول الله مستغفراً عن ذنوبه ومستميحاً عذرهم عمّا بدر منه حتىٰ يجلب عفوهم ورحمتهم ، ويكتب لهم بما يريدون ويقوم سراً ليكتب علىٰ يد الزمرة البغيضة لقتلهم وابادتهم وتشتيتهم وتفريقهم ، ودعوة الجيوش واتهامهم بالكفر ، بل اتهام أجل الصـحابة بالكفر .

وقد برهن من قبل علىٰ تناقض اعماله بضرب واضطهاد ونفي أجل الصحابة وقتلهم قهراً ونفياً ، هذا المتسلط علىٰ المسلمين باسم الشورىٰ قهراً ، يقول : انه لا ينزع رداءً كساه الله به ، وانه حينما يقتل ويظلم وينكث ويكرر منكراته انه إنما يجتهد ، والامام قد يخطئ في اجتهاده فلا اثم عليه . وهم يقبلون منه لو انه لم يعد بعد التوبة ، ولم يكن له سبق اصرار في الظلم والاستمرار فيه ، ولو انه لم يخضع إلى مشورة الطغمة البغيضة من آل الحكم وبـني أمـية ، ولو انـه لم يكـد للـمسلمين

ويحرض ولاته لتجييش الجيوش على المسلمين ، ولو انه صغى واعتزل بعد اجماع الأمة على عزله وانه لا يصلح لهذا الأمر .

ولا ترى من المسلمين قاطبة من تابع عثمان وأيده سوى بني أمية واعوانهم الذين شاركوهم على نهب أموال المسلمين ، امثال زيد بن ثابت ، وهو القائم بأمره خازن بيت المال بأمره والذي يشاطره في هذه الأموال ، وقد اثرى على حسابه الثراء الواسع . وبعد حسان بن ثابت الذي برهن على أنه من الانتهازيين ولا يهمه من أمر الدين إلّا بما يملأ به جيبه ، وأبو اسيد الساعدي ، وكعب بن مالك ، اللذين خالفا المسلمين على أساس هذه الدنيا ، وبلوغ مآربهم الدنيئة . ولا نجد بعد هؤلاء إلّا صارخاً متظلماً داعياً على عثمان وزمرته .

وهاك ما نقله الواقدي في اسناده : «انه لما كانت سنة اربع وثلاثين كتب بعض أصحاب رسول الله إلى بعض يتشاكون سيرة عثمان وتغييره وتبديله وماالناس فيه من عماله ، ويكثرون عليه ، ويسأل بعضهم أن يقدموا المدينة ان كانوا يريدون الجهاد ، ولم يكن أحد من أصحاب رسول الله ﷺ يدفع عن عثمان ، ولا ينكر ما يقال فيه ، عدا زيد بن ثابت ، وأبو أسيد الساعدي ، وكعب بن مالك ، وحسان بن ثابت الأنصاري . فاجتمع المهاجرون وغيرهم إلى عليٍّ فسألوه ان يكلم عثمان ويعظه ، فأتاه فقال له : **ان الناس ورائي قد كلموني في أمرك . ووالله ما أدري ما أقول لك ، ما أعرفك شيئاً تجهله ، ولا ادلك على أمر لا تعرفه ، وانك لتعلم ما نعلم وما سبقناه إلى شيء فنخبرك عنه . لقد صحبت رسول الله ﷺ وسمعت ورأيت مثلما سمعنا ورأينا . وما ابن أبي قحافة وابن الخطاب باولى بالحق منك . ولأنت أقرب إلى رسول الله ﷺ رحماً ولقد نلت من صهره ما لم ينالا . فالله الله في نفسك ، فانك لا تبصّر من عمي ، ولا تعلم من جهل** . فقال له عثمان : والله لو كنت مكاني ، ما عنفتك ولا اسلمتك ولا عتبت عليك ان وصلت رحماً ، وسددت خلّة وأويت ضائعاً ،

ووليت من عمر بوليه ، نشدتك الله ألم يولّ عمر المغيرة بن شعبة ؟ قال : نعم . قال : فلم تلوموني ان وليت ابن عامر في رحمه وقرابته ؟ قال علي : ساخبرك ، ان عمر بن الخطاب كان كل من ولّى فإنما يطأ على صماخه ، ان بلغه عنه صرف جلبه ، ثم بلغ به أقصى الغاية ، وأنت لا تفعل ، ضعفت ورفقت على أقربائك ، قال عثمان : هم أقرباؤك أيضاً ، فقال علي : لعمري ان رحمهم مني لقريبة ولكن الفضل في غيرهم . قال : أولم يول عمر معاوية ؟ فقال علي : ان معاوية كان أشد خوفاً وطاعة لعمر ، وهو الآن يبتز الأمور دونك ، وأنت تعلمها ويقول للناس : هذا أمر عثمان . ويبلغك فلا تغير على معاوية .

وقد نقل ذلك ابن خلدون ج ٢ ص ٢٩١ ، وابن الأثير والطبري ج ٥ ص ٩٧ ، والبلاذري في الأنساب ج ٥ ص ٦٠ .

وهذا ابن قتيبة في الامامة والسياسة ج ١ ص ٩٢ ، يذكر حديثاً لأبي هريرة ولأبي الدرداء ، وهما يريدان اصلاح الأمر في حرب صفين فيأتيا معاوية يعظانه باحقية علي فيطلب منهما قتلة عثمان من علي ، فيفاوضان علياً فيقول : إذهبوا ان تعرفان قتلة عثمان فخذوهم ، وحينما يكلمان محمد بن أبي بكر ومالك الأشتر وعمار بن ياسر يقوم له عشرة آلاف من جيش علي وكلهم يقرون انهم قتلوا عثمان فيرجعان . وفي حمص لقيهما عبد الرحمن بن عثمان ، ويقصان عليه ذلك فقال : العجب منكما انكما من اصحاب رسول الله أما والله لان كففتما ألسنتكما ، أتأتيان علياً وتطلبان إليه قتلة عثمان ، وقد علمتما ان المهاجرين والأنصار لو حرّموا دم عثمان نصروه ، وبايعوا علياً على قتلته ، فهل فعلوا ؟ واعجب من ذلك رغبتكما عمّا صنعوا ، وقولكما لعليّ ، اجعلها شورى واخلعها في عنقك وانكما لتعلمان ان من رضي بعليّ خير ممن كرهه ، وان من بايعه خير ممن لم يبايعه ، ثم صرتما رسولي رجل من الطلقاء لا تحل له الخلافة .

وما جاء في كتاب صفين لابن مزاحم ص ٢١٣ نفس المعنىٰ مع فرقين: الأول: انه نسبها لابي امامة الباهلي وأبو الدرداء، والثاني: ان الذين اعلنوا لهما قتل عثمان عشرين ألف من المسلمين مسربلين في الحديد لا يرىٰ منهم إلّا الحدق، فقالوا: كلنا قتلة فان شاءوا فليروموا ذلك منا.

وإذا راجعت ما دار بين الصحابي الكبير أبي الطفيل ومعاوية بعد أن اصبح معاوية خليفة للمسلمين قوله: اكنت ممن قتل عثمان اميرالمؤمنين، قال: لا، ولكن مما شهد فلم ينصره، قال: ولم؟ قال: لم ينصره المهاجرون والأنصار. راجع بذلك مروج الذهب للمسعودي ج ٢ ص ٦٢، والاستيعاب في الكنىٰ، وتاريخ الخلفاء للسيوطي ص ١٣٣، وتاريخ ابن عساكر ج ٧ ص ٢٠١، والامامة والسياسة ج ١ ص ١٥٨، وفي جميعها ترىٰ انما قتل عثمان المهاجرون والأنصار ونخبة الصحابة وبينهم العشرة المبشرة، وأهل الشورىٰ، والبدريون وقاطبة المسلمين، ممن حضر المدينة ومن خارجها عدى بني أمية الذين قتلوه خيانة في النصح مثل بني الحكم والوليد وسعيداً.

وبالتالي اصغ إلى كلمة خليفة رسول اللهﷺ وأخيه ووصيه وأبو الائمة والعترة الطاهرة من كتاب جواب لمعاوية: **زعمت انك إنّما أفسد عليك بيعتي خفري بعثمان، ولعمري ما كنت إلّا رجلاً من المهاجرين أوردت كما أوردوا، واصدرت كما اصدروا، وماكان الله ليجمعهم علىٰ ضلال، ولا ليضربهم بالعمىٰ وما أمرت فلزمتني خطيئة الأمر، ولا قتلت فأخاف علىٰ نفسي قصاص القاتل**. كما جاء ذلك في العقد الفريد ج ٢ ص ٢٨٤، والامامة والسياسة ج ١ ص ٨٧.

وهكذا ترىٰ كيف يخرج عثمان بشهادة قاطبة المسلمين أخص منهم المهاجرين والأنصار، وفيهم البدريون والعشرة المبشرة، وأهل الشورىٰ عن نصوص الكتاب وأحكام الله وسنّة نبيه وسيرة الخلفاء، حتىٰ تجمع الأمة علىٰ

عزله واستتابته وانصياعه للقصاص ، عما ظلم ، أو مقاتلته حتىٰ انصاع اكـراهـاً وتظاهر خلاف ما يكـن ، وهـو يـدبر الأمـر للـقضاء المـبرم علىٰ المـتظلمين والناصحين والمرشدين والمصلحين ، ويبعث بالرسل بعد اظهار التوبة والانصياع والندم ، إلى عماله أخص منهم الأمويين لمده بالجيوش والقوىٰ ، حتىٰ إذا فضح اللّٰه عمله ومكره عادوا إليه باشد يطلبون القصاص والاعتزال ، فيأبىٰ ، بل يزيد بقتل الصحابي الذي جاءه مرشداً ، وأبىٰ تسليم قاتله ، وما هو إلّا مملوكه ، كما أبىٰ تسليم كاتبه مروان الذي ادعىٰ انه كتب عن لسانه دون علمه .

وحين لم يجد المسلمون سوىٰ مقاتلته قبل استفحال أمره ووصـول المـدد ، فقتلوه ، وقد افتوا بكفره لاصراره علىٰ مخالفة الاجماع ، وعدم الحكم مما أنزل اللّٰه وسنّة رسولهﷺ والخيانة في النكث ، حتىٰ لم يجدوا له بعدها غير القتل ، لأنه قد خرج عن ذمة الاسلام فلا تجوز عليه الصلاة ، ولا يـجوز دفـنه فـي مـقابر المسلمين .

وترىٰ ما أدلىٰ به أخو رسول اللّٰهﷺ وخليفته المنصوص بالكتاب والسـنّة ، وأبو ذريته وزوج بضعته ذو المناقب والمكارم بانه ما كان اللّٰه ليجمع المهاجرين والأنصار علىٰ ضلال ولا ليضربهم بالعمىٰ ، شهادة منه بمقام الصحابة ورأيهم في الاجماع ووجوب احترامه ، وتلك شهادة عبدالرحمن بن عثمان في حق علي في الخلافة ، واعتراض هذا الطليق البغيض معاوية بن أبي سفيان بدم عثمان وتفنيد حجته .

اجماع أقطاب الأمة علىٰ الحصار الأول :

روىٰ ذلك أكثر المؤرخين والكتاب كابن خلدون في العقد الفريد والبلاذري في الأنساب ج ٥ ص ٢٦ ، ٥٩ ، ٦٢ ، وابن سعد في طبقاته ج ٣ ص ٤٩ ، والطبري

والمسعودي في مروج الذهب وغيرهم ، كما مر ذكرهم . ان أقطاب المصريين والكوفيين والبصريين وغيرهم ، اجتمعوا في مكة قبل سنة من الحصار الأول وتداولوا في أمر عثمان وخروجه عن حدود الله ورسوله ﷺ ولتعنته ومظالمه وتجبره واجحافه وعدم الانصياع لارشاد المرشدين ونصح الصحابة الكبار الذين يسبقونه علماً وسابقة وفضلاً وكرامة ، وتوجيه الضربات القاصمة لهم لتسكيتهم وتأنيب غيرهم ، وما جر ذلك على الدين ، وتعاهد كل فريق على ابلاغ أفراد الأمة في قطره ، حتى إذا جاءت السنة التي تلتها جاء المصريون وعددهم يختلف حسب قول المؤرخين بين (٤٠٠) إلى (٢٠٠٠) ، والكوفيون وعددهم يتراوح حسب قول الرواة من (٢٠٠) إلى (١٠٠٠) والبصريون وعددهم بين (١٠٠) و (١٥٠) وكل تحت قيادة زعيم انتخبوه وأعطوا قيادتهم إلى الصحابي عمرو بن بديل الخزاعي ، والتحق بهم من كان من الصحابة في المدينة ، والمسلمون والقبائل المتحالفة لأفرادها وتزعم الناس الصحابة البدريون وذوي الرأي والحل والعقد من العشرة المبشرة وأعضاء الشورى ، تشد ازرهم قبائلهم والقبائل المتحالفة معهم ، ولا ننسى اساءات عثمان للصحابة أمثال أبي ذر وعمار وابن مسعود وغيرهم المار ذكرهم ، وهم يقصدون عثمان .

كتاب المصريين لعثمان :

نقله الطبري عن عبدالله بن الزبير عن أبيه : ان المصريين كتبوا لعثمان كتاباً وهم على مسيرة ليلة من المدينة بذي خشب وهذا نصه :

«بسم الله الرحمن الرحيم . أما بعد : فاعلم ان الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم ، فالله الله ثم الله الله ، فانك على دنيا فاستتم إليها معها آخرة ، ولا تلبس نصيبك من الآخرة ، فلا تسوغ لك الدنيا ، واعلم انا والله لله نغضب وفي الله

نرضىٰ ، وانا لن نضع سيوفنا عن عواتقنا حتىٰ تأتينا منك توبة مصرحة أو ضلالة مجلَّجة مبلَّجة ، فهذه مقالتنا لك وقضيتنا إليك واللّٰه عذيرنا منك والسلام» . وأرسلوا الكتاب إلى عثمان ، بيد رجل منهم ، فلم يرد عليه وأمر باخراجه من الدار.

عهد الخليفة :

وترىٰ من فحوىٰ ما رواه الرواة والمؤرخون : كتب ان المسلمون وأخص منهم الصحابة يلغ بهم الأمر لبذل النفس والنفيس والاقدام علىٰ جهاد الخليفة والعمال المنبوذين الفجرة الفاسقين ممن عينهم عثمان ، ومن قبله عمر ، والفرق ان عمر كان صلباً شديداً ، راعوا فيه ما يخشون من سطوته ، وأما عثمان فقد وافقهم علىٰ علاتهم ، ومداهنتهم وابتزاز الأموال والجور علىٰ المسلمين .

وإذا ما راجعت ما نقله أبو مخنف والطبري والكامل لابن الاثير والامامة والسياسة ومعارف ابن قتيبة والعقد الفريد وشرح ابن أبي الحديد والسيرة الحلبية والرياض النضرة وتاريخ ابن خلدون والأنساب للبلاذري ج ٥ ص ٦٢ : ان المصريين بعد ورودهم للمدينة بعد سنة من اجتماع اقطابهم في مكة احاطوا وغيرهم للمرة الأولىٰ بدار عثمان ، وتقدم المغيرة بعد مشاورة عثمان لمكالمتهم فنهروه صائحين به : يا أعور وراءك ، يا فاجر وراءك ، يا فاسق وراءك ، فرجع ، ودعا عثمان عمرو بن العاص ، فقال له : آت القوم فادعهم إلى كتاب اللّٰه والعتبىٰ مما ساءهم فلما دنا منهم سلم فقالوا لا سلم اللّٰه عليك ، ارجع يا عدوّ اللّٰه ، ارجع ياابن النابغة فلست عندنا بأمين ولا مأمون .

وللقارئ ان لا يعزب عنه ان المغيرة وابن العاص من ولاة الخليفة الثاني بيد وقد شرحنا سيرة المغيرة وفجوره في الجزء الرابع من موسوعتنا وهذا ما لا يخفىٰ

علىٰ الخليفة ولا علىٰ الناس ، واما ابن العاص ، فلم يخف أيضاً عليهم ، وقد ثبت نفاقه علىٰ لسانه واعماله وانحيازه فيما بعد للفئة الباغية طمعاً بمصر ، وهو يعترف بقصيدته الجلجلية وكتاباته وأقواله ما لعلي من الفضل . وما لمعاوية من الفسق والكفر وما جرىٰ له في صفين وغيرها حينما ولي الشام من الموبقات ، وهذا ما لا يخفىٰ علىٰ الناس فرفضوهم ، فقد اتعبهم ما وجدوا فيهم من النفاق والفسق في سيرتهم واعمالهم . فكيف يرضون بهم وباقوالهم بل رفضوهم شر رفض وشهدوا علىٰ كفرهم وفسقهم ولم يخف علىٰ جماعة عثمان أمثال ابن عمر وغيره الذين شهدوا ذلك ، فاشاروا علىٰ عثمان بارسال اعظم رجل بعد رسول الله لحسم الأمر وهو علي بن أبي طالبعليه السلام ، وذلك ما لم يخف علىٰ عثمان الذي يعرف علياً كيف يوثقه بالعهد ، وانه رجل الحق والحقيقة والواقع . وسنرىٰ ما حدث وما قام به .

نعم قال لعثمان ابن عمر وغيره ليس لهم إلّا علي بن أبي طالبعليه السلام فلمّا أتاه قال : يا أبا الحسن ! آت هؤلاء القوم فادعهم إلى كتاب الله وسنّة نبيّه : قال : **نعم ان اعطيتني عهد الله وميثاقه علىٰ أنك تفي لهم بكل ما اضمنه عنك** قال : نعم . (ونرىٰ ان المغيرة وعمرو بن العاص لم يطلبا ذلك من عثمان لأن قصدهم كآل أمية النفاق والخديعة وقد عرفهم القوم وطردوهم) فأخذ علي علىٰ عثمان عهد الله وميثاقه علىٰ أوكد ما يكون واغلظ ، وخرج إلى القوم فقالوا : وراءك ، قال : **لا . بل أمامي ، تعطون كتاب الله وتعيثوا من كل ما سخطتم** ، فعرض عليهم ما بذل عثمان ، فقالوا : أتضمن ذلك عنه ؟ قال : **نعم** . قالوا : رضينا . واقبل وجوههم وأشرافهم مع علي حتىٰ دخلوا علىٰ عثمان وعاتبوه فاعتبهم من كل شيء ، فقالوا : اكتب بهذا كتاباً فكتب ما يلي :

بسم الله الرحمن الرحيم : هذا كتاب من عبدالله عثمان أميرالمؤمنين لمن نقم عليه من المؤمنين والمسلمين ، ان لكم أن أعمل فيكم بكتاب الله وسنّة نبيه ،

يعطي المحروم، ويؤمن الخائف ويرد المنفي ولا تجمر البعوث (أي لا تحبس في أرض العدو ولم تقفل) ويوفر الفيء وعلي بن أبي طالب ضمين المؤمنين والمسلمين علىٰ عثمان بالوفاء في هذا الكتاب. شهد بذلك، الزبير بن العوام وطلحة بن عبيدالله، وسعد بن مالك بن أبي وقاص وعبدالله بن عمر وزيد بن ثابت وسهل بن حنيف وأبو أيوب خالد بن زيد. كتب في ذي القعدة سنة خمس وثلاثين وأخذ كل قوم كتاباً وانصرفوا.

وأنت إذا طالعت العهد وتبحرت فيه لابد وان يعاودك من المفهوم المخالف ان عثمان كان سار علىٰ خلاف كتاب الله وسنّة نبيه في أحكامه وسننه واعترف بذلك. وان المسلمين قد اعياهم شأنه وضاقت بهم أمور دينهم ودنياهم حتىٰ هبوا من قلب الأمة الاسلامية المدينة وقبلتها مكة واكنافها، هبة واحدة يطالبونه باقصاء آل امية الكفرة الفجرة الذين حسبوا ان ذلك ملكهم، وان لهم وحدهم الأمر والنهي والحل والفصل والثراء دون غيرهم، وان عبادالله ارقائهم، وأموال الله متعة لهم، ودينه خلقهم السافلة واهوائهم الدنيئة وخليفته مظهر ارادتهم يوجهونه حيث شاءوا ويتلاعبون بمقدرات المسلمين دون رادع ووازع.

وسترىٰ علىٰ لسان مروان بعد عهد الخليفة، وبعد استغفاره علىٰ منبر رسول الله ﷺ واعتذاره، كيف يظهر للمسلمين مروان مرة أخرىٰ مكشراً عن أنيابه الكريهة مزمجراً ومهدداً الصحابة والمسلمين ومتوعداً إليهم بأنهم إنما يمانعون عثمان وآل أمية ملكهم وان الخليفة قد نكث وانه عاد بعد العهد جباراً وسيلقون ما يكرهون في مطالبهم وتعنتهم.

ومنه ظهر لكافة المسلمين ان عثمان هو ذلك الأموي بطباعه وخصاله الجاهلية المحضة وانه ألعوبة بيد هذه الزمرة المجرمة الفاجرة المنافقة الفاسقة، اعداء الله واعداء رسوله ﷺ، وما هو إلّا آلة خلت من الارادة والتفكير إلّا ما يفرغه فيه

هؤلاء ، وانه لا يصلح لا للخلافة ولا دونها ، وان وعوده ماهي إلّا سراب وانه يخفي دونها السم لهذا الدين الحنيف . ولقد حسبوا انهم ادركوا الوقت المناسب ، ولكن هيهات فقد بلغ الشيطان بغيته ، واحبط الفساد أعمال المصلحين منذ أن وثق الخليفة الثاني ملك بني أمية بامارة الشام لمعاوية ، وعثمان في الشورىٰ وقال فيها ان معاوية كسرىٰ العرب ، وهدد به علياً وطلحة والزبير كما أسندهم بالمغيرة وعمرو بن العاص المنافقين الفجرة أعداء الاسلام الزمرة الباغية الذين قامت علىٰ اكتافهم المفاسد ، وعمت النكبات وقادوا حملات الضلال ضد الخلافة الصالحة للامام علي عليه السلام ووقفوا حاجز لتعميم العدالة والسلام وبث روح الاسلام واعادة الحقوق المسلوبة ، وكانوا مردة ظلمة ، جنود ابليس في الشرق والغرب يقودون جيوش السفهاء والسفلة والجهلة ليهدم مباني الاسلام والمساواة والدين الحنيف ، واعادة العصبيات الجاهلية ، والتفرقة العنصرية علىٰ أشد ما يتصوره الفكر البشري ، وباعظم ما يخالج النفوس والأهواء لارضاء شهواته الرذيلة ، وضرب كل فضيلة ومحاربة كل مصلح مؤمن وسفرت أفعالهم بعد تقلد معاوية وبني الحكم زمام الأمور . وسنقدم نبذة من أعمالهم الدنيئة بؤرة الفساد في عهدهم في الكتاب السادس .

والآن نعود بعد أن كتب عثمان عهده بضمانه علي بن أبي طالب عليه السلام وشهادة الصحابة أشار علي علىٰ عثمان تدعيماً للعهد وتطميناً للقلوب المتشككة والنفوس المرتابة أن يخرج عثمان ويلقي علىٰ مسامع المسلمين كلاماً يسمعه الناس ويحملونه عنه ويشهد اللّٰه ما في قلبه ، فان البلاد قد تمخضت عليه ولا مأمن أن يأتي ركب آخر من الكوفة أو من البصرة أو من مصر فيقول : يا علي اركب إليهم وان لم يفعل علي قال قطع رحمي واستخف بحقي ، فخرج عثمان فخطب الناس ، فاقر بما فعل واستغفر اللّٰه منه . وقال سمعت رسول اللّٰه يقول : من زل فليُنب . فأنا

أول من اتعظ ، فإذا نزلت فليأتيني اشرافكم فليردّوني برأيهم ، فو اللّٰه لو ردني إلى الحق عبد لاتبعته ، وما عن اللّٰه مذهب إلّا إليه . فسرَّ الناس بخطبته واجتمعوا إلى بابه مبتهجين بما كان منه .

ترىٰ هل صدق وعده وهل تكلم بنية خالصة ، وقلب نزيه وايمان محكم ؟ وهل عاهد اللّٰه علىٰ ما فاه به ؟ وهل سيغضي عنه هؤلاء الأشرار الذين افسدوا عليه أمره ؟ ذلك ما تكذبه الحوادث المؤسفة التالية ويظهر منها انه كان يكن في نفسه غير ما نطق به ، وانه ارغم المسلمين بزعامته ، كما أرغمهم باقواله وأعماله ، وانه خرج إلى اقصىٰ حد عن نطاق الدين والوجدان والمنطق والانصاف ، وانه كان يتحين الفرص للوقيعة بأهل المدينة الذين اتهمهم بالكفر ، ومن هم أهل المدينة سوىٰ الصحابة من المهاجرين والأنصار والعشرة المبشرة والبقية الباقية من أعضاء الشورىٰ ، والبدريون . وأبىٰ علىٰ الكل عملاً أن يعتزل أو يبعد المتآمرين معه أو يعطيهم حقهم من القصاص من نفسه أو من مروان كاتبه البغيض اللعين الوزغ ابن الوزغ علىٰ لسان رسول اللّٰه ﷺ ، أو حتىٰ من عبده الذي رمىٰ الصحابي العظيم ، الذي خاطب عثمان من خارج داره من المتجمهرين بغية اصلاح الأمر ، فرماه مملوكه فقتله وطلبوا تسليمه للمحاكمة فأبىٰ ، كل تلك مر قسم منها باسنادها .

نعم حينما كتب عثمان عهده وخطب بعدها بالناس كما مر ، ابتهج الناس واجتمعوا بدار خليفتهم شكراً وامتناناً ووداعاً يطلبون توديعه وابداء الامتنان والشكر .

وإذا بالمجرم والبؤرة النفاقية لهذه الفتنة مروان يخرج إليهم ويزجرهم قائلاً :

شاهت وجوهكم ، ما اجتماعكم ، أميرالمؤمنين مشغول عنكم ، فإذا احتاج إلى أحد منكم فسيدعوه فانصرفوا .

وعن الطبري : ان عثمان لما خطب الناس خطبته بعد كتابة العهد لم يحضرها

بنو أمية ، وحينما ذهب إلى الدار وجد في منزله مرواناً وسعيد بن العاص ، ونفراً من بني أمية ولم يكونوا شهدوا الخطبة ، فلما جلس قال مروان : يا أميرالمؤمنين اتكلم أم أصمت ؟ فقالت نائلة ابنة القرافصة الكلبية زوجة عثمان : لا بل اصمت فانهم والله قاتلوه ... انه قد قال مقالة لا ينبغي له أن ينزع عنها . فأقبل عليها مروان فقال : ما أنت ذلك ؟ فو الله لقد مات أبوك وما يحسن يتوضأ . فقالت له : مهلاً يا مروان عن ذكر الآباء تخبر عن أبي وهو غائب فكذب عليه ، وان أباك لا يستطيع أن يدفع عنه ، أما والله لولا انه عمه ... اخبرتك عنه ما لي اكذب عليه ، قال : فأعرض عنها مروان ثم قال : يا أميرالمؤمنين اتكلم أم اصمت ؟ قال : بل تكلم . فقال مروان : بأبي أنت وأمي والله لوددت أن مقالتك هذه كانت وأنت ممنّع منيع فكنت أول من رضي بها وأعان عليها ، لكنك قلت ما قلت حين بلغ الحزام الطُبيين ، وخلف السيل الزبىٰ ، وحين اعطى الخطة الذليلة الذليل ، والله لاقامة علىٰ خطيئة تستغفر الله منها أجمل من توبة تخوَّف عليها ، وأنك ان شئت تقربت بالتوبة ولم تقرّر بالخطيئة ، وقد أجتمع إليك علىٰ الباب مثل الجبال من الناس ، فقال عثمان : فاخرج إليهم فكلّمهم فاني استحي أن أكلمهم .

ماذا كان يقصد عثمان : اني استحي أن أكلمهم ؟ إلّا كان قد تأثر بأقوال مروان وتغير رأيه وأراد نقض العهد ، والشدة بعد اللينة ، وإلّا فلا داعي له من الاستحياء إلّا إذا أراد أن يبدل رأيه ، وهذا ما اراده من مروان ، وسنرىٰ كلمة مروان واثرها السيء ، مما يدل علىٰ أن الخليفة مسلوب الارادة ، وان مثله لا يحق علىٰ أي وجه أن يتزعم للخلافة وان المسلمين من حقهم عزله .

نعم ، خرج مروان إلى الباب والناس يركب بعضهم بعضاً فقال : ما شأنكم قد اجتمعتم ؟ كأنكم قد جئتم لنهب ، شاهت الوجوه ، كل انسان آخذ باذن صاحبه إلّا من أُريد ، أجئتم تريدون أن تنزعوا ملكنا من أيدينا ، اخرجوا عنا ، أما والله لأن

رمتمونا ليمرّن عليكم منا أمر لا يسركم ولا تحمد غب رأيكم ، ارجعوا إلى منازلكم فانا والله ما نحن مغلوبين على ما في أيدينا .

ترى مروان كيف صرح للناس ان ذلك ملك بني أمية وانها ليست خلافة ولا دين وهم في هذا الوضع من الضنك والضيق ؟ ولا يخفى على السامع ان قول مروان ذلك إنما يشد أزر ما وصله من وصول الامداد ، وما تهيأ له لضرب المسلمين بالقوة .

فإلى من يفزع الناس إلّا إلى الضامن والشهود وأكابر الصحابة وأقطاب المسلمين ، ولذا نراهم يلوذون بعليٍّ فزعين من هذا النكث السريع والخذلان المعجل ، والخليفة المفروض على الأمة فرضاً . فأي خليفة هذا ؟ وأية سيرة هذه ؟ وأي تلاعب بمقدرات أمة تحمل عقيدة كأحسن ما أنزل الله للبشر أصبحت ألعوبة لصبيان الأمويين وأنذالهم وشهواتهم .

وهكذا توافدت الأنباء وتأزمت الأوضاع ، وثارت ثائرة الغيارى من ذوي الدين والعدالة والشهامة ووجه اللوم والعتاب إلى رجل الأمة العظيم يطلبون منه ضمانه فلم يجد عليﷺ بداً بعد أن وجد عثمان وضعفه ومروانه وتلاعبه ، وهو يقول عياذ الله يا للمسلمين ، اني ان قعدت في بليتي قال لي تركتني وقرابتي وحقّي ، واني ان تكلمت فجاء ما يريد يلعب به مروان فصار سيقة له يسوقه حيث شاء بعد كبر السن وصحبة رسول اللهﷺ .

وذكر البلاذري أن علياً جاء مغضباً حتى دخل على عثمان ، فقال : **أما رضيت من مروان ولا رضى منك إلّا بتحرّفك عن دينك وعن عقلك ، مثل جمل الضعينة يقاد حيث يسار به ! والله ما مروان بذي رأي في دينه ولا نفسه ، وأيم اللّه اني لأراه سيوردك ثم لا يصدرك ، وما أنا عائد بعد مقامي هذا لمعاتبتك ، اذهبت شرفك وغلبت على أمرك ؟**

وعندما غادر علي دخلت عليه زوجته نائلة بنت القرافصة وقالت : أتكلم أو اسكت ؟ فقال تكلمي . فقالت : قد سمعت قول علي لك وانه ليس يعاودك وقد أطعت مروان يقودك حيث شاء . قال : ما أصنع ؟ قالت : تتقي اللّٰه وحده لا شريك له وتتبع سنّة صاحبيك من قبلك .

وهذه شهادة زوجته عليه انه لم يتقِ اللّٰه ، ولم يتبع حدوده ، وانه خالف سيرة الخليفتين قبله .

ثم اردفت : فانك متىٰ اطعت مروان قتلك ، ومروان ليس له عند الناس قدر ولا هيبة ولا محبة ، وإنما تركك الناس لمكان مروان فارسل إلى علي فاستصلحه فانه له قرابة منك ، وهو لا يعصىٰ قال : فارسل عثمان إلى علي فأبىٰ أن يأتيه ، وقال : **قد اعلمته اني لست بعائد .**

وعن الطبري عن عبدالرحمن بن الأسود ان عثمان بعد ليلتين من رد علي رسول عثمان وقوله : **ما أنا بداخل عليك ولا عائد** ، ذهب عثمان نفسه إلى علي ، وقال له : إلى غير عائدٍ واني فاعل . فأجابه علي : **بعد ما تكلمت به علىٰ منبر رسول اللّٰه ﷺ واعطيت من نفسك ثم دخلت بيتك ، وخرج مروان إلى الناس فشتمهم علىٰ بابك ويؤذيهم !** فرجع عثمان من علي وهو يقول : قطعت رحمي وخذلتني وجرأت الناس عليَّ ، فاجابة عليٌّ : **واللّٰه إني لذاب الناس عنك ولكني كلما جئتك بهنةٍ اظنّها لك رضىً ، جاء باخرىٰ فسمعت قول مروان عليّ واستدخلت مروان** ، قال : ثم انصرف إلى بيته فلم ازل أرىٰ علياً منكباً عنه لا يفعل ما كان يفعل .

واشتد الجميع وبينهم أهل المدينة ، كما أخرجه الطبري والبلاذري والواقدي ، علىٰ عثمان وكتبوا لعثمان بدعوته إلى التوبة واقسموا باللّٰه لا يمسكون عنه أبداً حتىٰ يقتلوه ، أو يعطيهم ما يلزمهم من حق اللّٰه ، حتىٰ اضطر خوف القتل لمشاورة أهل بيته ونصحائه واجمعوا أن يرسل إلى علي ويطلب منهُ ردّهم بعد اعطائهم ما

يريدون ريثما يصله المدد . وشرح لهم نكثه لعهدهم وانهم يطلبون الوفاء بالعهد فلم يجدو أبداً إلّا من اعطائهم كلما سألوا حتىٰ يتغلبوا .

فدعا علياً وشرح له الحال واعطاه ما يجلب له ولهم الثقة والطمأنينة باقصىٰ ما يستطيع ، واقسم له بانه سيفي ، فقال له علي عليه السلام : الناس إلى عدلك أحوج منهم إلى قتلك ، وانّي لأرىٰ قوماً لا يرضون إلّا بالرضا ، وقد كنت اعطيتهم في قدمتهم الأولىٰ عهداً من اللّٰه لترجعن عن جميع ما نقموا فرددتهم عنك ، ثم لم تفِ بشيء من ذلك ، فلا تغرني هذه المرة من شيء ، فاني معطيهم عليك الحق ، قال : نعم فاعطهم فو اللّٰه لافين لهم ، فخرج علي إلى الناس فقال : **أيها الناس إنكم إنما طلبتم الحق فقد أعطيتموه ، ان عثمان قد زعم انه منصفكم من نفسه ومن غيره ، وراجع عن جميع ما تكرهون ، فاقبلوا منه** ... قال الناس : قد قبلنا فاستوثق منه لنا فانا واللّٰه لا نرضىٰ بقول دون فعل فقال لهم علي : **ذلك لكم** ، ثم دخل عليه فاخبره الخبر ، فقال عثمان : اضرب بيني وبينهم أجلاً يكون لي فيه مهلة ، فاني لا أقدر علىٰ رد ما كرهوا في يوم واحد . قال له علي : **ما حضر بالمدينة فلا أجل فيه ، وما غاب فأجله وصول أمرك** ، قال : نعم ، ولكن اجلني فيما بالمدينة ثلاثة أيام ، قال علي : **نعم** .

فخرج إلى الناس فاخبرهم بذلك وكتب بينهم وبين عثمان كتاباً أجّله فيه ثلاثاً علىٰ أن يرد كل مظلمة ، ويعزل كل عامل كرهوه ، ثم أخذ عليه في الكتاب اعظم ما أخذ اللّٰه علىٰ أحد من خلقه من عهد وميثاق واشهد عليه ناساً من وجوه المهاجرين والأنصار ، فكف المسلمون عنه ، ورجعوا إلى أن يفي لهم بما اعطاهم من نفسه ، فجعل يتأهب للقتال ويستعد بالسلاح ، وقد كان اتخذ جنداً عظيماً من رقيق الخمس ، فلما مضت الأيام الثلاثة وهو علىٰ حاله لم يغير شيئاً مما كرهوه ، ولم يعزل عاملاً ، ثار به الناس وخرج عمرو بن حزم الأنصاري حتىٰ أتىٰ المصريين ، وهم بذي خشب فاخبرهم الخبر وسار معهم حتىٰ قدموا المدينة

فارسلوا إلى عثمان : الم نفارقك علىٰ أنك زعمت انك تائب من أحداثك وراجع عما كرهنا منك واعطيتنا علىٰ ذلك عهد اللّٰه وميثاقه قال : بلى أنا علىٰ ذلك ، قال : فما هذا الكتاب الذي وجدنا مع رسولك ؟ وهو ما رواه الطبري في تاريخه ج ٥ ص ١١٦ ، وابن أبي الحديد في شرحه ج ١ ص ١٦٦ . وغيرها من المصادر ، كالكامل لابن الأثير والبلاذري في الأنساب والامامة والسياسة والمعارف لابن قتيبة والعقد الفريد والرياض النضرة وتاريخ ابن خلدون وغيرها .

وقد كتب عثمان بعد أن حاصروه وطبق طلبهم انه يعزل عامله علىٰ مصر ويقيم عليهم محمد بن أبي بكر ، ففعل وكتب الكتاب وعادوا حتىٰ بلغوا بايله أو بمنزل قبلها وهي علىٰ ساحل بحر القلزم مما يلي الشام ، وهو آخر الحجاز ، رأوا راكباً خلفهم يريد مصر فقالوا له : من أنت ؟ فقال : رسول أميرالمؤمنين إلى عبداللّٰه بن سعد (واليه في مصر) وأنا غلام أميرالمؤمنين ، وكان اسوداً فقال بعضهم لبعض : لو انزلناه وفتشناه الا يكون صاحبه قدكتب فينا بشيء ، ففعلوا ، فلم يجدوا معه شيئاً ، فقال بعضهم لبعض خلوا سبيله ، فقال كنانة بن بشر : أما واللّٰه دون أن انظر في اداوته فلا . فقالوا : سبحان اللّٰه أيكون كتاب في ماء ؟ فقال : ان للناس حيلاً ، ثم حل الاداوة فإذا فيها قارورة مختومة ، أو قال : مصمومة في جوف القارورة كتاب في انبوب من رصاص فاخرجه فقرئ فإذا فيه :

أما بعد : فإذا قدم عليك عمر بن بديل فاضرب عنقه ، واقطع يدي ابن عديس وكنانة ، وعروة ثم دعهم يتخطون في دمائهم حتىٰ يموتوا ثم أوثقهم علىٰ جذوع النخل .

وجاء بالفاظ أخرىٰ وكلها تشير إلى القتل . راجع بذلك طبقات ابن سعد والبلاذري وابن مخنف والطبري وغيرهم .

وجاء عن سعيد بن المسيب : ان المصريين عند حصاره طلبوا أن يعزل ابن أبي سرح ويحاكمه من أعماله المنكرة والقتل ، وطلبوا نصب محمد بن أبي بكر مكانه ،

ففعل ووجه معهم عدة من المهاجرين والأنصار[١] ينظرون فيما بينهم وبين ابن أبي سرح ، وشخصوا جميعاً حتىٰ إذا كانوا علىٰ مسيرة من المدينة إذا هم بـغلام عثمان وعثورهم علىٰ الكتاب في اداوته وفيها يقول لابن أبي سرح : إذا أتـاك محمد بن أبي بكر وفلان وفلان فاحتل لقتلهم وابطال كتاب محمد وقر علىٰ عملك حتىٰ يأتيك رأيي واحبس من يجيء إليّ منظلماً منك ان شاء اللّٰه .

وكان الكتاب قرئ علىٰ مسمع ومرأى من المهاجرين والأنصار ، فلما قـرأوا الكتاب فزعوا وغضبوا ورجعوا إلى المدينة ، وختم محمد بن أبي بكـر الكـتاب بخواتم نفر ممن كان معه ، ودفعه إلى رجل منهم وقدموا المـدينة فـجمعوا عـلياً وطلحة والزبير وسعداً ، ومن كان من أصحاب النبيﷺ ثم فكّوا الكتاب بمحضر منهم واخبروهم بقصة الغلام ، واقرأوهم الكتاب ، فلم يبق أحد من أهل المدينة إلّا وحنق علىٰ عثمان ، وزاد ذلك من كان غضب لابن مسعود وعمار بن ياسر وأبي ذر حنقاً وغيظاً ، وقام أصحاب النبيﷺ بمنازلهم ما منهم أحد إلّا وهو مغتم لما في الكتاب .

وحاصر الناس عثمان واجلب عليه محمد بن أبي بكر ببني تيم وغيرهم وأعانه علىٰ ذلك طلحة بن عبداللّٰه وكانت عائشة تحرضه كثيراً ، ودخل عـلي وطـلحة والزبير وسعد وعمار في نفر من أصحاب محمدﷺ ، كلهم بدري ، علىٰ عـثمان ومع علي الكتاب والغلام والبعير ، فقال له علي: **هذا الغلام غلامك؟** قال : نعم . قال : **والبعير بعيرك** ؟ قال : نعم . قال : **وأنت كتبت هذا الكتاب** ؟ قال : لا . وحلف باللّٰه: ماكتبت هذا الكتاب ولا أمرت به، ولا علمت شأنه. فقال له علي: **أفالخاتم خاتمك؟**

---

(١) المهاجرين والأنصار كانوا خمسين نفراً منهم محمد بن مسلمة اخرجه ابن سعد في طبقاته عن جابر بن عبداللّٰه الأنصاري .

قال: نعم. قال: **فكيف يخرج غلامك ببعيرك بكتاب عليه خاتمك ولا تعلم به ؟** فحلف بالله : ما كتب الكتاب ولا أمرت به ، ولا وجهت هذا الغلام إلى مصر قط . وعرفوا ان الخط خط مروان ، فسألوه أن يدفع إليهم مروان فأبىٰ ، وكان مروان عنده في الدار ، فخرج اصحاب محمدﷺ من عنده غضاباً وعلموا انه لا يحلف بباطل ، إلّا أن قوماً قالوا : لن يبرأ عثمان في قلوبنا إلّا أن يدفع إلينا مروان حتىٰ نبحثه عن الأمر ونعرف حال الكتاب ، وكيف يأمر بقتل رجال من أصحاب رسول اللّهﷺ بغير حق !! فان يكن عثمان كتبه عزلناه ، وان يكن مروان كتبه عن لسان عثمان ننظر ما يكون منا في أمر مروان فلزموا بيوتهم فأبىٰ عثمان أن يخرج مروان.

وقيل جاء المصريون إلى دار عثمان فاحدقوا بها وقالوا لعثمان وقد اشرف عليهم : يا عثمان أهذا كتابك ؟ فجحد وحلف ، فقالوا : هذا شرٌ يكتب عنك بما لا تعلمه ، ما مثلك يلي أمور المسلمين ، فاخلع من الخلافة ، فقال : ما كنت لانزع قميصاً قمصنيه اللّه ، وقالت بنو أمية : يا علي افسدت علينا أمرنا ودسست واليت . فقال : **يا سفهاء انكم لتعلمون انه لا ناقة لي في هذا ولا جمل ، واني رددت أهل مصر عن عثمان ثم اصلحت أمره مرة بعد اخرىٰ ، فما حيلتي ؟ وانصرف وهو يقول : اللّهم إني بريء مما يقولون ومن دمه أن حدث به حدث .**

وفي لفظ آخر قال المصريون لعثمان حين انكر الكتاب : ما أنت إلّا صادق أو كاذب ، فان كنت كاذباً فقد استحققت الخلع ان تخلع لضعفك وغفلتك وخبث بطانتك ، لأنه لا ينبغي لنا أن نترك علىٰ رقابنا من يقتطع قبل الأمر دونه لضعفه وغفلته، وقالوا له : انك ضربت رجالاً من أصحاب رسول اللّهﷺ وغيرهم حين يعظونك ويأمرونك بمراجعة الحق عندما يستنكرون من اعمالك ، فاقدِ من نفسك من ضربته وأنت له ظالم ، فقال : الامام يخطئ ويصيب فلا اقيد من نفسي لاني لو أقدت كل من اصبته بخطأ اتي علىٰ نفسي ، قالوا : انك قد احدثت أحداثاً

عظاماً فاستحققت بها الخلع ، فإذا كلمت فيها اعطيت التوبة ، ثم عدت إليها وإلى مثلها ، ثم قدمنا عليك فاعطيتنا التوبة والرجوع إلى الحق ولامنا فيك محمد بن مسلمة وضمن لنا ما حدث من أمر ، فاخفرته فتبرأ منك وقال: لا أدخل في أمره فرجعنا أول مرة لنقطع حجتك ونبلغ أقصىٰ الاعذار إليك نستظهر بالله عزوجل عليك ، فلحقنا كتاب منك إلى عاملك علينا تأمره فينا بالقتل والقطع والصلب وزعمت انه كتب بغير علمك ، وهو مع غلامك وعلىٰ جملك وبخط كاتبك وعليه خاتمك فقد وقعت عليك بذلك التهمة القبيحة ، مع ما بلونا منك قبل ذلك من الجور في الحكم ، والاثرة في القسمة والعقوبة للأمر بالتبسط من الناس والاظهار للتوبة ثم الرجوع إلى الخطيئة ولقد رجعنا عنك ، وما كان لنا أن نرجع حتىٰ نخلعك ونستبدل بك من اصحاب رسول الله ﷺ من لم يحدث مثل ما جرينا منك ولم يقع عليه من التهمة ما وقع عليك ، فاردد خلافتنا واعتزل أمرنا ، فان ذلك أسلم لنا منك ، واسلم لك منا.

وهكذا حاججوه وافحموه وهددوه إلّا أن يعتزل ، فأبىٰ إلّا أن يكون خليفة حتىٰ اعيتهم الحيلة وانصرفوا منه واذنوه بالحرب وطلب من محمد بن مسلمة أن يردهم ، فقال : والله لا أكذب الله في سنة مرتين . راجع تاريخ الطبري ج ٥ ص ١٢٠ و ١٢١.

وهكذا ترىٰ ان الصحابة جميعاً والمسلمون قاطبة في الداخل والخارج قد اعيتهم أقوال وأعمال عثمان المتناقضة وسوء سيرته فيهم وتولية الأمر لبني أمية يلعبون بمقدرات الأمة وأموالهم وحرمانهم ونفي خيارهم واضطهاد كبار الصحابة لمحض نصحهم له ، وخروجه عن حدود الله وسنّة نبيّه ﷺ وتلاعب شرار بني أمية بالأمر ، وبطانته السيئة وتوبته مراراً وعودته إلى الكبائر وعدم قبوله من تسليم المتهمين عندما يريد تبرئة نفسه مثل تسليم مروان كاتب الكتاب للفتك

بالمصريين والصحابة ، وعدم تسليمه غلامه المحاصر عندما أراد صحابي عظيم درء الخطر عنه فرماه وقتله ، وأبىٰ من تسليمه لاقامة الحد عليه ، واستمراره بالخطيئة لتحشيد الجيوش وطلب المدد من عماله وولاته ، وتكفيره خيرة الصحابة ، بل أهل المدينة قاطبة الطالبين للاصلاح .

هذه جميعاً مساوئه التي أدت إلى قتله من قبل كافة المسلمين واجماعهم علىٰ ذلك .

وترىٰ عند مطالعة كتابه لمعاوية كيف ان عثمان ارسل له رسالة يستنجده ليرسل له المدد قائلاً : ان أهل المدينة كفروا ، ونرىٰ هنا كيف أن عثمان يوجه الكفر إلى أقطاب المسلمين وخيرة الصحابة من المهاجرين والأنصار والبدريين والعشرة المبشرة واعضاء الشورىٰ لمن ؟ إلى أحد الطلقاء ، إلى أحد أعداء المسلمين يوم كان في الاحزاب يطلب منه أن يمده بالعدة والعدد للقضاء علىٰ هذه النخبة المختارة من أصحاب رسول الله ﷺ لمحض انهم يرشدوه ويدلون إليه بالنصائح لاقامة حدود الله وسنّة نبيه ويناشدوه العدالة في تقسيم الأموال والحد من القسوة والظلم وتقريب الصلحاء وابعاد العصبة الباغية الفاجرة من آل أمية عن الحكم وعن المشورة وعن التلاعب بمقدرات المسلمين .

كل هذه تدل أن الأمة الاسلامية اجمعت علىٰ عثمان من كبيرها وصغيرها بعد أن ظلمهم واضطهدهم جميعاً فوجهوا له الخروج عن اصول الكتاب وأحكامه ومبادئ الاسلام وسنن رسوله وغيّر وبدّل فأقر وتاب ، وعاد ونكث وظلم وشدد ، ولم يأل جهداً من توجيه وكيل التهم للأفراد أولاً ثم عاد واتهم اقطاب الأمة وخيار الصحابة بالكفر ، وحاول قمعهم ، وحاولوا عزله فابىٰ فحكموا جميعاً علىٰ محاربته حتىٰ القتل ، وفعلوا مستأصلين ، حتىٰ قضي عليه ، بيد بقيت بذور الفساد وبذور الشر التي زرعها وسقاها الشيطان بالفتن والحسد والأحقاد كما رأيت

وترىٰ عند مطالعتك التاريخ الاسلامي ، ان الفرقة والمحنة بدأت منذ ان توفي رسول اللّٰهﷺ واغتصبت الخلافة من آل بيت المصطفىٰ ، وضع اساس الظلم والخروج عن الصراط السوي وتقلد الحكم بيد جماعة غاصبين تلاقفوها ووضعوا أسسها وضعاً بدلوا فيه نوايا نبيها العظيم وروح الدين الحنيف .

وما أجمل ماجاء مختصراً في خطبة سيدة نساء العالمين علىٰ المهاجرين والأنصار وبمجلس أبي بكر وعمر ، وبعدها الخطبة الشقشقية للامام عليعليه‌السلام بيد ان البذرة أتت أكلها بقتل عثمان وبلغت أوجها في عهد معاوية وآل الحكم .

تلك سيرة عثمان الواقعية وسبب قتله ، بيد لما وقع الأمر بيد آل أمية شوهوا كل الوقائع المخزية الخاصة به ولصالحه وعطفوا إلى قبلها للخليفتين اللذان تبنوا أقدام آل أمية ومستقبلهم شكراً وامتناناً لجميلهم ، وتدليلاً لهم بالفضل واعلان كل سيئة لهم بحسنة .

وبعدها عادوا لوضع الروايات وتحريف الاخبار وتزييف الحقائق وتحويل شنائعهم إلى فضائل ، وكالوا لآل بيت الرسالة وذرية رسول اللّٰهﷺ والصحابة المقربين ما شاءوا من الدس والتدليس بغية تصغير قدرهم وتحقير مقامهم ومحو كراماتهم .

وجاء بعدهم بنو العباس الذين أبادوهم ، فلم يجدوا سبيل لتحكيم اقدامهم إلّا باتباع آثارهم وادامة الظلم لآل علي وآل فاطمة واعلاء شأن الخليفة الأول والثاني والثالث ، وحذار ان يطلب العلويون بامامتهم المغصوبة وهم الذين لم يدركوا ما أدركوا إلّا باعلان مظلومية آل علي من قبل وتقربهم لآل بيت الرسالة .

يوم الدار وقتل عثمان :

أخرج الطبري عن طريق حسين بن عيسىٰ عن أبيه قال :

لما مضت أيام التشريق أطافوا بدار عثمان (رض) وأبىٰ إلّا الاقامة علىٰ أمره، وارسل إلى حشمه وخاصته فجمعهم فقام رجل من أصحاب النبي ﷺ يقال له نيار ابن عياض وكان شيخاً كبيراً فنادىٰ :

يا عثمان ! فاشرف عليه من أعلىٰ داره فناشده الله ، وذكره الله لما اعتزلهم ، فبينما هو يراجعه الكلام إذ رماه رجل من اصحاب عثمان فقتله بسهم[1] ، وزعموا ان الذي رماه كثير بن الصلت الكندي ، فقالوا لعثمان عند ذلك : ادفع إلينا قاتل نيار بن عياض لنقتله به. فقال : لم أكن لأقتل رجلاً نصرني وانتم تريدون قتلي ، فلما رأوا ذلك ثاروا إلي بابه فاحرقوه ، وخرج عليهم مروان بن الحكم من دار عثمان في عصابة وخرج سعيد بن العاص في عصابة وخرج المغيرة بن الاخنس الثقفي في عصابة فاقتتلوا قتالاً شديداً ، وكان الذي حداهم للقتال انه بلغهم أن مدداً من أهل البصرة قد نزلوا حراراً وهي من المدينة علىٰ ليلة ، وان أهل الشام قد توجهوا مقبلين فقاتلوهم قتالاً شديداً علىٰ باب الدار فلم يجدوا بداً للدفاع عن دينهم وانفسهم ، وهذا عثمان يصر علىٰ امارة آل أمية رغماً عن الأمة ، ويقتل حتىٰ في اللحظة الأخيرة لمن جاء ينصحه باعتزال الأمر إلى نخبة الصحابة وهؤلاء بنو أمية واذنابهم يتقدمون من داخل دار عثمان وهم يرجون المدد وإذ لم يجدوا بداً يتركون عثمان وحده ويهربون إلى دار حبيبة بيت أبي سفيان الأموية ، احدىٰ امهات المؤمنين فتخبؤهم في كنجينتها[2] وتقع الملحمة في دار عثمان

---

(١) اخرج الطبري من طريق ابي حفصة مولىٰ مروان . قال : لما حُصر عثمان شمرت معه بنو أمية وكنت معهم فاذا والله انشبت القتال بين الناس رميت من فوق الدار رجلاً هو نيار الأسلمي فقتلته الخ .

(٢) راجع بذلك الأنساب للبلاذري .

فيتقدم محمد بن أبي بكر ابن الخليفة الأول الذي ولاه بكتابه على مصر وكتب سراً على قتله وقتل اصحابه .

نعم يتقدم محمد بن أبي بكر وجمع من أعيان المسلمين فيقتلون عثمان وهو لا يزال مصراً على رأيه .

وكان عثمان مصراً على ابقاء الحكم له واعترض انهم يحاربوه ويقتلوه بعد اشتداد الأمر وان القتل لا يجوز إلّا بثلاث ١ ـ رجل زنىٰ بعد احصانه . ٢ ـ كفر بعد اسلامه . ٣ ـ أو قتل نفساً بغير نفس فيقتل . فيجيبوه : أما قولك : انه لا يحل إلّا قتل ثلاثة ، فانا نجد في كتاب اللّٰه قتل غير الثلاثة الذين سميت : قتل من سعىٰ في الأرض فساداً ، وقتل من بغى ثم قاتل على بغيه ، وقتل من حال دون شيء من الحق ومنعه ثم قاتل دونه وكابر عليه ، وقد بغيت ، ومنعت الحق وحلت دونه وكابرت عليه ، تأبىٰ أن تقيد من نفسك من ظلمت عمداً ، وتمسكت بالامارة علينا، وقد جرت في حكمك وقسمك ، فان زعمت انك لم تكابرنا عليه وان الذين قاموا دونك ومنعوك منّا إنما يقاتلون بغير أمرك فإنما يقاتلون لتمسكك بالامارة ، فلو انك خلعت نفسك لانصرفوا عن القتال دونك .

ذلك ما اخرجه الطبري في تاريخه وروى البلاذري : لما بلغ أهل مصر ومن معهم فمن حاصر عثمان ما كتب به إلى ابن عامر ومعاوية فزادهم ذلك شدة عليه وجرأً في حصاره ، وحرصاً على معاجلته بالقتل . وكان طلحة من الآمرين المشددين عليه .

وفي لفظ ابن عساكر قول محمد بن أبي بكر لعثمان حينما دخل عليه مع المهاجمين في داره : على أي دين أنت يا نعثل ، قال : على دين الاسلام . ولست بنعثلٍ ، ولكني اميرالمؤمنين قال : غيرت كتاب اللّٰه . حتىٰ قال : انا لا يقبل منا يوم القيامة أن نقول : ربنا انا اطعنا ساداتنا وكبراءنا فاضلّونا

السبيل .

وبعد مقتل عثمان منعوا الصلاة عليه ودفنه وغسله وتكفينه ثلاثاً ، ودفن أخيراً بحش كوكب ، راجع بذلك ما نقله ياقوت الحموي جاء في السيرة الحلبية وشرح ابن أبي الحديد والدميري وابن الاثير .

ونحن نعود لنتساءل بعد هذا كله أي الجهتين علىٰ حق ابنو أمية وشيعتهم وشيخهم عثمان الذي كتب لولاته بتكفير نخبة المسلمين وخيار الصحابة بقوله أن أهل المدينة كفروا ويريد مقاتلتهم وان يمدوه بالجيوش .

ام ان الحق مع الأمة الاسلامية وصحابة رسول اللهﷺ قاطبة وبينهم البدريون واعضاء الشورىٰ والعشرة المبشرة ويتقدمهم أميرالمؤمنين ووصي رسول الله علي بن أبي طالبعليه السلام ولا نستطيع أن ننكر أن اطباق الأمة علىٰ عثمان بين قاتل وخاذل ومفتي بخروجه عن كتاب الله وسنّة رسولهﷺ وانحرافه عن الحق وقيامه بالمظالم وتوليته اشد بني أمية نفاقاً وفجوراً علىٰ الأمة ، والدفاع عن الباطل وضرب خيار افراد الأمة والتزامه اشرارهم بقوله : أنما قربت رحمي وادنيت قريباً ، وآويت محتاجاً . وقد نسىٰ ان الله ينهىٰ المؤمنين والمسلمين من الدنو من المنافقين والفاجرين والفاسقين والأشرار ولو كانوا آباءهم وابناءهم وأقاربهم ، فكيف به وهو يقدم لهم مال المسلمين ويسلطهم علىٰ نفوسهم واعراضهم ويقلدهم زمام أمور دينهم ودنياهم .

وهذا معاوية ومروان بن الحكم وابناءهم الذين اتخذوا توب عثمان ذريعة ، ودمه ثاراً لضرب كعبة المسلمين واستباحة مدينة رسول اللهﷺ ، وقتل الرجال والاطفال والنساء واستباحة الأعراض فيها وفي الشرق والغرب ، وسب أول رجل في الاسلام بعد كل صلاة واستباحة دماء آل محمدﷺ وسيدي شباب أهل الجنة وابنائهم واخوتهم وصحابة رسول الله والتابعين وبث روح

العصبية ونشر كل ما يخالف الدين الحنيف والقضاء المبرم على الحريات واستباحة ارواح واعراض وأموال من فاه أو اعترض على مظالمهم وذكر محمداً وآله ، واسناد الأمور لشيعتهم ، والتلاعب بالأخبار والأحاديث والسنن بعد أن منع الخليفة الأول والثاني من تدوينها وادخال مئات ألوف الروايات عن رسول اللهﷺ كذباً ، وتزييف وتشويه الحقائق وتبديل الوقائع كيفما شاءوا ووافقت مصالحهم ، وبالتالي نشر الرذائل واخفاء الفضائل ، والتفرقة بين العرب والعجم ، واعادة العصبيات القومية والطائفية ، وفقدان العدالة بانواعها وقصم وقتل كل معترض أو آمر بمعروف دون حجة ودليل ، وكيل التهم وبث الرعب والهول والخوف بين المسلمين والمؤمنين .

كل تلك ثمرة الغصب في سقيفة بني ساعدة وغرس بذور الظلم والتعدي وابعاد الأخيار وتسليط الفجار وقد برقعوا أعمالهم بفتوحات في الشرق والغرب والشمال والجنوب تلك الفتوحات التي ما اعطت سوى ثمرة تلك البذور من التفرقة التي ما نزال نعاني منها إلى يومنا هذا .

كلها لتركهم روح القرآن ووصايا رسول اللهﷺ ورائهم ظهرياً حينما قالﷺ : **إني تارك فيكم الثقلين كتاب الله وعترتي أهل بيتي** . وحينما قال : **مثل أهل بيتي مثل سفينة نوح من ركبها نجا ، ومن تخلف عنها غرق** . ووصاياه بولاية علي وذكر مناقبه ذلك الذي كان معجزة الاسلام بسيفه وعلمه وسابقته وتضحيته وشجاعته واخلاصه وبره واحسانه ومناقبه وفضائله ، نفس رسول اللهﷺ وأخوه ووصيه وحبيبه وحبيب الله . فماذا ترجو بعد غصبه حقه للولاية والامارة وحرمان المسلمين من علمه وعدالته وادارته واخلاصه ومساواته وفضائله ، فويل للذين ظلموا أي منقلب ينقلبون .

الدلائل الداحضة علىٰ أن عثمان غيّر وبدّل :

١ ـ اعترافاته : وبعد أن اعترف عثمان علىٰ انه أحدث وتاب ونكث واعترف بمظالمه وانه لا يقوىٰ علىٰ القصاص ، واعترف بقتل الأبرياء والنصحاء وأبىٰ تسليم المجرمين المتلاعبين والآمرين بلسانه بقتل الأبرياء ، مثل مروان ، وأبىٰ تسليم غلامه الذي قتل الصحابي الذي جاء ينصحه .

٢ ـ بطانته ومستشاريه ، أمثال مروان والحكم وأبي سفيان ومعاوية وسعداً وعبدالله بن أبي سرح والوليد واضرابهم .

٣ ـ مناوأة أفراد الشورىٰ الذين انتخبوه لعبد الرحمن بن عوف حينما اقسم انه لا يكلمه ، وقوله لعلي : ان شئت فخذ سيفك آخذ سيفي انه قد خالف قوله اشد من ذلك : عاجلوه قبل أن يتمادىٰ في ملكه . وعبدالرحمن أقرب الناس إليه وصهره ولم يأل جهداً في مده بالمال .

وقول سعد بن أبي وقاص معترفاً علىٰ نفسه بخذلانه وهو صهر عبدالرحمن ، وهما اللذان ارغما المسلمين علىٰ قبول خلافته ، وقد شرحنا ذلك مفصلاً في كتابنا الرابع من الموسوعة ، عند الحديث عن الشورىٰ ، هذا سعد يقول في جواب من يسأله : من قتل عثمان ، قوله : «قتل بسيف سلته عائشة وصقله طلحة وسمّه ابن أبي طالب ، وسكت الزبير واشار بيده ، وامسكنا نحن ولو شئنا دفعنا عنه» .

فسعداً هو وصاحبه عبد الرحمن كانا السبب لانتخابه وحقاً كان في مقدمة الخاذلين له .

وأما طلحة والزبير وهما من اعضاء الشورىٰ فكان طلحة أشد الناس علىٰ عثمان في التحريض عليه وحصاره ، ومنع الماء عنه حتىٰ قتله .

والزبير عضد طلحة وأم المؤمنين عائشة الذي علىٰ حد قول سعدٍ سكت واشار بيد وهو يقول اقيلوه فقد بدل دينكم .

وأما سيد العترة الطاهرة بعد رسول الله ﷺ ووصي رسول الله حقاً بل نفسه وولي هذه الأمة المغصوب حقه ، والذي جعله عمر أحد أعضاء الشورىٰ الزاماً واكراهاً تقليلاً من قدره ، وترفيعاً للآخرين كي يكونوا بعدها خصوماً وانداداً فهو راجعه في خطبته الشقشقية لترى حد تأثره من أعمال عثمان .

وشهادة الخليفة الثاني عليه انه سوف يغير ويبدل وانه سيكون خليفة ، ولكنه يقتل لتوليه بني أمية علىٰ رقاب الناس . ونرىٰ تفصيله في كتاب عمر في فصل الشورىٰ . وشهادة عثمان علىٰ أن المهاجرين والأنصار بل كافة أهل المدينة قد كفروا ، فهي شهادة منه أن جميع الأمة وأخص اقطابها الذين في عاصمة الاسلام افتوا بخروجه عن كتاب الله وسنّة نبيه ﷺ وافتوا بنزعه ومحاربته وقتله .

وهذه امهات المؤمنين عدىٰ حبيبة بنت أبي سفيان الأموية وفي مقدمتهن عائشة تفتي بقتله .

والحقيقة اننا ان اعطينا الحق لعثمان فقد كفرنا بجميع الصحابة العدول ، صحابة رسول الله ﷺ من المهاجرين والأنصار البدريين وغير البدريين والتابعين وجميع المسلمين في مغارب الأرض ومشارقها ، وهذا ما لا يمكن قوله ، وقد أطبقت الأمة ، حتىٰ بني أمية ان من خالفه خير ممن وافقه ، وإذا اردنا درج أفراد الصحابة والمسلمين فرداً فرداً لضاق بنا هذا الكتاب ولكنا نستطيع أن نلفت نظر القارئ الكريم للنبذة التي ذكرناها من المراجع ليرىٰ ان هناك فقط اربعة من الصحابة الذين وافقوه ، ذكرناهم وكل منهم مطعون فيه ، كما مر ، مما يدل أن بين الأمة لا يوجد من يخالف سوىٰ بني أمية وهؤلاء ومن دخل في حاشيته من بيت المال وابتز أموال المسلمين ، ومن تملكهم عثمان نفسه ، ومماليك بني أمية وكل منهم مطعون فيه ، وفي ايمانه وسلوكه .

ولقد كان سلوكه مع خيار الصحابة مثل أبي ذر الغفاري وعمار بن ياسر

وعبدالله بن مسعود وصلحاء الكوفة ومصر وتسفيرهم ونفيهم تحت تأثير ولاته الفسقة . أمثال الوليد وسعيد ومعاوية وعبدالله بن أبي سرح واستهتار هؤلاء بأموال ونفوس وأعراض المسلمين علىٰ مرأىٰ ومسمع وعلم من عثمان ، وتأييدهم رغم الشكوىٰ المتتالية لما لا يمكن اجحاده والاعراض عنه .

وأما توبته ونكثه ، والعودة إلى أشد ما فعل ، والكيد للمسلمين بطلب المدد ، وتكفير أهل المدينة فكل منها بل واحدة منها كافية للقول بخلع الخليفة ومحاكمته ، فالمفروض في الشريعة أن يكون الخليفة جامع الصفات الاسلامية والعقلية من علم وتقوىٰ وسابقة وخبرة وشجاعة وارادة وفضائل ، وسهر علىٰ مصالح المسلمين ، وابعاده أي فرد من ولاته يتجاوز الكتاب والسنّة ، وانتخابه الخيرة البررة العدول الصلحاء لقضاة وولاة وخزان مال وغيرهم علىٰ الأمة لا الطغاة الأشرار المنبوذين الملاعين الفسقة الفجرة المنافقين ، كالوليد ومعاوية وسعيد وابن أبي سرح ومعاوية وابن النابغة لمحض انهم دهاة مكارين فاقدين ما يشترطه الاسلام في القاضي والوالي ، ورب معترض أن بعضهم كانوا ولاة لأبي بكر وعمر ، واني لا أنفي ذلك ان ابا بكر وعمر لم يحسنا الانتخاب من تولية مثل خالد بن الوليد ومعاوية وسعيد بن أبي سفيان وعمرو بن العاص مع ما لهم من سابقة سوء ، في الوقت الذي فيه خير منهم علماً وفضلاً وادارة وسابقة وتجربة وتقوىٰ .

بل أهم اعتراض علىٰ سلوك الخليفتين هو توليتهما عثمان وزمرته وابعادهما خيرة خلق الله من بني هاشم مثل علي عليه السلام المرتضىٰ ومحبي آل المصطفىٰ صلى الله عليه وآله ، حتىٰ دالت دولة الاسلام إلى ما دالت إليه بيد ارذل خلق الله واعظمهم شروراً ومظالم .

ومن هؤلاء الذين طالبوا بدم عثمان ، في مقدمتهم عائشة وطلحة والزبير وأولادهم ، إلى جانب بني أمية في حرب الجمل وهم يعترفون بذلك ، ويليهم

أمثال عمرو بن العاص بن النابغة والي الخليفة الثاني ، والذي مر ذكره وانه اعترف بقوله : أنا أبو عبدالله إذا حككت قرحة نكأتها ، ان كنت لأحرض عليه حتىٰ اني لأحرض عليه الراعي في غنمه في رأس الجبل ، ويتهم عثمان انه ركب بـالأمة تهابير ومال بهم ، ويطلب عدله أو اعتزاله ، وبالتالي اعترافه انه قتله وهو بوادي السباع في قصره بفلسطين ، وقد مر ذكر ذلك ، وقول العبد الصالح عمار بن ياسر الصحابي العدل : ان عثمان أراد أن يغير ديننا فقتلناه .

وهذا الصحابي العظيم حجر بن عدي الذي قتله معاوية صبراً يقول في عثمان : انه أول من جار في حكم الله وعمل بغير الحق .

وإليك شهادة العبد الصالح رئيس الأنصار قيس بن سـعيد الأنـصاري : أول الناس كان في قتل عثمان قياماً عشيرتي ولهم اسوة إلى شهادة عبد الرحمن بن عثمان لأبي الدرداء وأبي هريرة عندما ذهبا بقول معاوية الى علي ليسلمهم قتلة عثمان : ان الذين قتلوه خير من الذين ايدوه وهو أموي ، كما مـر حـتىٰ فـضح معاوية وأراد قتله لولا مراقبة عشيرته فيه .

رد اللائحة الأولىٰ :

ان عثمان كان علىٰ الحق ، وان الذي استثار المسلمين والقىٰ بـينهم الضـلال والنفاق ، وهيج الأمة وأثارهم في جميع الأقطار إنما هو عبد الرحمن بن سـبأ ، وهو يهودي الأصل أسلم زمن عثمان وأراد الفتنة فاذاع فـي المسـلمين امـوراً تخالف الواقع حتىٰ تواثبوا علىٰ عثمان وقتلوه ، وهكذا ادرك ابن سبأ بغيته فـي القاء الفتنة بين المسلمين وأثار فيهم التفرقة علىٰ قتل الخليفة الشهيد . راجع بذلك تاريخ الطبري ج ٥ ص ٩٨ . فيما كتب به السريّ عن شعيب عن سيف عن عطية عن يزيد الفقعسي .

ويريد الطبري ان عبد اللّٰه بن سبأ وجماعته إنما اسروا غير ما اظهروا وادركوا غايتهم بالفتنة وفساد أمر المسلمين .

رد الرد :

مر وذكرنا شيئاً عن ابن سبأ في الأجزاء السابقة ، وانها اسطورة لا صحة لها أراد واضعها الطعن وخلق شعوبية جديدة تأييداً لعثمان وآل أمية ، والطعن فيمن قال ان حق الوصاية والخلافة والامامة انما هي لعلي عن رسول اللّٰهﷺ وان علياً وصي رسول اللّٰه ، كما لكل نبي وصي وخليفة ، وان رسول اللّٰه ادلىٰ وصرح بخليفته من بعده إلى عليﷺ وهذا ما اثبتناه في الجزء الأول والثاني من موسوعتنا .

وان رواية ابن سبأ مختلقة موضوعة غايتها تشويه الحقائق ، يدل علىٰ ذلك المنطق السليم وكيف امكن لفرد مثل ابن السوداء أن يقوم بمثل هذه الفتنة الكبرىٰ دون أن يكشف أمره ، وان يخدع جميع المهاجرين والأنصار وأقطاب المسلمين في الشرق والغرب وفي صميم الأمة الاسلامية ، وان يحرض البررة وائمة المسلمين دون معارض ودون أن يكشف امره ألد اعدائه من الأمويين ، واختص بكشف ذلك السري عن شعيب عن سيف .

ثم كيف استطاع ابن سبأ ان ينقل اخباراً وتمر علىٰ مسمع صحابة رسول اللّٰهﷺ وهم أعلم الأمة باحاديثه وسننه فلم يستنكروا عليه ذلك ، وتطبق علىٰ صحته الأمة . وها ان الصحابة ورجال المسلمين في مكة والمدينة حدّث بعضهم بعضاً عن الاحداث الجسام التي حدثت في زمن عثمان ، ولم نجد من يخالف ذلك حتىٰ أقطاب المهاجرين والأنصار ، كما مر في العشرة المبشرة وأفراد الشورىٰ .

وإذا ما تصفحنا المنطق وعاودنا التاريخ لوجدنا ان هذه الرواية الموضوعة عن الطبري المختلقة والتي تداولها المؤرخون دون الغور في حقائقها إنما هي منسوبة

إلى رجال وضاعين مزيفين مطعون فيهم .

ونعود لنتصفح الفتنة الكبرىٰ التي وضعها الدكتور طه حسين ص ١٣٤ قوله المجمل انه يفند هذه الرواية منطقياً وتاريخياً بقوله : أن خصوم الشيعة (ويقصد بالشيعة شيعة آل محمد انداد بني أمية) أيام الأمويين والعباسيين قد بالغوا في أمر عبدالله بن سبأ ليشككوا في بعض ما نسب من الأحداث إلى عثمان وولاته من ناحية ، وليشنعوا علىٰ عليّ وشيعته من ناحية اخرىٰ ، فيردوا بعض أمور الشيعة إلى يهودي اسلم كيداً للمسلمين ، وما أكثر ما شنع خصوم الشيعة علىٰ الشيعة ! وما أكثر ما شنع الشيعة علىٰ خصومهم في أمر عثمان وفي غير أمر عثمان ! .

ونحن لا نشك أن اعداء آل البيت أخص منهم الأمويين وبعدهم العباسيين (وهؤلاء وان كانوا بني عم لآل محمدﷺ) بيد أن الأمويين أيضاً بنو عمومة لهم ، وإنما تمادوا في الغي لامر دنيوي وحب الدنيا ، وهكذا عمل العباسيون إذ لا يمكن دوام ملكهم وهم يؤيدون آل علي ، لذا نراهم حاربوا الشيعة أشد من الأمويين ، وخلقت في عهدهم أشد المذاهب علىٰ الشيعة .

وأخيراً اختصر قولي في تكذيب الرواية انها مختلقة وضعها كما قال ولفقها انداد الشيعة ، وقد برهن علىٰ صحة ما ادلىٰ به الدكتور طه حسين في كتابه الفتنة الكبرىٰ ، المحقق البحاثة السيد مرتضىٰ العسكري في كتابه عبدالله بن سبأ ، وسير هذه الرواية وكذبها باسناد اكيدة وما أكثر امثال تلك المختلقات علىٰ الله وعلىٰ رسوله وعلىٰ الحق والتاريخ مما يأباه المنطق السليم والوجدان الحي .

ويكفي أن نعلم المصائب التي جاء بها بنو أمية علىٰ اعدائهم وانداده‍م من الصحابة البررة وآل البيت والمسلمين لاستتباب الأمر لهم بالمكر والحيلة والقهر والغلبة ، وضرب المقدسات في مكة والمدينة واستباحة الأعراض والنفوس والأموال واتخاذ دين الله وسيلة لبلوغ مآربهم وخلقهم مئات ألوف الروايات

الكاذبة والاحاديث المزيفة في فضلهم وفضل من نصرهم ، وذم من شاءوا من آل بيت الرسالة وشيعتهم ، وسرىٰ علىٰ ذلك بنو العباس لنفس الغاية .

وهكذا نرىٰ نسبة الكرامات والفضائل لأبي بكر وعمر وعثمان ، تلك التي يذهل منها الرجل المتضلع علىٰ حقائق الدين الاسلامي والمؤرخ المتبحّر ، وما نقله الفيروزآبادي في سفر السعادة ، علىٰ أن ما نسب من الفضائل هذه فكلها دس وتحريف وكذب ، واني لأوجه المطالع الكريم بمراجعة عبقات الأنوار للسيد حامد الغري للبحاثة المتضلع الشيخ عبدالحسين الأميني ليقف علىٰ الواقع من بعض الوضاعين المزيفين ورواياتهم .

ويكفي ان يرىٰ المطالع الكريم ما قام به طلحة والزبير وعائشة من الفتوىٰ بقتل عثمان ، ثم عادوا للأخذ بثاره ، والروايات المتناقضة في نعته وذمه من أم المؤمنين عائشة وغيرهم .

رد اللائحة الأولىٰ :

مما نقله الكتاب والرواة ان عثمان أقام كتاب الله وسنّة نبيه ﷺ وكان أحد العشرة المبشرة والأمين المنتخب في اعضاء الشورىٰ ، وكان زاهداً ، كريماً وصحابياً عظيماً ، قتلته الأيادي الآثمة ، وكان حقاً المطالبة بدمه وقتل قاتليه .

وقد روي عن ابن عباس كما أخرج ذلك ابن عساكر في تاريخ الخلفاء للسيوطي ص ١١٠ قوله : لو لم يطلب الناس بدم عثمان لرموا بالحجارة من السماء كما رواه القرماني في أخبار الدول علىٰ هامش الكامل لابن الأثير ج ١ ص ٢١٤ . وكما جاء في الفتوحات الاسلامية للسيد أحمد زيني دحلان في الجزء الثاني من سيرة الخلفاء ص ٤٩٢ .

رد الردّ

اننا نكتفي بالرد علىٰ هذه ، بما سبق وذكرناه ، من بذل عثمان من بيت المال علىٰ أهل بيته وبني أمية خاصة والعصبة المؤيدين لسياسته هذه في ابعاد الصلحاء من الصحابة وتقريب اقربائه الملعونين المطرودين من رسول اللّٰهﷺ ائمة الفسق والكفر والفجور كالحكم وأولاده الوليد وسعيد وعبداللّٰه بن أبي سرح ، واضرابهم وتسليطه اياهم علىٰ رقاب المسلمين ، وجوره بالاتقياء البررة من الصحابة المار ذكرهم ، وخروجه عن الكتاب والسنّة واجماع الأمة عليه . ويكفي للمتتبع أن لا يجد في الطالبين بثأره سوىٰ العصبة المتبقية من الأحزاب وابنائه الذين حاربوا المسلمين في بدر وحنين والخندق من آل أمية وشيعتهم ، وان الذين حاربوهم انما هم البدريون واهل بيعة الشجرة وباقي صحابة رسول اللّٰهﷺ والتابعين لهم باحسان .

وإذا راجعت معارك الجمل وصفين ، وما ذكرناه فيما مر ومراجعة ترجمة عمار ابن ياسر في الاستيعاب والاصابة ج ٢ ص ٣٨٩ ومستدرك الحاكم ج ٣ ص ١٠٤ وتاريخ ابن كثير ج ٧ ص ٢٥٤ وكتاب صفين لابن مزاحم ص ٢٦٦ و ٢٦٨ وشرح ابن أبي الحديد ج ١ ص ٤٨٣ و ٤٨٤ ، لوجدت ان المتهمين بقتل عثمان جميع الصحابة وأخص منهم البدريون واهل بيعة الرضوان تحت الشجرة ، ويقال انهم كانوا يوم صفين ثمانمئة نفس ، فقتل منهم بصفين ثلاثمئة وستون نفساً ، وانه كان بينهم ثمانون بدرياً علىٰ رواية الحاكم ، وذكر سعيد بن قيس في خطبته سبعون بدرياً ، وأما مالك الأشتر فقال : انهم بلغوا المئة وقد أدرج قائمة باسماء (١٤٥) واحداً منهم العلامة الأميني في الغدير في ج ٩ ص ٣٦٢ ـ ٣٦٨ .

وقد جاء في مجمع الزوائد للحافظ الهيثمي ج ٧ ص ٢٣٩ ، عن قيس بن سعد ابن عبادة سيد الخزرج قوله : هل ترىٰ مع معاوية إلّا طليقاً اعرابياً أو يمانياً

مستدرجاً . أو ما ذكره ابن مزاحم في كتاب صفين ص ٣٦٣ ، عن الصحابي العظيم المجاهد عمار بن ياسر . ان مراكزنا على مراكز رايات رسول اللّٰه يوم بدر ويوم أحد ويوم حنين وأن هؤلاء على مراكز رايات المشركين من الأحزاب ، وأيد ذلك مالك الأشتر وقوله ما يشك في قتال هؤلاء إلّا ميت القلب . راجع بذلك شرح ابن أبي الحديد ج ١ ص ٥٠٦ وكتاب صفين لابن مزاحم ص ٣٦٣ .

وإذا راجعت بلاغات النساء ص ٣٦ والعقد الفريد ج ١ ص ١٣٢ ونهاية الارب ج ٧ ص ٢٤١ وصبح الاعشى ج ١ ص ٢٤٨ ما قالته أم الخير بنت حريش في ذلك اليوم : انها احن بدرية ، وأحقاد جاهلية ، وضغائن أحدية ، وثب بها معاوية حين الغفلة ، ليدرك ثارات بني عبد شمس ، قاتلوا أئمة الكفر انهم لا ايمان لهم لعلهم ينتهون .

﴿فبشر عبادِ * الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه اولئك الذين هداهم اللّٰه واولئك هم اولو الألباب﴾ .

والحمد للّٰه رب العالمين

مصادر الكتاب

(أ)

١ ـ اقتضاء الصراط المستقيم ورفع أعلام الفرقان بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان .

٢ ـ اظهار الحق .

٣ ـ الأحداث للمدائني .

٤ ـ الانساب للبلاذري .

٥ ـ الأغاني .

٦ ـ الاستيعاب .

٧ ـ أسد الغابة لابن الأثير .

٨ ـ الاجابة للزركشي .

٩ ـ امتاع الأسماع للمقريزي .

١٠ ـ الاصابة لابن حجر .

١١ ـ أضواء على السنّة المحمدية .

١٢ ـ أبو هريرة أو شيخ المضيرة .

١٣ ـ الأحكام في أصول الأحكام للآمدي.

١٤ ـ الأحكام لابن حزم .

١٥ ـ أعلام النبلاء للذهبي .

١٦ ـ الاجابة للشافعي .

١٧ ـ الأم للشافعي .

١٨ ـ الانصاف للامام أبي محمد البطليموس الأندلسي .

١٩ ـ اقتضاء الصراط المستقيم لابن تيمية.

٢٠ ـ أبو هريرة للعلامة عبدالله السبتي .

٢١ ـ الاتقان للسيوطي .

٢٢ ـ اعجاز القرآن .

٢٣ ـ الأدب المفرد للبخاري .

(ب)

٢٤ ـ بلاغات النساء .

٢٥ ـ البيان والتبيين للجاحظ .

٢٦ ـ البداية والنهاية لابن كثير .

٢٧ ـ البحر الرائق .

(ت)

٢٨ ـ تأويل مختلق الحديث لابن قتيبة .

٢٩ ـ ترجمة الامام احمد للذهبي .

٣٠ ـ التعريفات للجرجاني .

٣١ ـ تاريخ اليعقوبي .

٣٢ ـ تاريخ الطبري .

٣٣ ـ ترجمة تاريخ أعثم .

٣٤ ـ تاريخ بغداد للخطيب .

٣٥ ـ تاريخ ابن عساكر وتهذيبه .

٣٦ ـ تذكرة خواص الأمة .

٣٧ ـ تاريخ أبي الفداء لابن كثير .

٣٨ ـ التمهيد والبيان لابن أبي بكر

٣٩ ـ تاريخ ابن خلدون .

٤٠ ـ تاريخ ابن شحنة .

٤١ ـ تاريخ الاسلام للذهبي .

٤٢ ـ تلخيص المستدرك للذهبي .

٤٣ ـ تهذيب التهذيب لابن حجر .

٤٤ ـ تاريخ الخلفاء للسيوطي .

٤٥ ـ تاريخ الخميس .

٤٦ ـ تاريخ العرب للزبيدي .

٤٧ ـ التاريخ الكبير للذهبي .

٤٨ ـ تذكرة الحفاظ للذهبي .

٤٩ ـ تفسير عمر بن كثير (الحافظ أبو الفداء) .

٥٠ ـ تفسير ابن مردويه .

٥١ ـ تفسير الكشاف لجار الله الزمخشري .

٥٢ ـ تاريخ التشريع الاسلامي لمحمد الخضري .

٥٣ ـ التقريب للنووي .

٥٤ ـ تاريخ الشعوب الاسلامية لكارل بروكلمان .

٥٥ ـ التقريب لابن حجر .

٥٦ ـ تفسير الطبري .

٥٧ ـ تفسير القرطبي .

٥٨ ـ تفسير الرازي .

٥٩ ـ تفسير الزمخشري .

٦٠ ـ تفسير محمد عبده .

٦١ ـ تاريخ القرآن للزنجاني .

٦٢ ـ التبيان للشيخ طاهر الجزائري .

٦٣ ـ تهذيب ابن القيم .

٦٤ ـ تيسير الوصول للزبيدي .

٦٥ ـ التمهيد في تجريد الأسانيد لابن عبد البر .

٦٦ ـ توجيه النظر للجزائري .

٦٧ ـ تفسير الآلوسي .

(ج)

٦٨ ـ جامع بيان العلم وفضله لابن عبدالبر.

٦٩ ـ الجمل لابن مخنف .

٧٠ ـ جوامع السير لابن حزم .

٧١ ـ جمهرة انساب العرب لابن حزم.

٧٢ ـ جامع ابن وهب .

٧٣ ـ جامع الترمذي .

٧٤ ـ الجامع الصغير للسيوطي .

(ح)

٧٥ ـ حلية الأولياء لأبي نعيم .

٧٦ ـ حجج القرآن للرازي .

(خ)

٧٧ ـ الخصائص العلوية للنسائي .

٧٨ ـ الخطط للمقريزي .

٧٩ ـ خلاصة تهذيب الكمال لصفي الدين.

(د)

٨٠ ـ الديباج المذهب في معرفة أعيان علماء المذهب .

٨١ ـ دفع شبه التشبيه لابن الجوزي .

٨٢ ـ الدر المنثور للسيوطي .

٨٣ ـ الدلائل النبوية لأبي نعيم .

(ر)

٨٤ ـ الرسائل والمسائل .

٨٥ ـ ربيع الأبرار للزمخشري .

٨٦ ـ الرياض النضرة لمحب الدين الطبري .

٨٧ ـ روض الاخيار المنتخب من ربيع الأبرار .

٨٨ ـ الروض الباسم .

(س)

٨٩ ـ سيرة ابن هشام .

٩٠ ـ سنن ابن ماجة .

٩١ ـ سنن أبي داود .

٩٢ ـ سنن الترمذي .

٩٣ ـ سنن النسائي .

٩٤ ـ سير النبلاء للذهبي .

٩٥ ـ سنن الدارمي .

٩٦ ـ سنن ابن ماجة .

(ش)

٩٧ ـ الشفاء للقاضي عياض .

٩٨ ـ شرح أبن ابي الحديد .

٩٩ ـ شذرات الذهب في تاريخ من ذهب لابن عمار الحنبلي .

١٠٠ ـ الشيخان للدكتور طه حسين .

١٠١ ـ شرح مسلم للنووي .

١٠٢ ـ شروط الائمة الستّة والخمسة .

١٠٣ ـ شرح القارئ علىٰ نخبة الفكر لابن حجر .

(ص)

١٠٤ ـ كتاب صفين لنصر بن مزاحم .

١٠٥ ـ صحيح البخاري .

١٠٦ ـ صحيح مسلم .

١٠٧ ـ صفوة الصفوة لابن الجوزي .

١٠٨ ـ الصواعق المحرقة لابن حجر الهيثمي .

١٠٩ ـ الصراط المستقيم للعاملي .

(ض)

١١٠ ـ ضحىٰ الاسلام لأحمد أمين .

(ط)

١١١ ـ طبقات ابن سعد .

١١٢ ـ الطبقات الكبرىٰ لمحمد بن سعيد .

(ع)

١١٣ ـ العقيدة للطحاوية .

١١٤ ـ العواصم من القواصم للقاضي ابن العربي .

١١٥ ـ العهد القديم .

١١٦ ـ عيون الأخبار لابن أبي قتيبة .

١١٧ ـ العثمانية للجاحظ .

١١٨ ـ العقد الفريد لابن عبد ربه .

١١٩ ـ عبدالله بن سبأ للبحاثة السيد مرتضىٰ العسكري .

١٢٠ ـ علي وبنوه للدكتور طه حسين .

(ف)

١٢١ ـ الفصل في الملل والنحل لابن حزم .

١٢٢ ـ فتاوىٰ ابن تيمية .

١٢٣ ـ فتاوىٰ ابن الصلاح .

١٢٤ ـ فتوح البلدان للبلاذري .

١٢٥ ـ فهرس ابن النديم .

١٢٦ ـ الفائق للزمخشري .

١٢٧ ـ فتح الباري لابن حجر العسقلاني .

١٢٨ ـ فجر الاسلام لأحمد أمين .

١٢٩ ـ فضائل القرآن لابن كثير .

١٣٠ ـ فتح الغدير لابن همام .

(ق)

١٣١ ـ القرآن الكريم .

١٣٢ ـ القاموس للفيروزآبادي .

١٣٣ ـ قبول الأخبار ومعرفة الرجال لأبي القاسم البلخي .

(ك)

١٣٤ ـ الكامل للمبرد .

١٣٥ ـ الكامل لابن الأثير.

١٣٦ ـ كنز العمال للمتقي .

١٣٧ ـ كشف الظنون لحاج خليفة .

١٣٨ ـ كتاب المؤمل للرد على الامر الأول للامام أبي شامة.

١٣٩ ـ الكافي لابن حجر العسقلاني.

١٤٠ ـ كنز العمال لأبي نعيم .

١٤١ ـ كفاية الطالب للكنجي.

١٤٢ ـ كشف الخفاء للعلجوني.

(ل)

١٤٣ ـ لسان العرب لابن منظور .

(م)

١٤٤ ـ المعارف لابن قتيبة.

١٤٥ ـ منهاج السنّة لابن تيمية .

١٤٦ ـ المنتقى من منهاج السنّة للذهبي.

١٤٧ ـ مسند الطيالسي.

١٤٨ ـ مروج الذهب للمسعودي .

١٤٩ ـ مقاتل الطالبيين .

١٥٠ ـ مستدرك الحاكم .

١٥١ ـ الملل والنحل للشهرستاني .

١٥٢ ـ معجم البلدان لياقوت الحموي .

١٥٣ ـ المحلى لابن حزم .

١٥٤ ـ المضاف والمنسوب للثعالبي.

١٥٥ ـ مرآة الزمان لسبط ابن الجوزي.

١٥٦ ـ المحدث الفاصل بين الراوي والواعي للقاضي أبي محمد الحسن بن عبدالرحمن الرامهرمزي.

١٥٧ ـ مسند أحمد بن حنبل .

١٥٨ ـ الملل والنحل لابن حزم .

١٥٩ ـ موطأ مالك .

١٦٠ ـ مرآة الأصول .

١٦١ ـ الميزان لعبدالوهاب الشعراوي (الشافعي).

١٦٢ ـ مرآة الاسلام للدكتور طه حسين .

١٦٣ ـ معاوية بن أبي سفيان في الميزان .

١٦٤ ـ المنتقى لمحب الدين الطبري.

١٦٥ ـ مناقب الخوارزمي .

١٦٦ ـ مناقب ابن الجوزي .

١٦٧ ـ مناقب العلامة السروي .

١٦٨ ـ مناقب ابن المغازلي .

١٦٩ ـ المفردات للراغب الاصفهاني .

١٧٠ ـ مفتاح السنّة .

١٧١ ـ المبسوط للسرخسي .

١٧٢ ـ معجم الأدباء لياقوت الحموي .

(ن)

١٧٣ ـ نهاية الأرب .

١٧٤ ـ نهج البلاغة .

١٧٥ ـ نهاية اللغة لابن الأثير .

١٧٦ ـ النصائح الكافية لابن عقيل العلوي .

١٧٧ ـ نثر الدر للوزير أبي سعيد منصور بن الحسين الآبي .

(و)

١٧٨ ـ وفيات الأعيان لابن خلكان .

(هـ)

١٧٩ ـ هداية العقول .

١٨٠ ـ هدىٰ الساري لابن حجر العسقلاني .

(ي)

١٨١ ـ اليقين لابن طاووس .

الفهرس

صدر للمؤلف

من حياة الخليفة أبي بكر الصديق

الإرشاد للطباعة والنشر
بيروت - لندن